

الحركة اللغوية في الاندلس
منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

تأليف

البير حبيب مطلق

رسالة قدمت لنيل درجة استاذ في الآداب

الى دائرة اللغة العربية

الجامعة الاميركية في بيروت

ايار ١٩٦٥

ملخص

الحركة اللغوية في الاندلس

منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

جعلت دراستي هذه في مقدمة وخمسة فصول . المقدمة والفصل الاول في

كتاب ، والفصلان الثاني والثالث في كتاب ، والفصلان الرابع والخامس في كتاب .

عالجت في المقدمة شئون المجتمع واللغة في العهد القوطي ، واهتمت في ذلك على

ما للمجتمع من اثر في حياة اللغة . وتحدثت عن الاجناس المختلفة في الاندلس بعد

الفتح العربي . وتلك الاجناس هي ١- العرب ، وقد وصلوا الاندلس على موجات كل

واحدة منها تسمى " طالعة " . وكان منهم القيسية واليمانية مما ادى الى نشوب نزاع

عربي كالذي كان في بلاد المشرق . ٢- البربر ، وكانت الجماعة الاولى منهم

قد دخلت الاندلس مع حملة طارق بن زياد . ٣- السود ، وكانوا قلة ينتظمون

في سلك الجنديّة . ٤- اليهود ، وقد كان لهم اثر فعال في استقبال المؤثرات

النحوية العربية وطبع النحو العبري بها . ٥- الموالي ، ممن ارتبط بالولاة

مع البيت الاموي ، وبعض البربر ، وبعض من دخل في ولاء بني امية من اهل الاندلس .

٦- السكان الاصليون ، عجم الاندلس .

ثم صورت حال اللغة بين هذه الاجناس وطبيعة الاختلاط الذي نشأ مسن

احتكاك اللغات المختلفة . وتعرضت بعدها الى توضيح مقام اللغة عند الاندلسيين ،

وبينت اهتمام اهل هذه البلاد باللغة وشدة عنايتهم بتدريسها . ثم اجمعت العوامل

الفعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس .

وفي الفصل الأول تحدثت عن بواكير الحركة اللغوية في الاندلس، وتسمت هذا الفصل الى ثماني نقاط رئيسية، أولا، نشوء طبقة المؤدبين اللغويين الذين اتخذوا من المساجد مكانا لتدريس اللغة. ثانيا: الرحلة ولقاء العلماء المشاركة، وقد دفع العلماء الى الرحلة انهم كانوا يشعرون بحاجتهم الثقافية الى علماء المشرق فارتحلوا اليهم وأخذوا عنهم وتوزعوا في مختلف البلاد الشرقية، وكثيرون اخذوا عن اكثر من عالم في اكثر من بلد. ثالثا: رحلة لغويين مشاركة الى الاندلس، ممن قصد تلك البلاد بقصد او بآخر. رابعا: هجرة الكتب الشرقية الى الاندلس، التي كانت تصل مع العائدين او مع المرتحلين من المشاركة. خامسا: النشاط الشفوي في ميدان اللغة، المتمثل بالمناظرات والمناقشات. سادسا: حركة التأليف اللغوي حتى اواخر القرن الثالث، ولم يكن للتأليف اللغوي شخصية المستقلة بعد وتبرز باتصاله بعلم الحديث. سابعا: أشهر المدرسين وتلاميذهم، وقد قمت بعمل ثلاثة جداول بينت فيها أشهر مجالس التدريس، وخلصت الى ان الطالب لم يكن يكتفي بمدرس واحد، وان بعض هؤلاء الطلبة صاروا في ما بعد علماء اذنا. ثامنا: لم يكن هذا النشاط اللغوي النحوي وقفا على العناصر العربية.

اما الكتاب الثاني فهو يعالج الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الرابع

الهجري، وهو يتألف من فصلين: الثاني والثالث.

اما الفصل الثاني فيعالج عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن.

وهي عوامل جديدة وقديمة.

أولا - لحظ العوامل الجديدة وهي :

- أ - استتبابُ الدولة وعضائها .
- ب - جهودُ الحكم في النهضة اللغوية ، وتشمل في :
 - ١- انشاء مكتبة عامة تابعة للتصريح .
 - ٢- حفزُ الهمم الى التأليف واغداقُ العطاء على المؤلفين .
 - ٣- التدقيق العلمي في الأصول اللغوية .
 - ٤- الترجمة .
- ٥- استخدامُ العلماء للعمل في قرطبة ، واشهرهم وابعدهم أثرا ابو علي القالي .
- ج - المنصور بن ابي عامر وأثره في النهضة اللغوية . وقد حاول المنصور ان يقلد الحكم ، فاستقدم صاعدا من بغداد ، ولكن صاعدا لم يستطع ان يحوِّك اثر القالي ولا ان يحقق مثل نتائجه .

ثانيا - وأما العواملُ التقليدية فهي :

- أ - الرحلة الى المشرق ، التي استمرت في هذا القرن ، ولكن ليس بنفس القوة والاندفاع اللذين عرفتهما في القرن المنصرم .
- ب - ظل المؤدب يمثل دوره ، ولكن دخل الصورة علماء كبار من أمثال الزبيدي .

ثالثا - المظاهرُ الكبرى التي تميز بها هذا القرن ، وهي :

- أ - ظهور الدارس اللغوي المتخصص ، من امثال ابن سيّد .
- ب - المناظرات اللغوية النشيطة على مثال المناظرات التي عرفها المشاركة .
- ج - حركة التأليف واتساعها ، وقد قدّمتُ ثبثا باسماء المؤلفين وعددتُ ستة

وثلاثين مؤلفاً لهم وخلصت الى عدد من النتائج .

وأما - انصافُ الاندلس في الميدان اللغوي : وقد عالجت فيها رد ابن حزم الاندلسي على ابن الرهيب القيرواني ، حين رد ابن حزم داحضا حجة ابن الرهيب وميناه طول بساع الاندلسيين في العلم .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته لدراسة ثلاثة من أشهر اللغويين الاندلسيين في القرن الرابع ، هم الزهيدى وابن التوطية والقالي . وقد عالجت حيوات هؤلاء المؤلفين ، وذكرت مؤلفاتهم جميعها ، وفصلت القول في أهم هذه المؤلفات . فمما فصلت القول فيه لابي بكر الزهيدى : طبقات النحويين واللغويين ، والاستدراك على سيبويه ، ولحن العامة ، ولايى بكر بن التوطية كتابه في الافعال ، ولايى علي القالي كتابه البارع والامالي .

وقد انتهت الفصل الثالث بتذييل اوردت فيه شيئا من أخبار اربعة وثلاثين عالما هم فتيق من المشتغلين بالعلوم اللغوية ممن يعتبر نتاجا لهذا العصر بما فيه من مؤثرات وما تركه علماء الكبار من آثار .

وأما الكتاب الثالث والاخير : الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الخامس الهجرى ، فانه هو الآخر يتسع في فصلين : الرابع والخامس .

ويتعلق الفصل الرابع بالعوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية في هذا القرن . وقد عالجت فيه خمس نقاط رئيسة :

اولا : اعطيت صورة موجزة للاحوال السياسية في هذا العصر ، واجزت الوان التغير الذي أصاب الجهاز السياسي وأثر هذا التغير في الدراسات اللغوية .

ثانيها : العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية ، وهي مما يمكن اجمالها في ما يلي :

- أ- الخصب اللغوي الذي اوجده القالي وتلامذته .
- ب- تعدد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي ، بحيث اصبحت كل عاصمة دولة من دول الطوائف مركزا من مراكز الأدب والعلم .
- ج- الاهتمام بإنشاء المكتبات ، فقد تعدى هذا الاهتمام نطاق الملوك والامراء الى الوجهاء من الناس والى افراد الشعب أحيانا .
- د - التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملوك الطوائف بالنسبة لدراسة العلوم القديمة .

ثالثا : الظاهرة النظرية في حياة اللغة ، وهي تتمثل :

- أ- في البحث في أصل اللغة ، وهل هي توقيف ام اصطلاح .
- ب- مشكلة الاشتقاق .
- ج- بطلان العلل النحوية .
- د - الصلة بين اللغة والشرعة .

وقد عالجت في هذه الظاهرة آراء ابن حزم الظاهري المذهب وآراء ابن السعيد البطليوسي .

رابعاً : بحث في صلة اللغة بالواقع العملي ، ورأيتها تتمثل في نواحي ثلاث :

- أ - وضع معلم اللغة ، وقد بينت الوضع الجديد للمعلم ، والخطر الذي صار

يتهدد مكانته ، ومثلت لذلك بهجوم ابن شهيد على الحسن شهيد على ابن
الافيلي .

بـ وضع اللغة بين العلوم ، وبينت كيف ان دراسة اللغة ، نتيجة للظروف التي
جمدت ، قد اخذت تتلقى بعض الضربات .

جـ صلة اللغة بالحياة العملية ، وتسرب اللحن والخطأ الى السنة بعض المقرئين
والمؤدين ، وارتفاع شأن العامية ارتفاعا كبيرا . ثم قيام حركة مضادة
مترتبة تعتبر ثمرة لجهود القالي وصحبه في القرن السابق .

خامسا : العوامل التقليدية واثرها في الحركة اللغوية ، وهي العوامل التي سبق
ان عالجتها والتي كان لا يزال تأثيرها فاعلا في الحركة اللغوية :

أ- الهجرة الى الاندلس ، وقد كان للهجرة اليها اسباب جديدة نشأت عن الوضع
السياسي القلق في بلاد العرب الاخرى . وكان اشهر الراحلين ابو الفتح ثابت
بن محمد الجرجاني .

ب- الهجرة من الاندلس ، وقد قل شأنها كثيرا عما كان عليه الامر في
المراحل السابقة ، وقد اهتم الكثيرون من الراحلين بمؤلفات ابي العلاء المعري .

ج- التدريس واشهر المدرسين ، ومن هؤلاء ابن الافيلي والاعلم الشنقرى .

وأما الفصل الخامس والأخير فقد خصصته لأئمة المؤلفين في هذا القرن الخامس
ولمؤلفاتهم . وقد استهللتها بأحصاء للمؤلفين بحامسة ولمؤلفاتهم ، وعددت ستة وخمسين
مؤلفا لخمسة عشر مؤلفا ، وخلصت من دراسة ذلك الى ان التأليف يمثل اتجاهين كبيرين ،

٧
١ - اتجاهٌ لشح الكتب التي أصبحت عدة داري النحو واللغة ، وهي ثلاثة أنواع ، ١- شرح لدواوين شعوية ، كديوان المتبي وديوان المعري ، ٢- شرح لمجاميع ، كديوان الحماسة والاشعار الستة ، ٣- شرح " للمقررات " النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والنوادر للقيالي وأدب الكتاب والغريب المصنف واصلاح المنطق .

ب - اما الاتجاه الثاني ، فهو في التأليف المعجمي . وقد فصلت القول في مثلين للاتجاه الأول وفي مؤلفاتهما هما : ابو عبيد البكري ، وكتابه فصل المقال واللاتي ، وابن السيد البطليوسي وكتابه شرح السقط والاقتضاب . كما فصلت القول في ابن سيده ، مشلا للاتجاه المعجمي ، وفي معجمه المخصص والمحكم .

وبعد فلقد كانت تلك دراسة للحياة اللغوية الاندلسية ، في حقبة تريد على ارمائة عام مفعمة بالسوان من النشاط الدائب . وأعتقد انني حققت أمرا رئيسيين مهمين :

فأولا ، كانت هذه الرسالة بناء جديدا ، لم يتوكأ على بناء سابق ، فجاء حركة رائدة ، له ما للهداية من فضل التقدم والاستكشاف . وان تكن هذه الهداية قد اعطت البحث قيمة ، فانها قد زادت على صعوبة . فالى جانب عظم الفترة التي تخطيطها دراستي فان جودة البحث قد كانت عاملا شاقا يتطلب التقيب الطويل في المصادر ويجعل تصور الموضوع غاية في الصعوبة . والواقع لم استطع ان احيط بالمصادر وان اتصور البحث على صورته الحالية الا بعد اطلاع واسع وبحث دائب وعمل جاد امين ، لفترة طويلة من الزمن .

والأمر الثاني الذي اعتقد ان له هو الآخر أهمية بالغة ، انني بهذا البحث قد اسهمت في تصور جزء من تراثنا اللغوي ، وقدمت بحثا عن تاريخ اللغة في الاندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون . ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان اللغة في الاندلس جديرة أعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء . واذا كنت اقدم مثل هذا المجهود فانما ارد شيئا من الحق ~~الحق~~ الى اصحابه .

ولأول مرة في ما اعتقد - يتكامل بحث واحد ليعين دور المؤدين في حياة اللغة بالاندلس ، ويأخذ بعين الجد والاستقصاء جهود المهاجرين من المشاركة والكتب المهاجرة من المشرق والرحلة في طلب اللغة ويتلمس نواحي النظرية اللغوية بالاندلس ، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة واصحابها ويعطي للاندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير .

ولست أقول ان هذا هو جهد المقل ، فكل عمل علمي انما هو جهد المقل . وانني لأرجو ان اكون قد اسهمت في ابراز حقبة غامضة من تاريخ حياتنا اللغوية ، وأضفت الى مكتبتنا العربية ما يسد ولو فراغا بسيطا . فذلك - على ضآلة شأنه - يمنحني الرضى ، ويميزني بشرة علمية متواضعة .

—

تمهيد

تعالج هذه الرسالة تاريخ الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف (٩٢ - حوالي ٧١١ / ٥٠٠ - حوالي ١١٠٦). وهي فترة طويلة من الزمن استطاعت الاندلس خلالها ان تشارك في النهضة اللغوية، وان يكون لها نصيب واضح في الجهود اللغوية عامة . فبرز من علمائها جماعة من وقت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع المؤلفات المشرقية، ومن هؤلاء الزبيدي وابن القوطية وابن سيده وآخرون من وقت عندهم وعينت لهم أمكنتهم في تاريخنا اللغوي . وطبعي ان هذه القم قد سبقتها محاولات كثيرة درجت بها الاندلس من طور التكون والبناء الذي استمر حتى نهاية القرن الثالث الهجري الى طور الشباب والنضج في القرن الرابع ثم أخيرا طور الكهولة في القرن الخامس .

وتعد نهاية هذه الفترة معلما سياسيا وثقافيا فارقا في حياة الاندلس، ذلك ان سيادة الاندلسيين انفسهم قد تضاءلت عندما انتهت هذه الفترة واصبحت الاندلس ولاية تابعة للعدوة المغربية - ان صح التعبير - واصبحت الكوارث التي تحل بالاندلس تباعا شاغلة عن التفرغ الذي يهيى للانتاج الأصيل . وليس في هذا انكار للاسهامات الاندلسية بعد هذه الفترة، ولكنه سبب وجيه حدا يبي الى ايثار هذه الوقفة عند نهاية العصر الذي يدعى في التاريخ الاندلسي "عصر ملوك الطوائف" .

والحياة اللغوية في الاندلس بعد هذه الفترة تمثل فصلا جديدا

بخصائصه - قوية كانت او ضعيفة - وربما تمكنت في المستقبل من رصد هذه الحركة حتى نهاية الحكم العربي في تلك البلاد . فهي على الرغم مما دهم الاندلس قد انجبت علماء أفذاذ من امثال ابن مضاء القرطبي وصاحب نظرية العوامل .

وقد يلحظ قارىء هذه الرسالة كيف ان الحياة اللغوية نسي الاندلس قد تأخرت في نشأتها - بحكم الوضع الطبيعي للفتح والاستيطان - عن الحياة اللغوية في المشرق ، ولذا كانت بواكيرها تعتمد على المشرق اعتمادا كلياً ، ولكن المنهج الذى رأيتُه اسلم المناهج في تناول البحث ، لم يبح لى التصدى للحياة اللغوية في المشرق على نحو منفصل لا في نشأتها ولا في تطورها ، فاللغة في المشرق وحركتها المتطورة قد تدخلت في بناء هذا البحث على النحو المتدرج الذى حققته في واقعها العلمي . ولذلك وجدت من المناسب ان أرصد المؤثرات المشرقية حسب التطور الزمني دون ان افرد لها بالبحث والنظر في فصل مستقل بذلك . ثم ان تأريخ اللغة في المشرق قد حظي بالعناية وكتب فيه بعض أفذاذ الدارسين ، فهناك كتاب " العربية " للاستاذ يوهان فوك ، وكتاب " اللغة والنحو " للدكتور حسن عون ، فالوقوف عند تأريخ طويل للغة في المشرق لا يعدو في مثل هذا البحث ان يكون تلخيصاً لجهود الآخين ، وقد أغنانني عن ذلك ان كنت ، كلما وجدت ذلك ممكناً ، أشير الى العلاقات بين المشرق والمغرب ، والى أثر اللغويين المشاركة في اللغويين الاندلسيين ، واهين طبيعة هذه العلاقات من تبسع وتلخيص ومعارضة ودراسة وتعلمذ . وانسي لأعتقد انني قد أعطيت صورة واضحة لأثر المشرق في الدراسات اللغوية الاندلسية ، ولم أغضط المشرق حقّه في ما قدمه للاندلس من خدمات ، تتمثل في العلماء المهاجرين والكتب المهاجرة ورحلات الطلاب الاندلسيين الى المشرق ، وكذلك لم أحاول

أن أعطي للاندلس في ميدان اللغة أكثر مما تستحقه من تقدير .

ولا بد لي - وأنا في معرض الحديث عن أعداد هذا البحث - أن أذكر الصعوبة التي لاقيتها في بناء بحثي متدرجا متاسكا . فقد حاولت جهدي أن أجعله صورة لوحدة عضوية نامية ، وكان أشق ما عانيته كون هذا البحث في بناء العام جديدا أحاول رصف لبناته لأول مرة . فان انشغالي بالبناء قد استغرق من جهدي الشيء الكثير الذي كان يمكن أن يصرفني لولاء السى التعمق في تصور التيارات الكبرى ، واذن لتكثرت من أن أجلسو بعض الجوانب جلا . يبعث على مزيد من الرضى والانتعاش . ولكنني لست نادما أن كان هذا البحث ريادة في المجهول أو شبه المجهول ، إذ انني اليوم ، بعد أن عشت مع هذه الرسالة أكثر من ثلاث سنوات مفعمة بالجهد الدائب والعمل المتواصل ، أحس بأنني قد أقمت بناء سليما في جملته . وهذا لا يعني أنني توصلت إلى الكمال - فما أبعد ذلك من جهود بني الانسان - بل أنني لأرحب بكل توجيه يسدد خطواتي في هذه السبيل الشاقة .

وقد كانت قصتي مع المصادر قصة طويلة مضية ، فإن المسادة مبعثرة في كتب التراجم والتاريخ والفقه . وقد زاد في هذه الصعوبة أنني لم أجد من المعالم ما يهديني إلى الجادة ، أعني أنه لم تكن هناك دراسة موجهة تعينني على تتبع المصادر المفيدة . وكمن من مرة حسبتني أفوز بشيء ينير لي الطريق وكنت أخرج من القراءة صفر اليدين كما بدأت . وليس هذا تعبيرا عن الأسف وإنما هو تعبير حقيقي عما يصادفه المرء في بحثه من غنا ومشقة .

يستصل بحثي هذا بكتب ما تزال مخطوطة . وقد واجهتني صعوبة بالغة في الحصول على المخطوطات التي يمكن ان تغيدني، رغم انني حاولت جهدي للحصول عليها . واني لأعدني سييء الحظ ان بعض جوانب هذا البحث ظلت معتمة لعدم الحصول على المخطوطات اللازمة ، وان كنت استدركت جانبها كبيرا منها . وهذه الصعوبة بالذات تجرني الى الشكوى من القصور الشديد الذي تعانيه مكثباتنا في ما يتعلق بالمصادر القديمة ذات الأهمية والخطر .

وقد حاولت جهدي ان تتصل هذه الدراسة اتصالا وثيقا بالمصادر الأصلية ، لكي تكون اشدّ المأما بالمنهج العلمي . ولم اعتمد من المراجع الا الموثوقة التي اتخذت سبيلها لتكون معتمد الدارسين والباحثين . واقتصرت من هذه المراجع على عدد ضئيل ككتاب فجر الاندلس للدكتور حسين مؤنس، والمعجم العربي للدكتور حسين نصار، وما كتبه برونسفال وبهيرا وغيرهما من الباحثين الثقات .

وكان يمكن لهذا البحث ان يستوعب دراسة خطيرة ، هي دراسة العمامة الاندلسية . ولكن منعي من ذلك أسمران هامان ، اولهما ان مثل هذه الدراسة يمكن ان يفرد لها بحث خاص، وثانيهما ، وهو الأهم ، ان العمامة الاندلسية قد تأثرت بالاسبانية القديمة تأثرا واضحا مما يجعل حديثي عنها ، وأنا اجهل الاسبانية القديمة ، امرا لاحقا بالمستحيل . واود لو اري من تيسرت له سبل هذا البحث ومقوماته ان يقوم به خدمة لتراثنا وحياتنا اللغوية بخاصة .

وأود ان أشير ها هنا الى منهجي في الدراسة انني قد اخترت هذا المنهج بعد تأمل وتعمق شديدين في طبيعة الحياة اللغوية عبر قرون أربعة . ولقد حاولت ان اظهر بوضوح اتجاهات هذه الحركة اللغوية وتطورها خطوة خطوة . واعتقد ان هذه الخطة قد سمحت بتبيان التيارات العامة من جهة وسمحت بابرار التطور الذي واجهته الحركة منذ بدايتها ، مع دخول العرب الى الاندلس ، حتى الفترة التي جعلتها حدا لنهاية دراستي .

وقد حاولت ان تكون هذه الدراسة متكاملة ليس فيها فجوات ولا تشويش ولا خروج عن الموضوع مما لا يفيد في اثراء العمل العلمي . ولهذا تراني لم أحفل كثيراً بالمقدمات الطويلة التي أراها معتمد الدارسين في هذه الايام ، فمثلا لم اتحدث عن السياسة الا في المواطن الضرورية للنخاية ، وحيث كانت السياسة ذات أثر فعال في توجيه الحياة اللغوية ، وعندئذ كنت اوجز اكثر ما يمكن الايجاز . وأخيرا كلمة مودة وامتنان وتقدير لاستاذي الكريم الدكتور احسان عباس ، لما حباني به من عطف صادق ، ورعاية اخوية مخلص ، ولما قدّم لي من وقته وعلمه وخبرته . ولقد كان لدقته العلمية البالغة ومنهجه الصارم في البحث ولأياديهِ البيضاء الأخرى التي لا تحصى أبلغ الأثر في هذه الرسالة ، وفي حياتي العلمية بعامة .

كما انني اتوجه بالشكر العميق للاخوة والاخوات الذين ساعدوني في اخراج دراستي هذه ، وأخص بالذكر منهم الاوانس سلمى صمورى وسلوى صايغ وسامية خورى والسيدان ادوار مطلق ورفيق مطلق .

وأرجو ان أكون قد أسهمت في ابراز حقبة غامضة من تاريخ

حياتها اللغوية ، وأضفت الى مكتبتنا العربية ما يسدّ فراغا ولو بسيطا .
فذلك - على ضالة شأنه - يمنحني الرضى ، ويميزني بثمرة علمية
متواضعة .

الكتاب الاول

الحركة اللغوية بالاندلس
حتى اواخر القرن الثالث الهجرى

مقدمة

- ١ - حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي
- ٢ - الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي
- ٣ - حال اللغة بين هذه الاجناس المختلفة
- ٤ - مقام اللغة عند الاندلسيين
- ٥ - عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس

١ - حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي :

كانت اسبانيا قبل الفتح العربي تحت حكم القوط الغربيين

Visigoths وهم من القبائل التوتونية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية في اواخر القرن الرابع الميلادي ، واستطاعوا عند سقوط الدولة الرومانية الاستقلال بحكم اسبانيا (ومعها أجزاء من فرنسا) في القرن الخامس تحت زعامة " يوريك " (٤٦٧) متخذين مدينة طليطلة عاصمة لهم . وكان القوط أقلية لا يتجاوز عددها ٢٠٠ الف نسمة في بلاد يبلغ سكانها ٩ ملايين (١) . وكانوا يختلفون عن السكان المحليين من ناحيتين ، (١) أنهم يدينون ببدعة آريوس أي لا يعتقدون بألوهية المسيح ولا يجعلون للعداء مكانا ممتازا في العقيدة . (٢) أنهم يتكلمون لغة جرمانية بينما يستعمل السكان لغة رومانية او لاتينية عامة . ولذلك فانهم من الناحية الدينية وجدوا بعد فترة من الزمن ان لا بد لهم من التخلي عن الآريوسية واعتناق الكثرة ، وهذا اصبحت الكاثوليكية مذهبها رسميا في اسبانيا منذ عهد الملك ويكاريدو عام ٥٨٧ (٢) ، وبعد هذا التحول اعتبرت اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد ، واصبح لاء القوط للبابوية شديدا ، واصبحت طليطلة مركزا لاسقفية كبيرة يقوم فيها اسقف كبير يمثل البابا ونفوذ (٣) .

وقد كان المنتظر بعد هذا التحول - في اللغة والمذهب - ان تنصهر الفروق القائمة في المجتمع الاسباني حينئذ ، وتقرب اسبانيا من الوحدة الثقافية والاجتماعية ، ولكن عوامل أخرى كانت تعمل عليها في المجتمع فتجعل الانصهار مستحيلا ، من ذلك (١) اقرار الفوارق الاجتماعية بين الطبقات ، فقد تكونت من

(١) Henri Terrasse, Islam d'Espagne p. 3.

ويشار اليه فيما بعد باسم " تراس "

(٢) فجر الاندلس : ٩ وتراس :

(٣) المصدر نفسه : ٩

العائلات القوطية وكبار رجال الدين واشراف العهد الروماني طبقة ارسقراطية تتمتع بامتيازات لا حصر لها . (٢) اقرّر الفوارق بين الاجناس والاديان ولذلك اضطهد اليهود - مثلاً - بشدة ، حتى انهم لشدة ما لحقهم من اضطهاد دبروا القيام بشورة عامة قبل سبعة عشر عاما من الفتح العربي (١) . (٣) نظام الاقطاع الذى جعل قسما كبيرا من الناس يقيم أرض أو عبيد يعملون لاسعاد الاقلية الغنية (٢) .

ويرسم دوزى صورة قاتمة لحال اسبانيا في أيام القوط ، ومعارضه مؤرخون آخرون فيؤكدون ان اسبانيا تحت حكم القوط كانت تتمتع بالرخاء والرفاهية (٣) . ويحمل دوزى على رجال الدين لانهم كانوا ضالعين مع السلطة الحاكمة لا يهتمون الا بما يتعلق بهم ، وانهم لم يحاولوا انعاش الطبقات المضطهدة من كبوتها ، ولا علوا شيئا لتحسين أحوال الناس ، الا القليل منهم (٤) . ولكن ليس من همي وأنا ادرس الجانب اللغوى ، ان أصور الوضع الاجتماعى الا بمقدار تأثيره في حياة اللغة . فقد أصبحت اللغة اللاتينية هي لغة الثقافة حينئذ ، وكان الناس يتكلمون لغة رومانسية دخلتها بعض الالفاظ من أصل جرمانى بحيث يصور موضعها من اللغة أثر الفاتحين (٥) . وعلى هذا الاساس الثقافى - اللغوى في أساسه - وجدت حضارة علمية اسبانية مركزها الاديرة والمدارس الدينية ، وكانت اشبيلية من أهم مراكز هذه الثقافة واليهما ينتمى ايزيدور الاشيلي (- ٦٣٦ م) ، الذى قام بدور الوسيط في نقل الفكر اليونانى / الرومانى

(١) R.Dozy : Spanish Islam p. 227.

(٢) المصدر نفسه : ٢١٧ .

(٣) انظر مثلاً Maurice Legendre, Nouvelle Histoire d'Espagne pp. 73 seq.

(٤) Spanish Islam p.222 seq.

(٥) تراس : ١١

الى القرون الوسطى . ومن اهم آثاره كتاب له في الاشتقاق اللغوي^(١) ، ومعنى هذا أن اسبانيا لم تكن دون معالم ثقافية حيي دخلها العرب ، واذا كان لنا ان نلاحق المظاهر القوطية في حياة اسبانيا بعد الفتح العربي ، فيجب أن نتطلع الى طبقة " المستعربين " الذين ظلوا يحافظون على لغتهم الرومانسية وهي التي أصبح العرب يسمونها " مجمية الاندلس " ، وعلى الثقافة الايزيدوية وعلى طراز الابنية القوطية^(٢).

٢- الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي :

أ- العرب : كان الجيش الذي دخل به طارق الى الاندلس (٩٢ هـ = ٧١١ م) يبلغ اثني عشر ألفا اكثرهم من البربر وليس فيه من الجند العربي الا قلة ضئيلة ، وتزايد عدد البربر الداخلين الى الاندلس عندما نجح طارق في مهمته ، يقول الرازي حسب نقل المقرئ : " وتسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلاحقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاهبوا من السهل ولحقوا بالجبال " (٣) وهذا النص يعني ان عدد البربر المهاجرين ازداد في أثناء الفتح ، وان كان لا ينبغي أن هناك عربا دخلوا معهم في تلك الفترة ، ثم لحق موسى بن نصير بطارق في جيش عربي يبلغ اثني عشر ألفا ، وسمى هؤلاء " الطالعة الاولى " من العرب ، ثم كانت طالعة بلج

(١) قراس : ١٤ ، وفجر الاندلس : ٢٩

(٢) قراس : ٢٣

(٣) نفح الطيب : ١ : ٢٤٣ ، وفجر الاندلس : ١٢٢

ابن بشر القيسي (١٢٣ = ٧٤١) وهي تضم عشرة آلاف من الشاميين القيسية ، وقد سمي الذين استقروا قبل طالعة بلج باسم البلديين تمييزاً لهم عن المهاجرين الشاميين الجدد ، كما ان البلديين كان معظمهم من اليمنية (١). غير أننا يجب أن نقدر أن هجرة العرب في عهد الولاة والعهد الاموي لم تقتصر على هذه الاعداد ، بل كان هناك اقبال عام على الهجرة ، يقول المقرئ : " فاعلم أنه لما استقر قدم اهل الاسلام بالاندلس وتنام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب وساداتهم همهم الى الحلول بها ، فنزل بها من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم " (٢).

ويمثل العرب الاندلسيون الانتساب الى كل من القحطانيين والعدنانيين - أي عرب الجنوب وعرب الشمال - الا أن القحطانيين كانوا أكثر عدداً (٣) ، ويضم هؤلاء القحطانيون قبائل الازد والانصار - " وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالاندلس في شرقها وغربها " (٤) - وجذام وتجب وذى رعين وكلب ، ومنهم حضرميون حلوا بمرسية وغرناطة واشيلية وبطليوس وقرطبة ، ٠٠ وهم كثير بالاندلس (٥) ، ويضم عرب الشمال من ينتسبون الى قوش خاصة او الى كانة عامة ، ومن ينتسبون الى قيس عيلان أو للقبائل المتفرعة من قيس عيلان مثل سليم وهوازن وكلاب ونمير ومن ينتسب الى ربيعة مثل أسد والنمر بن قاسط وتغلب وككر ، وكان من قبائل تميم خلق كثير بالاندلس (٦) .

-
- (١) انظر فجر الاندلس : ٣٥٦ .
 (٢) نفح الطيب ١ : ٢٧١ وفجر الاندلس : ٣٦٨ .
 (٣) النفح ١ : ٢٧٤ .
 (٤) المصدر نفسه ١ : ٢٧٥ .
 (٥) المصدر نفسه ١ : ٢٧٩ .
 (٦) المصدر نفسه ١ : ٢٧٢ وانظر تفصيل ما أورده المقرئ عن العرب الذين استوطنوا الاندلس ٢٧١ - ٢٧٩ .

وقد درس الدكتور حسين مؤنس ظاهرة استيطان العرب في الاندلس دراسة تفصيلية يحق أن أجعلها معتمداً في هذه المقدمة ، لما لها من قيمة في توضيح البيئة العنصرية والاجتماعية التي تكونت فيها الجهود اللغوية ، قال : " ونستطيع ان نقول بصفة عامة ان العرب استقروا على طول خطوط الفتح الاولى ، فنرى منازلهم تنتشر ابتداءً من الجزيرة الخضراء ، وتسلّ معظم المنطقة الواقعة جنوب نهر شنيل وحوض الوادي الكبير ، ثم تكثر بصورة ظاهرة في اقليم اشبيلية ، وتستمر على طول الوادي الكبير وفروعه . وعند اقليم اشبيلية تنتشر منازل العرب في نفس الاتجاه الذي سار فيه موسى ، وتكثر في نواحي أونية ولبلبة وباجة ، وتصل حتى بظليوس ثم نواحي طليبة وظليطة فوادي الحجارة وقلمة أيوب ودروقة وحوض امبره الاوسط حول سرقطة في منطقة واسعة تشمل حوض نهر جليكو Gallego ونهر الحمّة Rio Alhama . ومن أحواز قرطبة يمتد خط مهري آخر ، على طول طريق طارق بن زباد حتى ظليطة مارا بقلمة رباح . ومن حوض الوادي الكبير انصاح العرب شرقاً ، فملأوا نواحي ما يعرف عادة بشرق الاندلس ، وهي نواحي بلنسية وتدمير (مرسية) ولقيت والمهية ومالقة " (١) .

وسرى الدكتور مؤنس أيضاً أن المدنانية والقحطانية لم يتخذ أي منهما ناحية ينفرد بالمكنى فيها الا في القليل من المواضع (٢) ، وقد رسم جدولا يتوزع القبائل في كل ناحية ، دلّ على أن الكتلة اليمنية كانت أقوى في نواحي اشبيلية وغرب الاندلس وان اليمنيين كانوا كثيرين في ^{أقاليم} لقلبي البيرة وفروانة وجيان وأن غالبية من نزحوا ^{سرقطة هم من} الخرج وعذرة وقضاة وتجب وكسدة وجذام وهي كلها قبائل يمنية وأن مرسية وظليبة

(١) فجر الاندلس : ٣٧١

(٢) المصدر نفسه

وبلنسية غلب عليها عرب الشمال . أما قرطبة فقد نزلها من كل قبيلة من العرب وظل العنصر العربي طوال صور الاندلس غالباً على اشبيلية واستجة وريسة وقسبرة والجزيرة الخضراء والبحيرة وجيان ومالقة وتدمير وسرقسطة وشذونة وقرومنة ولبسة وباجة وأونبة^(١). أما العرب الذين نزلوا الريف فقد اتخذوا لانفسهم حصونا يحتصون فيها مثل قلعة يحصب (قلعة بني سعيد) في اقليم غرناطة وقلعة خولان (بين الجزيرة الخضراء واشبيلية) ، ومنهم من أنشأ قرى كاملة ظلت تحمل أسماء أصحابها كمسزل طي جنوبي مرسية ودار هلي شمالي قرطبة^(٢) ، وكان هؤلاء العرب يفدون رجالاتاً نساءً معهم فيمتزجون من نساء غير عربيات ، ولذا فإن الاجيال الثانية منهم ربما جاز اعتبارهم مولدين^(٣) .

ب - البحر : رأينا منهم الفسح الذي دخل مع الفتح ، ثم تلك الافواج التي سارعت الى الصحرة لما سمعت من نجاح طارق في فتوحاته ، ولقرب انفوتيا من الاندلس كان كثير من البحر يهاجرون اليها أملاً في ظروف معيشية أكثر ملائمة^(٤) . وكان البحر في بداية الاستيطان أكثر عدداً من العرب ولعلمهم في البداية أيضاً اتحدوا مع العرب وعرف الفريقان معاً باسم البلديين ضد الشاميين المهاجرين ، وكان أكثرهم من قبائل مطفورة وديونة ومكاسة وهوارة أو ما يسمى " السجتر"^(٥) ، ثم جاءت الهجرات التالية بأناس من فرع " البرانس" ، وقد درس سيزار دويلر منازل البحر في الاندلس من مراجعته لاسماء المواضع البهرية ، وأكثر هذه

(١) فجر الاندلس : ٣٧٢ - ٣٧٥

(٢) المصدر نفسه : ٣٧٦

(٣) المصدر نفسه : ٣٧٦

(٤) Levi Provencal : Histoire de l'Espagne Musulmane, vol.3 (٤) p.168.

(٥) فجر الاندلس : ٣٧٦ - ٣٨٠

الاماكن التي اكتشفها تقع في البرتغال (١) . هذا الثبت الذي أورده ابن حزم في الجمهرة عن بهوتات البربر في الاندلس على أن أمراء الشجر كانوا منهم ، أى أن معظم سكان النواحي الشمالية كانوا من البربر . وهذه المجموعة التي ذكرها ابن حزم تكون خطا واحدا " يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشة ثم ينحدر الى ناحية مدينة سالم (قاعدة الشجر الاوسط فيها بعد) فقد نزلها بنو سالم من البرانس وأعطوها اسمهم ، وسكن الى جوارهم بنو الفرج وبنو عوسجة . وفي الدائرة الواسعة التي تحيط بمدينة سالم والتي تضم شنتبة والسهلة ووادي الحجارة نجد كتلة بربرية ضخمة تعمر هذه النواحي كلها الى أحواز طليطلة ٠٠٠ وتمتد هذه الكتلة البربرية شرقا فتشمل تيروال حيث نزل بنو غزلون وناحية الجوز حيث نزل بنو قاسم ثم تتصل هذه السلسلة البربرية ٠٠٠ فتشمل مناطق طليطلة (جنوبي طليطلة) واردة وقوية بين التاجه والدوير، ثم تصل الى ساحل المحيط عند قلنبيرة " (٢)

ويقول الاستاذ لفي بروفنسال في حديثه عن البربر : " وقد اضطرهم العرب في اكثر الاحايين على الاقامة في المرتفعات مما جعلهم قليلي الحظ والنعمة ، وصاروا عرضة للخط والجفاف اللذين نزلا في بعض السنين مما حمل بعض جماعات من هؤلاء البربر على العودة - طوعا أو كرها الى اقلية " (٣) . ويناقش الدكتور مؤسس هذه الدعوى فيذهب الى أن الاقامة لم تكن مدروسة وانما كانت قاعمة على المصادفة ، ولو ان الفتح سار في طويق غير التي سار فيها لما تكاثر العرب حيث تكاثروا (٤) .

(١) انظر فجر الاندلس : ٣٨١ - ٣٨٢

(٢) فجر الاندلس : ٣٨٤

(٣) بروفنسال ٣ : ١٦٨

(٤) انظر فجر الاندلس : ٣٨٢ - ٣٨٩ ، والصفحة : ٣٧٠

ج - السود : وكانت في الاندلس عدا العرب والبربر

جماعة من السود، وقد ظل عددهم قليلا وظلوا يعملون في الجندية .

د - اليهود : كذلك كانت هناك جماعات من اليهود

واقعة تحت الاضطهاد في أيام القوط، وهم من الفئات التي رحبت بالفاطحيين وتعاونت معهم وقد ظلوا يتمتعون بمركز طيب في أكثر العصور وبلغ بعضهم في العصور التالية درجة الوزارة، وعمل كثير منهم أطباء في بلاطات الأمراء، بل إن حركة بعث اللغة العبرية والادب العبري بدأت في أسبانيا تحت رعاية الحكام الاندلسيين، وكان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على إنشاء نحو لغتهم، واستعرب اليهود منذ زمن مبكر فآخذوا لغة العرب وأزياهم (١) .

هـ - الموالي : وكان في الاندلس جماعة كبيرة من الموالي

وكان أهمهم أولئك الذين ارتبطوا بالولاة مع البيت الأموي ومنهم ناس من البربر أنفسهم، وقد زادت أعدادهم في الاندلس زيادة عظيمة وكثروا بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق، كما دخل في ولاء بني أمية عدد كثير من أهل الاندلس وقد كانت رابطة الولاة هذه التماسا لشرف المنزلة، وقد اعتمد عليهم عهد الرحمن الداخل كثيرا في إرساء حكمه وظل أمراء بني أمية يحلونهم المراكز الممتازة في الإدارة وفيها ومن عائلات الموالي المشهورة بنو شهيد وبنو فطيس وبنو حدير وبنو مغيث (٢) .

و - السكان الاصليون : وهناك السكان الاصليون

(١) Levi Provencal, Hist. vol. 1 p. 80 - 81.

(٢) انظر فجر الاندلس : ٣٩٦ - ٤١٣

وهم يسمون " عجم الأندلس " أو " عجم النمة " (١) فمن أسلم منهم أطلق عليهم " المسالمة " أو " الأسالمة " وأولاد هؤلاء " المسالمة " يسمون " المولدين " ، وأما من بقوا على دينهم فهم " نمة " أو " معاهدة " أو " المعاهدين " - أى من لهم عهد من المسلمين - ومع الزمن أخذ عدد النمة يتناقص ويكثر عدد المسالمة والمولدين ، ولما زار ابن حوقل الأندلس في خلافة عبد الرحمن الناصر كان ما يزال عدد النهمين والمعاهدة كثيرا ، قال : " وبالأندلس غير ضيعة فيها ألوف من الناس لم تصدّ وهم على دين النصرانية ، روم ، وروما عسا في بعض الاوقات ولجا بعضهم الى حكن فطال جهادهم لانهم في غاية العتو والتصرّد ... " (٢) . ويقول بروفنسال في وصف نكث المسالمة والمولدين : " هؤلاء المسلمون الجدد زاولوا في القرى تربية المواشي والزراعة وفي السواحل الصيد والصناعات البحرية بينما كانوا في المدن يقومون هم والموالي بالحرف والتجارة ، وهذا كله يبين الدور القوي الذي قام به المولدون في ميدان الاقتصاد العام للبلاد وهم يشكلون القسم الأكبر من سكان الأندلس وقد برهن الامويون على أفضل سياسة وأحكمها عندما ساعدوهم على الارتقاء وسحبوا لكثير منهم بالافتسا والتغلغل في المجتمع الاسلامي وكانت سياسة اللين لا سياسة القهر هي المتبعة في نشر الاسلام ، وما لبثت هذه السياسة أن أثمرت وأمدت النظام الاموي بجماعة كبيرة من ذوي التهم العليا الذين استطاعوا

(١) أطلق على هؤلاء لفظ " المستعربين " Mozarab وهو لقب يظهر ابتداء من القرن الحادى عشر الميلادى ، وذلك تمييزا لنصارى الأندلس عن غيرهم من نصارى قشتالة والفرنجة ، اذ كان نصارى الأندلس مستعربين حقا في الثقافة واللغة وأساليب الحياة ، وكانت صلواتهم تقام بلغة خاصة هي عجمية الأندلس وهي خليط من الرومانية القديمة واللاتينية الدارجة والقوطية والعربية ، ولكن عرب الأندلس لم يستعملوا هذه اللفظة " المستعربين " (انظر فجر الأندلس ص : ٤٢٥ - ٤٢٨) .

(٢) صورة الارض : ١٠٦

باستقامتهم - غير مرة - أن يفضوا الخلافات السياسية التي كانت تشب بين العناصر المهاجرة من عرب ورواية وليس ثمة ما يمنع أن تؤكد انه اذا كانت الاندلس منذ القرن الحادى عشر قد تألقت في ميدان الفكر فانها كانت مدينة بذلك الى هؤلاء المولدين " (١) . ويعد هرونسال اسما مولدين ظلوا يحتفظون بأسمائهم القديمة بعد اسلامهم مثل بني شبريق Savarico وبني القبطنة Kabturno وبني مرتين Martin وبني اللونقة Longo وبني توس Comes وبني قلمان Karluman وغيرهم (٢) .

٣ - حال اللغة بين هذه الأجناس المختلفة :

في التقاء هذه الأجناس المختلفة صورة فسيرة علمى التصور لما يمكن أن تكون عليه حال اللغة واسطة التفاهم بينها جميعا ، ولذا لابد من أن يخطو الدارس في أناة شديدة كي يأمن مواقع الزلل وهو يحاكم الروايات القليلة التي وصلتنا عن تلك الاوضاع اللغوية . ولا بد أن أقدر بادئ ذي بدء ما يمكن أن يعد تحصيل حاصل ، ولكني انما اقرره للخروج منه بنتائج معتمدة ،

١ - حين دخل العرب الى الاندلس جاءوا معهم بلغتهم العربية ، ولكن هؤلاء العرب كانوا ينتمون الى قبائل مختلفة ، وتغلب عليهم الصفة اليمنية ، ولذا كانت لغة الحديث بينهم على تفاوت يسير ، وان اجتمعوا جميعا حول اللغة القرآنية ، وخاصة حين تكون الكتابة تعبيرا عن تلك اللغة .

Levi Provencal, Hist. vol. 3 pp. 180 - 81

(١)

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤

٢ - وأدخل البربر لغتهم البربرية ، على أن نذكر أن قدم عهدهم النسيبي بالاسلام جعل اللغة العربية لديهم لغة الدين والكتابة ، فاذا كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة البربرية ، فقد كان تفاههم مع زملائهم الفاتحين بالعربية أمرا طبيعيا ، ويقول هرونسفال : " ومنذ القرن التاسع لم يعد أحد يتكلم باللغة البربرية بالاندلس (١) الا في نطاق بعض بلاطات ملوك الطوائف المنتهين الى أصل بربري كهنى زوى الصنهاجيين بغرناطة ، وسوف تعود اللغة البربرية الى الظهور في اسبانيا عند قدوم اللُمُونِيْسِيْن (المرابطين) . غير أن البربر كانوا أشد من غيرهم خضوعا لأثر البيئة الأندلسية ، فقد اجتهد معظمهم في التعرب ، وارتبطوا بمن يجاورهم من السكان الاصليين بالصهر والقراة وأخذوا عن أمهاتهم الاسبانيات لغة الحديث فكانوا أسرع اندماجا في بيئتهم الجديدة (٢)

٣ - وليس هناك ما يشير الى أن اليهود قبل الفتح العربي كانوا يستعملون اللغة الجبوية في غير الطقوس الدينية ، فلما جاء الفتح كانوا من أسرع الفئات تعربا ، حتى نشأت بينهم في عصر ملوك الطوائف حركة بعث اللغة العبرية .

٤ - وأما السكان الاصليون فكانت لهم لغتهم الخاصة بهم تلك اللغة التي كانت دارجة بينهم قبل الفتح وهي اللغة التي يقول فيها الاستاذ مقنث بدال : " أن اللغة التي كان يتكلمها أهل ايبيريا قبل القرن الحادى عشر الميلادى لا يمكن تعرفها الا على وجه التقريب ، نظرا لقلة الاصول التي يعتمد عليها ، وكل ما يمكن قوله انها كانت تضم ألفاظا قليلة من لغة القوط ، أما بقمتها فكانت لهجات مختلفة مسن

Levi Provencal Hiat, vol 3. p. 169.

(١)

(٢) فجر الاندلس : ٣١٥ - ٣١٦

اللاتينية العامية "Latin Vulgar" (١) هذه اللغة هي التي سماها العرب عندما سمعوها "العجمية" أو "عجمية أهل الأندلس"، وهي اللغة التي كان يحسنها "الذمة" و "المسالمة" كما ظل يحسنها "المولدون" و انضاف اليهم عدد من البربر والعرب ولكنها لم تبق على نقائها الأول بعد الاختلاط بالعناصر المهاجرة، وخاصة وأن العرب من هؤلاء دخلوا البلاد دون زوجات واتخذوا نساءهم من أهل البلاد.

٥ - فالعجمية اذن هي لغة السكان الاصليين، وتحديد طبيعتها أمر عسير فهل هذه العجمية هي نفس اللغة التي أصبحت لغة الحديث بعد دخول العرب، يقول الدكتور مؤنس: "وبديهي أن أولئك جميعا (يعني فئات العرب) لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني، فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد، اختلطت بها لغة الغرب ونشأت عن ذلك "عجمية أهل الأندلس" أو "اللطينية" كما يسميها ابن حزم (٢) أما أن لغة العرب اختلطت بها فشيء بديهي، وأما أن نتيجة هذا الاختلاط هو ما يسمى "عجمية أهل الأندلس" فأمر يدعو إلى التوقف، لاننا نعلم أن عجمية الأندلس هي ما كان موجودا قبل الاختلاط، ولأن مثل هذا القول يجعلنا ننسى حركة "الاستعراب" القوية، وهذه الحركة تعني أن السكان الاصليين تعلموا اللغة العربية بسرعة، وأصبحوا قادرين على التفاهم مع السادة الجدد، واذن فلا بد أن نسبة العناصر العربية في اللغة الناشئة من هذا اللقاء كانت أكبر من نسبة العناصر غير العربية، وإذا صح هذا التقدير كان من لقاء اللغتين لغة ثالثة هي "العامية العربية الأندلسية" لا "العجمية".

(١) Ramon Menendez Pidal: Orígenes del Español
(3ª ed. Madrid 1950 -)

مقدمة الكتاب، وقد ورد هذا في فجر الأندلس ص: ٤١٧ حاشية (١)

(٢) فجر الأندلس: ٣٧٧

واذن فاذا سلمنا ان البربر في الاندلس لم يتمسكوا طويلا بلغتهم نرى ان هناك ظاهرة فريدة في اللغة بالاندلس ان هي تقوم على ثلاثة مستويات : لغة عجمية فيها قليل من الالفاظ العربية ، لغة عربية هي اداة الكتابة والانشاء ، ولغة دارجة عامية معظم الفاظها عربي وقد دخلتها بعض الالفاظ العجمية ، وهذه الثالثة هي التي كانت لغة الحديث اليومي ، وهي التي تتمثل من بعد في الازجال الأندلسية . وهذا لا يعني ان العربي لم يكن يحسن " اللغة العجمية " أو أن المولد ذا اللغة العجمية لم يكن يستطيع الكتابة باللغة العربية . ولكن لا بد من أن نفترض وجود عامية قوية الشبـه بالعربية والا لم نفهم ما يرد في المصادر مصدرا بمثل يقول العامة كذا ومن أمثال العامة كذا - مما هو عربي عامي دارج ، وبه أيضا نفهم كيف يمكن أن تكون الازجال الأندلسية شيئا آخر غير الذي تعنيه العجمية .

٦- ولا بد أن حركة " الاستعراب " كانت قوية وخاصة بين الاجيال الناشئة ، وهذا هو الذي تعبر عنه صرخة الفاروق حين قال : " ان اخواني المسيحيين يستمتعون بقصائد العرب وحكاياتهم فهم يدرسون مؤلفات علماء الكلام والفلاسفة المسلمين لا لينقضوها وانما ليحرزوا أسلوبا عربيا صحيحا ناصعا . أين تجد اليوم بين الناس من يقرأ التعليقات والشرح اللاتينية على الكتاب المقدس ؟ أين من يدرس الاناجيل والاسفار وأعمال الرسل ؟ والأسف ان الشبان المسيحيين المتميزين بمواهبهم لا يعرفون أدبا سوى الأدب العربي أو لغة سوى العربية وهم يدرسون الكتب العربية بنهم وافتتان ويجمعون منها مكتبات كاملة مهما تبلغ تكاليفها ، وهم يتفننون بمحاسن الأدب العربي في كل مكان . فاذا ذكرت لهم الكتب المسيحية أشاحوا معرضين وقالوا انها لا تستحق اهتماما ، يا للحسرة ! لقد نسي المسيحيون لغتهم وما تكاد تجد واحدا في كل ألف يستطيع أن يكتب الى صديقه رسالة بلغة لاتينية سليمة فاذا كان الامر كتابة

العربية فما أكثر من يستطيعون التعبير عن نفوسهم بتلك اللغة في براعة عظيمة بل هم ينظمون اشعارا تتفوق في صحتها الشكلية على ما ينظمه العرب أنفسهم^(١). وقد يقال إن الثارو في هذا كان مغاليا في حاسته ، وأنه كان داعية للعودة إلى اللاتينية ولذلك فهو يغرق في الانحاء على ^{محيية} الثقافة العربية رجاء أن يلفت الناس بقوة النذير ، وقد يقال ان هذا كله ينصب على اللغة المكتوبة ، وكل هذا حق ، ولكن كيف يمكن أن تكون عملية الاستعراب بهذه القوة ، ثم تظل "عجبة الاندلس" هي اللغة الوحيدة المحكية في البيت والشارع وفي كل ناحية من نواحي الحياة اليومية ؟ ذلك أمر من العسير تقبله ، واذن فلا بد أن تكون لغة الحديث اليومي عربية في معظمها مشوبة بقسط من الالفاظ والتراكيب العجبة .

٧- ولم تكن "عجبة الأندلس" مفهومة لدى جميع العرب حتى مطلع القرن الثالث (أى بعد ما يزيد على مائة عام من الاستيطان) ذكر الخشني أن القاضي سعيد بن سليمان (في زمن عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦ - ٢٣٨) قضى في المسجد إلى أن مضى صدر النهار ثم قام منصرا إلى داره فلما هم بدخول الدار فاذا بوالد نصر الفتى مقبلا وأعوانه بين يديه ، وكان أعجبى اللسان فصاح على البعد بالعجبة كلموا القاضي يثبت علي أكله ، فقال القاضي قولوا له بالعجبة ان القاضي قد أدركته الملالة والسامة^(٢) . فهذا قاض يفصل بين الناس ومن المنتظر أن يكون بين شهوده أناس ممن لا يحسن الا العجبة ، وكذلك بين المترافعين اليه ، ولكنه يقول : قولوا له بالعجبة (أى ترجموا له ما أقول) فهو لا يحسن التكلم بها . أما أن بعض الشهود كانوا أحيانا ممن لا يحسنون الا العجبة فثبت من نص آخر

Dozy, Spanish Islam p. 267.

(١)

(٢) قضاة قرطبة : ٩٦

أيضا

أورد الخشني^١ اذ قال : " وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى ينير وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة مشهورا في العامة بالخير وحسن المذهب، فأرسل فيه الوزراء وسألوه عن القاضي فقال بالعجمية : ما أعرفه الا أنني سمعت الناس يقولون انه انسان سوء ، وصفوه باللفظ العجمي " (١) . ونتقدم قليلا في الزمن الى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ / ٨٥٢ - ٨٨٦) فوجد قاضيا آخر يفهم الكلام بالعجمية ويتحدث بها ، وذلك هو سليمان بن أسود ، فقد كان في وقته رجلا من العدول يعرف بابن عمار يتردد الى مجلسه ولا يقوم الا اذا قام القاضي ، " وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد قد أضناها الجهد وغيرها الجوع ، فتقدمت امرأة الى القاضي فقالت له بالعجمية : يا قاضي انظر لشقيتك هذه . فقال لها بالعجمية لست أنت شقيتي ، انما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار " (٢) .

وعلى مر الزمن أصبحت هذه العجمية مفهومة لدى الاكثية من الناس، لا لانها لغة التخاطب ، بل لان ظروف الحياة الاندلسية اقتضت هذه الملائمة بين الاجناس المختلفة بحيث يفهم كل فريق لغة الفريق الآخر ، وخاصة وان المرأة التي تسيطر على حياة البيت لم تكن في الغالب عربية . ولهذا ما نكاد نصل الى عصر أمراء الطوائف حتى نجد قبيلة بليّ العربية شاذة من بين القبائل اذ يذكر ابن حزم : " أنهم لا يحسنون الكلام باللطينية ، نساؤهم ورجالهم " (٣) ، وذكر النساء في هذا النص هام جدا لانه يدلّ على أن رجال قبيلة بليّ لم يتزوجوا من النساء الحرائر والجواري

(١) قضاة قرطبة : ٨٤ والحديث عن القاضي يخامر الذي ولي القضاة

سنة ٢٢٠ / ٨٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٨

(٣) جمهرة الأنساب : ٤١٥ (الطبعة الاولى)

الاجنبيات، ومن ثمّ ظلت العربية وحدها لسانا لهم، ومثل قبائل بلي سكان شلب وقراها - وأكثرهم من عرب اليمن - فقد ظلوا يحافظون على اللغة العربية الصريحة الى عهود متأخرة (١).

وعرب بلي الذين ذكرهم ابن حزم كانوا يسكنون شمالي قرطبة أى أنهم من أهل الأرياف، وهذا وجه الغرابة في عدم احسانهم الكلام " باللطينية " وكذلك هو وجه الغرابة في محافظة قرى شلب نفسها على صريح اللغة العربية، ذلك أنه يجب أن نقيم فرقا بين المدن والريف في شئون اللغة، فاذا كانت العامية العربية شائعة في المدن، فإن الأرياف قد غلبت عليها لهجة عجمية مشوبة ببعض العربية، أولا لاشتراك العناصر العربية فيها في شئون الحياة الزراعية وتأقلمها تدريجيا، وثانيا لقلّة الثقافة اللغوية الا لمن يستطيع الرحلة الى المدن، ولذا لا يستبعد شيوع العجمية الاندلسية في الأرياف والبادى بالاندلس، وذلك هو ما يذهب اليه الاستاذ لثي بروفنسال حين يقول: " ومن الطبيعي أن يكون ذلك (أى غلبة الرطانة الاسبانية) أظهر في الأرياف منه في المدن " (٢).

٨- هل هذه " اللطينية " التي يتحدث عنها ابن حزم هي " عجمية الاندلس " ؟ لقد ذكرت من قبل رأي منندث بدال في أن هذه العجمية كانت لهجات مختلفة من اللاتينية المحلية فيها ألفاظ قليلة من لغة القوط، وعندما ذكر ابن حزم تلك اللغة التي سماها " اللطينية " ذكرها في معرض كلامه عن لغة الحديث، غير أنه ذكر اللغة اللطينية في كتابه " التقويم لحد المنطق " فقال مرة: " على أن

(١) السروض المعظار : ١٠٦

Levi Provencal, Hist. vol.1 p.77.

(٢)

السؤال بما والسؤال بأى قد يستويان في اللغة العربية وينوب كل واحد من هذين اللغظين عن صاحبه ويقعان بمعنى واحد ، ومن أحكم اللغة اللطينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام ، فان فيها للاستفهام عن العام لفظا غير لفظ الاستفهام عن أبعاد ذلك العام ببيان لا يختل على صاحبه أصلا " (١) . وقال في الحديث عن الكمية : " وهذه عبارة لم تعط اللغة العربية غيرها وقد تشاركها فيها الكيفية ، وهذا يستبين في اللغة اللطينية عندنا استبانة ظاهرة لا تختل ، وهي لفظة تختص بها الكمية دون سائر المقولات العشر وللکيفية أيضا في اللطينية لفظ يختص بها اختصاصا بينما لا اشكال فيه ، دون سائر المقولات لا يوجد لها ترجمة مطابقة فسي العربية " (٢) . فهنا احتكام الى لغة ذات قواعد وأصول ، وأكبر الظن أن ابن حزم لم يعن باللطينية هنا ما عناه حين تحدث عن قبائل بلي ، فاللطينية هنا - فيما يهمل السي - لغة مكتوبة ، الا اذا افترضنا أن الفرق بين العجبية المحكية والاخرى المكتوبة فرق ضئيل أو معدوم ، وعندئذ نستطيع أن نقول في اطمئنان ان هذه العجبية لم تغلب عليها عناصر دخيلة بحيث تصبح رطانة دارجة .

١ - ويقول الأستاذ نكل ان هذه الاعجبية تمثلت في ثلاث لهجات كبرى وهي الارغونية والبلنسية والقشتالية (٣) ، ويبدو أن هذه اللهجات لم تكن متباعدة احداها عن الاخرى ، وأن نصارى قرطبة كانوا - لاجادتهم العجبية - يستطيعون فهمها والترجمة عن يتحدث بها وهذا يبدو واضحا في تاريخ الوفود الاجنبية على سلاط قرطبة ففي سنة ٣٦٠ / ٩٧١ وفد بون فليو سفير بيسل Borrell حاكم امارة برشلونة

(١) التقريب : ١٥

(٢) المصدر نفسه : ٥٢ وانظر أيضا ص ٥٤

(٣)

على الحكم المستنصر ، فجلس الحكم لاستقبال الوفد يوم السبت لاربع خلون من شهر رمضان من العام المذكور وتوجه في رسل هويل بن شير : جمهور بن الشيخ في قطع من الجند معه النفر من كبار النصارى بقرطبة المترجمين فقاموا بالترجمة عنه اليهم وعرض اليه (١) . وفي موضع آخر ذكر ابن حيان هؤلاء المترجمين وفيهم أصبح بن نبيل قاضي نصارى قرطبة واسمهم عيسى بن منصور وقومهم معاوية بن لب ومطران اشيلية عبيد الله بن قاسم (٢) . كذلك قام هؤلاء المترجمون بدور الترجمة عندما تلقى الحكم رسل حلونية عمه الطاغية أمير جليقية وفي هذه المرة فقد القاضي أصبح بن عبد الله بن نبيل ما كان له من حظوة لدى الخليفة لانه لم يحجم عن أن ينقل عن الرسل كلاما فيه بعض الجفاء في مخاطبة الخليفة وأمر بصرف الرسل وتوبيخهم وأتى ابن أصبح عن قضاء النصارى (٣) . وهذه المواقف جميعا تدلنا على أن بعض نصارى قرطبة كانوا يحسنون الترجمة عن وفود قشتالة وبرشلونة وجليقية وإذا لم يكن هؤلاء الترجمة من المتوسعين في اللغات كان من الحق أن نفترض أن معرفتهم بهذه اللهجات كانت ناشئة عن قربها من العجمية " الأم " . ويجب أن نلاحظ جلال المناصب التي كان يحتلها هؤلاء المترجمون بحيث لا نفترض أنهم كانوا يتخذون من الترجمة مهمة خاصة ، ثم ان اختيارهم من نصارى قرطبة دليل على ان اتقان " العجمية الأم " لم يكن أمرا ميسرا لغيرهم من المسلمين ، ولو لم يكن الأمر مقاما رسمياً لخلفيا لاستطعنا القول أيضا ان الحكم ويطانته لم يكونوا يعرفون من " العجمية " ما يمكنهم من التفاهم المباشر مع هؤلاء الرسل الاجانب .

١٠ - ولنا في التفرقة بين هذه العجمية ولغة الحديث التي سميت " عامية "

(١) المقتبس : الورقة ٧ (نسخة مدريد)

(٢) المصدر نفسه : الورقة : ٣٣

(٣) المصدر نفسه : الورقة : ٨٨

ما نستنتجه من قول ابن بسام في حديثه عن عل الوشاح في الخُرْجة : " يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز " (١) فهنا نوعان من اللفظ أحدهما يسمى عجميا والآخر يسمى عاميًا ، ونحن نعرف ما تبقى من موشحات أن الخُرْجات الاعجمية شي " غريب عن العربية ، وإن خالطته أحيانا ألفاظ مأخوذة من لغة العرب ، كما نعرف خُرْجات عامية ، ألفاظها عربية كلها وليس فيها لفظة واحدة أعجمية .

وقد حدثتنا المصادر عن بعض خصائص هذه العامية العربية فأنبأنا ابن حزم أن العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا هو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلفة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون في العنب : " العنب " ، وفي السوط : " أسطوط " وفي ثلاثة دنائير : ثَلَاثَدَا (٢) . وقال غيره انهم يقولون في التين : " تَيْن " وفي النوتي : " نَوْتِي " وفي القبيط : " قبيد " (٣) . واختلفت هذه اللهجة العامية في منطقة أندلسية دون أخرى فكان أهل شرق الاندلس يفتحون أول الكلمة من نحو " الحوت " و " المود " وينطقون بالتاء طاء ويلحقون آخر المصغر لاما مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في المذكر وهاء ساكنة (وهي اداة التصغير اللاتينية) فيقولون في تصغير حوت : " حوطله " و " حوطله " (٤) ، بل اختلفت بين المدينتين المتقاربتين أحيانا ، يقول ابن حزم : " ونحن نجد من سمع لغة أهل فحس البلوط - وهي على ليلة واحدة من قرطبة - كاد أن يقول انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة " (٥) ويورد ابن حزم تعليلا لهذا بقوله : " فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها

(١) الذخيرة ٢ / ١ : ١

(٢) الاحكام ١ : ٣٢

(٣) تشيف اللسان : الورة : ٤ نقلا عن تاريخ الادب الاندلسي ١ : ٢٠

(٤) بغية الوعاة : ٢٨٣

(٥) الاحكام ١ : ٣١

تبديلا لا يخفى على من تأمله " (١) وفي صفحات " لحن العوام " للزبيدي ألفاظ كثيرة لا بد أنها كانت سماعية ، وكان العامة يستعملونها في الأندلس كقولهم للامير من الروم " القصص " بدلا من القوس ويجمعون الكرم على " كرمات " وفي النسبة الى قبيلة كلب " كلبى " بكسر الكاف ، ويقولون للحظيرة تكون في الدار " حيرا " بدل " حائر " (ومنه حير الزجالي) ويقولون لموقف الدابة " صبل " بدل " اصطل " ويقولون يفر بكسر أوله الى غير ذلك من ألفاظ واستعمالات (٢) .

٤ - مقام اللغة عند الأندلسيين :

قد تحملنا الصورة السابقة على التوهم بأن اللغة العربية تضععت أمام هذه المنافسة القوية التي كانت تلقاها من العجمية ومن اللهجة العامية الدارجة ولولا التراث الأندلسي الغزير الذي وصلنا ، لما استطعنا أن نضع الى تلك الصورة صورة أخرى تمثل قوة اللغة وسيطرتها واضطلاعها بالفكر كله في شتى الميادين، والحقبة التي لم أستطع أن أدرسها في هذا البحث هي تاريخ اللغة في خدمة النواحي الفكرية وتميز الأندلس بطابعها اللغوي على مر الزمن ، فذلك انما يمثل دراسة تحتاج رسالة مستقلة ، أما في هذا البحث فقد قصرت جهدي على درس اللغة نفسها في تطورها ورسمت لحياتها خطا متدرجا مع الزمن من خلال جهود علمائها في التدريس والتأليف . فبجهود المفكرين والشعراء والكتاب من ناحية ، وجهود علماء النحو واللغة من ناحية أخرى لم تنهزم اللغة الفصحى أمام المنافسة القوية التي لقيتها من جارتها العجمية والعامية ، ولا ريب في أن للناحية الدينية والسياسية أثرهما في احتفاظها بقوتها ، ولكن الناحية الدينية كانت موجودة في المغرب مثلا ، ومع ذلك فان المغرب ، بمعناه الشامل ، لم يحقق

(١) الاحكام ١ : ٣١

(٢) لحن العوام : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٦ .

في ميدان اللغة بعضا يسيرا مما حققته الأندلس في العصور التي هي موضوع هذه الدراسة . ولقد اجتاز أبو علي القالي المغرب الى الأندلس فكانت شهادته في الحال اللغوية لدى الاقوام التي مرّ بها على النحو الآتي : " لما ذكرت القيروان وأنا أعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم فسي مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطويق هي منازلهم من العلم محاسبة ومتاسبة ، قال أبو علي : " فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج الى ترجعان في هذه الاوطان " فكان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ويتغنى عنهم عند المباحثة والمناقشة " (١) .

وليس لنا أن نحمل هذا الكلام محل المجاملة من القالي فقد وجدني الاندلس بينة لغوية صالحة ؛ حقا انها لم تكن لتتأثر بما كان قد تمّ في المشرق ولكنها كانت - على نأى هذا القطر - أحسن حالا من أكثر بلدان المغرب . ولذلك أعتقد أن عناية الاندلسيين باللغة كانت بالغة وهذا يظهر في أسلوب التعليم الذي اتبعوه للمبتدئين ، وأنا استعد هذا من شهادة ابن خلدون لاعتقادي أنه يصور ما كان عليه الحال في العصور الأولى من تأريخ التعليم بالأندلس فهو يحدثنا أن الاندلسيين يجعلون القرآن أصلا في التعليم ولكنهم لا يقفون عند ذلك كما يفعل سائر أهل المغرب وإنما يخلطون في تعليمهم رواية الشعر والترسل والأخذ بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط : " الى أن يخرج الولد من عمر الهلوسغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما " (٢) ويعلق ابن خلدون على هذا المنهج التعليمي لدى

(١) نفح الطيب ٤ : ١٥٠

(٢) المقدمة ج ٤ : ١٢٤٠

الاندلسيين بقوله : " وأما أهل الاندلس فأقادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي " (١). وإنما أحكم بأن كلام ابن خلدون ينطبق على العصور التي درست بها من استشهاده بعد هذا التعليق توا بمذهب أراد القاضي أبو بكر بن العربي أن يحدث في نظام التعليم . إذ أن ابن العربي قدم حسب نظامه الجديد تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس ، قال " لان الشعر ديوان العرب ويدعوا الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة " (٢). ومن رأى ابن العربي تأخير درس القرآن الى المرحلة الثالثة بعد الحساب وبذا يخالف ابن العربي مذهب أهل بلده في شي' ويقرهم على شي' ، وابن العربي شهد أواخر عصر ملوك الطوائف وتعلم في المشرق وعاد الى الاندلس أيام المرابطين . فما يقوله ابن خلدون عن الطريقة الجارية لدى أهل الاندلس ينطبق على العصور التي أدرسها لان ابن العربي إنما ينتقد الوضع الذي كان جاريا عليه الحال قبل عودته من رحلته .

ويتحدث ابن خلدون أيضا في موضع آخر عن هذه الملكة التي حدثت لأهل الاندلس في اللسان العربي فيقول : " وأهل صناعة العربية في الاندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والثقفة في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم ، فيسبق الى المبتدئ كثير من الملكة أشاء التعليم ، فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها " (٣). فابن خلدون يعمل هذه الملكة باعتقاد الاندلسيين على حفظ الأحوال حتى ان الاندلس

(١) المقدمة : ١٢٤٢

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : ١٢٧٨

لما كادت تضع منها العربية ظلت هذه الملكة موجودة في أهلها : " لان أهل اللسان العجمي الذين بهم تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلا للغة في الاندلس " (١) .

٥ - عوامل فعّالة في تطور العناية باللغة في الاندلس :

ولو قد اقتصر الأمر على هذه الروح في الحفاظ على لغة الدين من باب القيام بما تتطلبه العبادات ، والحفاظ على لغة رسمية للدولة تبلغ في التعبير عن سياستها أسمى الأساليب المقبولة في كل عصر ، لكان هذا النشاط التعليمي وحده عاملا قويا في ترسيخ هذه الملكة باللغوية في الاندلس . ولكن في كل عصر من هذه العصور التي سأتناولها بالدرس كانت هناك عوامل أخرى هامة في تنمية هذه الملكة وتطوير حركة التدريس اللغوي ومجالات التأليف : وفي طبيعة هذه العوامل هجرة الاندلسيين للأخذ عن علماء اللغة في المشرق والسعي الى لقائهم ورواية الاصول عنهم وكانت هذه الرحلة أحيانا تقف عند حدود الاندلس نفسها وأحيانا تتجاوزها الى القيروان وأحيانا تالت تكون ارتيادا لكثير من المناطق الثقافية في المشرق فهناك اذن ثلاثة درجات من الرحلة صغرى ووسطى وكبرى . ثم هناك هجرة بعض المشاركة من علماء اللغة يضيفون الى جهود اخوانهم الاندلسيين في هذا الميدان جهودا جديدة ، وهجرة الكتب المشرقية على مر الزمن الى الاندلس حتى اننا لنجد ثقافة كل جيل تال في الامور اللغوية لا تقتصر على الأصول القديمة وعلى ما ألفه الاندلسيون ، بل يضاف اليها دائما ما يجد من مؤلفات مشرقية . وقد تأزرت هذه العوامل جميعا ووجدت في حرص بعض الحكام الاندلسيين على تطوير الحياة الثقافية عامة ... ومنها اللغة ... عاملا

تويا حافظا الى التأليف والافادة .

ولست أعني ان اذكر هذه العوامل أنها كانت مقصورة الاثر على الميدان اللغوى ،
وانما هي عوامل عامة لها اثرها في جميع جوانب الحياة العلمية بالاندلس . غير
ان دراستي هذه تتحو نحو تبيان الحركة اللغوية ولذا لم أتحدث عن هذه
العوامل هنا الا بمقدار صلتها بهذا المجال وحده ، فذلك حسبي منها ؛ ولم
يكن من اليسير دراسة اثر كل عامل منها على حدة لتشابهها وتضافرها معا .
وعلى هذا فقد وقتت عندها في كل عصر من العصور محاولا أن أضع الى جانبها
عوامل أخرى جديدة نشأت من تطوّر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية
العامة ، ليكون بناء هذا البحث بناء تكامليا متدرجا .

الفصل الاول

بواكير الحركة اللغوية في الاندلس*

١ - نشوء طبقة المؤدبين اللغويين :

اجتمعت الحاجة الى تعليم اللغة للناشئة من الأندلسيين مع الدوافع المتعددة^١ التي كانت تشجع على الرحلة^٢ على خلق طبقة من المعلمين اخذت على عاتقها تدريس اللغة والنحو في مدن الاندلس، وبخاصة قرطبة وهي يومئذ دار القوم وعاصمة الدولة . ويمكن ان نطلق على هذه الجماعة اسم " المؤدبين " فبذلك الاسم عرفهم الاندلسيون ، وان كانت هذه اللفظة في المشرق تنصرف الى الذين كانوا يعلمون ابناء الخاصة . غير ان المؤدبين في الاندلس قاموا بالمهمتين معا فمنهم من كان يؤدب اولاد الخاصة ، ومنهم من كان يعلم ابناء العامة في المساجد . وتدل الروايات التي أوردها ابوبكر الزبيدي في كتابه " طبقات النحويين واللغويين " على قيامهم بهذين الامرين ، فكان المسمى طاهرا يؤدب بني هشام وبني حدير ، وهما عائلتان من اشراف قرطبة ، وكان صالح بن معافى يؤدب عند بني فطيس واستأدب الحكم المستنصر لبنيه^٣ عثمان بن سعيد المعروف بورش^(١) . وكان جابر بن غيث مؤدبا لولد الوزير هاشم بن عبد العزيز ، استجلبه لذلك من لبلبة الى قرطبة^(٢) . وكان ابن أرقم مؤدبا لاميير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، وكان أبوه محمد بن أرقم يؤدب ابناء

* كان جل اعتمادي في كتابة هذا الفصل على طبقات الزبيدي وتاريخ ابن الفرضي ، وما ذلك الا لان اكثر المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة لم تصلنا ، كما ان كتب المشاركة عالة عليهما فيما يتصل بهذه الحقبة . غير اني لم اكف بهما حين كتبت اجد المصادر الاخرى مسعفة على ذلك .

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٧ ، ٢٩٩ ، ٢٩٣

(٢) المصدر نفسه : ٢٨٩ ، وتاريخ ابن الفرضي ١ : ١٢١

الخلفاء (١). وكان هشام بن الوليد الغافقي يؤدب الامير عبد الرحمن (٢). ومن المؤدبين الذين لم يختصوا بأبناء الخاصة الغازي بن قيس الذي " كان ملتزماً للتأديب بقصر طبة أيام دخول الامام عبد الرحمن بن معاوية رضي الله عنه الاندلس " (٣)، وابو الغمر عبد الواحد بن سالم المعروف بالاحدب الذي توفي سنة تسع ومائتين (٨٢٥ م) ، وكان من أهل العلم بالنحو والتأديب (٤) . ومنهم احمد بن نعيم الذي أدب بجهان وطيطة (٥) ، وجابر بن غيث المتوفى سنة تسع وتسعين ومائتين (٩١١ م) الذي كان من أحد الناس في التأديب ، فقل من تأدب عنده الا وتعلق من العلم بمسكة " (٦) . ومنذ البداية كان هؤلاء المؤدبون قد اتخذوا التعليم حرفة يتعيشون بها ، دون ان يخالجهم شك في ان الاجر الذي يتقاضون حق من حقوقهم ، بل لقد جرت العادة ان يقبض المؤدب جملاً كلما بلغ احد تلاميذه مرحلة الاتقان والحدق لما تعلمه . وقد عرف هذا الجمال في الاندلس بالحدقة (٧) ، وتمسك بها المؤدبون وأبوا ان يتنازلوا عنها ، وعندما حاول بعضهم ان يسلبهم هذا الحق انكسروا ذلك ولجأوا الى تحكيم مؤدب من قدام المؤدبين قضى لهم باستمرار أخذ الحدقة ان كان ذلك " مما جرى عليه الناس " (٨) .

واذا استثنينا دور الخاصة ، حيث كان ابناؤهم يتلقون العلم على ايدي

-
- (١) طبقات الزيدى : ٣٠٦
 (٢) المصدر نفسه : ٣٠٨
 (٣) المصدر نفسه : ٢٧٦
 (٤) المصدر نفسه : ٢٧٩
 (٥) المصدر نفسه : ٢٨٢
 (٦) المصدر نفسه : ٢٨٩
 (٧) المصدر نفسه : ٢٧٨
 (٨) المصدر نفسه :

اولئك المؤدين ، وجدنا ان المجال الذي شهد نشاط هؤلاء المؤدين هو المسجد . وهذه الحقيقة يجب ان نتذكرها حين نتأمل الدور التثقيفي الذي قامت به هذه الطبقة ، ذلك ان الاندلس لم تعرف ما عرفه المشرق من أمر المدارس ، وانما بقي التعليم فيها قاصرا على المساجد ، او على دور المعلمين انفسهم (١) . حتى في المستوى الابتدائي الخالص كان المؤدب يجمع طلبته في المسجد . ويدل نص اورده الخشني على ان القاضي كان يجلس للحكم في الخصومات في ناحية من المسجد وفي الركن الثاني الذي يقابله جلس مؤمن بن سعيد مع من جلس اليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الادب (٢) . واكبر الظن ان الامر لم يستمر كذلك ، وان الطلبة المبتدئين - دون غيرهم - قد أفردت لهم دور خاصة يحفظون فيها القرآن ، واصبح القائمون فيها طبقة من المعلمين يسمون المكتبين ، وان ظلت كلمة مؤدب العامة تطلق عليهم . وفي زمن الحكم المستنصر كثر عدد هذه الكتائب ، قال ابن عذاري : " ومن مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذه المؤدين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالسي المسجد الجامع ، وبكل رخص من ارباض قرطبة ، واجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالي المسجد الجامع ثلاث ، وباقيها في كل رخص من ارباض المدينة " (٣) .

(١) انظر طبقات الزبيدي : ٢٩٩ ، ٣٣٦

(٢) قصيدة قرطبة : ١٠٣ - ١٠٤ ، اما مدى النظام في هذا الدرس فيدل عليه سائر النص ، ان يقول الخشني : " فتلاحي حدثان من جلاس مؤمن في شي " فرفع احدهما يده بخف فضرب صاحبه ١٠٠ الخ

(٣) البيان المغرب ٢ : ٣٥٨ ، وقد ذكر ابن حيان في حوادث سنة ٣٦٤ / أن الخليفة الحكم أنفذ تحسيس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم اولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة (انظر المقتبس) نسخة مديده ، الورقة : ١١٥) .

فروعاً

وكان نشاط هؤلاء المؤديين يتناول خبراً من العلم فيها الفقه والحديث
والاخبار والشعر . غير ان ما يهتفنا في هذا المقام انما هو مدى اثرهم في النواحي
النحوية واللغوية . ويجب ان لا ننغالي في تصور ما كانت تحسنه الجمة الغالبة من
هؤلاء المؤديين في هذه النواحي ، فقد لخص لنا الزبيدي في عبارة جامعة طبيعة
التحصيل اللغوي والنحوي الذي كانت تضطلع به تلك الطبقة من الناس فقال : " ولم
يكن عند مؤديي العربية ولا عند غيرهم من عني بالنحو كبير علم وذلك ان المؤديين
انما كانوا يعانون اقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها ، وتقريب
المعاني لهم في ذلك ، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها ، والاعتلال
لمسائلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا أبنية ، ولا يجيبون
في شيء منها " (١) .

واذا كان هذا الحكم اكثر شيء انطباقاً على عامة المؤديين فانه يصيب مسن
بعض نواحيه أيضاً اكابر المشهورين منهم ، اذ كان اهتمامهم كثيراً ما يدور حول امور
ابتدائية تتناول جانب الصواب والخطأ ، وقد يعجز بعضهم عن توجيه الحكم في أبسط
المسائل اللغوية ، هذا جودى النحوى وهو من أبرز المؤديين المبكرين ينكر أحدهم في
حلقة على الشاعر عباس بن ناصح عدم تشديده ياء النسب من لفظة " نصراني " في قوله (٢) ،

يشهد بالاخلاص نوبتها لله فيها وهو نصراني

فلا يستطيع المؤدب أن يقول شيئاً في تجهيز هذا التخفيف . ولذا نجد أن كثيراً
مما يدور في مجالس هؤلاء المؤديين انما يتناول بعض شئون يسيرة من مثل : " تقول

(١) طبقات الزبيدي : ٣٣٦ - ٣٣٧

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٩

للمرأة : أنت تؤدين كذا فكيف تقول للنسوة ؟ " (١) أو يدور الخلاف الحادث حول أيهما أصوب عند العرب : سودتك أو سيدتك (٢) ، وهكذا .

على أنني أحسب أن هذا الحكم يجيء جائرا في حق بعض البارزين من هؤلاء المؤدبين ، فقد كان كثير منهم يحسنون من المستوى اللغوي والنحوي ما يرتفع فوق ما تقدم بكثير ، وكان بعضهم ذا أصالة في تعليمه أو تأليفه ، بل إن الاندلسيين أنفسهم اتخذوا بعضهم مثلا أعلى في الفصاحة ، فكانوا إذا استفصحو رجلا قالوا : ما هذا إلا أبو حرشن (٣) وضربوا المثل بفصاحة بكر الكساني فقالوا : " أفصح من بكر الكساني " (٤) ومثل ذلك قالوا في الرشاش أحد أهل الحفظ للغة (٥) .

وكان كثير من أفراد هذه الطبقة ينزلون في نفوس الناس منزلة الاحترام لا لمدى ما أحرزوه من ثقافة فحسب وإنما لأن بعضهم كان يجمع في شخصيته بين الاخلاص في أداء الواجب التثقيفي والتقوى ، وقد وصف ناس منهم بالصلاح ، ولعل هذه الناحية الدينية هي التي كانت تكسبهم ثقة الناس فيعهدون اليهم بتتيف أبنائهم (٦) .

وكانت قرطبة - بحكم مركزها - تجتذب اليها أكثر المشتغلين بالعلوم اللغوية ، فهي مستقر الغازي بن قيس وعبد الله ابنه وعبد الملك بن حبيب ومحمد بن اسماعيل الحكيم والقلفاط والأقشيين والمذاكرة وغيرهم كثيرين . وقد اجتذبت اليها كثيرا من علماء

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٢

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٥

(٣) المصدر نفسه : ٢٨١

(٤) المصدر نفسه : ٢٨٣

(٥) المصدر نفسه : ٢٨٤

(٦) راجع أمثلة من هؤلاء المؤدبين الاتقياء في ترجمة : أبي عبد الله محمد بن عبد

الله ، طبقات الزبيدي : ٢٩٣ ، و ترجمة " البغل " ، نفس المصدر : ٢٩٢ ،

وترجمة صالح بن معاني : ٢٩٩

المدن الاندلسية الأخرى مثل جودى النحوى وهو موزورى الأصل ، والخشني وهو جيانى الأصل . ولكن بعض علماء اللغة آثروا بلادا أخرى اندلسية ، فلم تجتذبهم قرطبة اليها ، منهم خبيب الكلبي بمورور ، وأحمد بن نعم الذى تنقل بين جيان وطليلطة ، وأحمد بن بترى بقرمونة ، وثابت وابنه القاسم بمسوقسة ، وابو عمرو بن حجاج ، ومحمد بن سيف وعير بن عمر ، وابن وقاص القرشي ، والمروكي ، والمقصد ، وابو عمرو المورورى باشبيلية . ولكن هذا لا ينبغي أن أكثر النشاط انما كان في العاصمة ، وأنه لم يكن يقارنها في هذه الناحية الا اشبيلية ، وهي يومئذ تشبه ان تكون عاصمة ثانية .

٢ - الرحلة ولقاء العلماء المشاركة :

ولم يكن تحصيل هؤلاء المؤدين مقصورا على تجوالهم طلبا للعلم في المدن الأندلسية أو ما أسميته " الرحلة القصيرة " ، بل نقلهم الترحال اما الى القيروان وهي يومئذ من مراكز العلم المشهورة واما الى المشرق ، حيث كانوا يسعون للقاء العلماء المشهورين ، قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها . ولما أصبح الاندلسي العائد الى وطنه يشرف في نظر قومه لأنه غدا يروى عن " الشيخ " لم تعد الرحلة العلمية أمرا منوطا بالنية الدافعة للحج بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة ، وخاصة لدى الطلبة القادرين على تحمل أعباء السفر ، وهي أعباء جسيمة لا يحتمل بها سواه . أكانت الرحلة هبة أم بحرية . وما ان حلّ القرن الثالث حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسعون اليه كأنه " فريضة ثقافية " يؤدونها ، وهي تطول أو تقصر حسب الفترة التي يراها الطالب كافية لتحصيله ، أو تبسفه عليها ظروفه وأوضاعه المادية . ومن الطبيعي أن تكون الرغبات العلمية لدى هؤلاء الراحلين متنوعة متباينة ، فمنهم من يؤثر رواية الحديث ، ومنهم من يطلب الفقه ، ومنهم من يلتقي شعراء المشاركة ، ومنهم من يطلب اللغة والنحو ، وكثير منهم يجمع عددا من هذه الفروع

العلمية والأدبية في تحصيله ، وانما يهمننا في هذا المقام اولئك الذين استأثرت اللغة بجهودهم - في الاكثر - وعادوا معهم كتب لغوية من المشرق أو آثروا التأديب باللغة والنحو ، وقدموا هذين العلمين على سائر ما حصلوه . وقد لقي بعضهم مشاهير اللغويين في البصرة والكوفة ، امثال الأصمعي والسجستاني والكسائي ، بل توغل بعضهم في الطلب ، فلقي الاعراب وشافهم وأخذ اللغة عنهم مباشرة . ولا تسعفنا المصادر دائما على تبيين الاساتذة المشارقة الذين تتقف عليهم اولئك الراحلون ، من مؤدبين وغير مؤدبين - وهم كثر - ولكنني أقف عند نماذج من لقي اولئك الاعلام ،

- ١ - جودى النحوى (- ١١٨ / ٨١٤) ، لقي الكسائي والفراء وغيرهما (١) .
- ٢ - الغازى بن قيس (- ١١١ / ٨١٥) ، أدرك الاصمعي ونظراءه (٢) .
- ٣ - محمد بن عبد الله بن سوار ، لقي ابا حاتم والرياشي (٣) .
- ٤ - قاسم بن أصبغ ، لقي ابن قتيبة والمبرد وشعلبا (٤) .
- ٥ - محمد بن عبد الله الغازى ، لقي الرياشي واما حاتم (٥) .
- ٦ - محمد بن عبد السلام الخشني ، لقي المازني واما حاتم والرياشي (٦) .
- ٧ - الاقشيني (- ٣٠٧ / ١٢٠) ، لقي ابا جعفر الدينورى والمازني ، وانتسخ عن نسخة الأول كتاب سيبويه وأخذه عن الثاني (٧) .

-
- (١) طبقات الزبيدي : ٢٧٨
 - (٢) المصدر نفسه : ٢٧٧
 - (٣) المصدر نفسه : ٢٨٢
 - (٤) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٥
 - (٥) طبقات الزبيدي : ٢٨١
 - (٦) المصدر نفسه : ٢١٠
 - (٧) المصدر نفسه : ٣٠٥

٨ - منذر بن سعيد البلوطي ، لقي ابن ولاد بمصر (١) .

وينقسم هؤلاء العلماء الذين لقيهم الاندلسيون المهاجرون في مدرستين (اذا استثنينا ابن ولاد الذي ينتمي لمصر ، وابا جعفر الدينوري الذي قضى اكثر حياته بمصر أيضا) هما مدرستا البصرة والكوفة : واليك ترتيبهم في هاتين الفتيين :

طبة اللغويين والنحويين الكوفيين

علي بن حمزة الكسائي
أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء
محمد بن زياد بن الاعرابي
أبو عميد القاسم بن سلام
يعقوب بن السكيت

طبة اللغويين والنحويين البصريين

عبد الملك بن قويد الاصمعي
صرو بن عثمان بن قنبر ، سيهويه
أبو عثمان بكر بن محمد المازني
أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني
المعاس بن الفرج الرياشي
أبو المعاس محمد بن يزيد المبرّد
أبو اسحاق ابراهيم بن السريّ الزجاج
أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ابن قتيبة
محمد بن الحسن بن دويد

ومن هذا الثبوت يمكننا ان نرى كيف ان حملة اللغة والنحو في الاندلس كانوا - في اغلب الاحيان - تلامذة الطبة الاولى من اللغويين والنحويين المشاركة ، وأنهم منذ البداية نشروا في بلدتهم أصول المدرستين النحويتين اللغويتين ؛ مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ؛ الا ان تلامذة مدرسة البصرة كانوا ظاهريين في الاندلس على نظرائهم ، كما أصبح كتاب سيهويه لديهم هو غاية المتعلقين بالدراسات النحوية . وهذا أمر سيئال مزيدا من التوضيح في القرون التالية . ومن امثلة الاهتمام بهاتين المدرستين ما لقيه زعمما

(١) طبقات الزهيدى : ٣١٩

المدرستين : سيبيه والكسائي . فلقد رحل الاقشيين الى المشرق ولقي ابا جعفر الدينوري وانتسخ كتاب سيبيه من نسخه ، وأخذ عنه رواية ، وأخذ عن المازني (١) . وأما ابو وهب بن عبد الرؤف فقد طالع كتاب سيبيه ونظر فيه (٢) . وقد قرى الكتاب على محمد بن يحيى الرهاحي وأخذ عنه رواية (٣) . وكان جودى النحوى اول من ادخل كتاب الكسائي (٤) . وأما " البغل " فقد وضع مؤلفا في شرح كتاب الكسائي (٥) .

٣ - رحلة لغويين مشاركة الى الأندلس :

وتقابل هذه الرحلة الاندلسية الى المشرق هجرة بعض المشاركة الى الاندلس من لهم اهتمام باللغة والنحو ، ولدينا بعض أسماء هؤلاء الراحلين في هذه الفترة وهم - حتما - أقل عددا بكثير من نظرائهم الاندلسيين الراحلين الى المشرق ، ولم تكن غايتهم من الرحلة طلب العلم لان المشاركة كانوا يرون أنهم أوفر نصيبا من الاندلسيين في الشؤون العلمية ، ولذلك كانت لهم من الرحلة غايات أخرى منها التجارة ، أو التكسب عامة ، أو أسباب أخرى خاصة . ومن هؤلاء الراحلين ابو جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي (٦) ، وهو من ذلك الفريق المشرقي الذي كان يظن الاندلس قطرا متأخرا في الامور العلمية ، فلما شاهد ما فيها من نهضة علمية خرج معجبا بما رأى ، قال لمن سأل بعد عودته منها الى المغرب : كيف تركت الاندلس : " والله لقد رأيت بها ما لم أتوهم أن أراء مع نأى دارها ، لقد رأيت فقها وشعرا

(١) طبقات الزهيدى : ٣٠٥

(٢) المصدر نفسه : ٣٢١

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٦

(٤) المصدر نفسه : ٢٢٨

(٥) المصدر نفسه : ٢٩٢

(٦) ورد في طبقات الزهيدى : ٢٩٦ أن اسمه محمد بن هارون ، ولعل هنا سهوا فقد ذكره ابن الفري في تاريخه (١ : ٧٤) في من اسمه " أحمد " من الغرأ .

ونحويين وأدباء ... (١) ويبدو أن هذا البغدادي دخل الاندلس متجسسا ،
وتجول فيها أعواما ، ولكنه من الناحية العلمية نجد أن بعض الاندلسيين أخذوا عنه ،
كما أنه جلب معه بعض كتب ابن قتيبة وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ (٢) .

ومن المهاجرين رجل يعرف بالعجلي ، وقد هاجر الى الاندلس من العراق
ولا نعرف كثيرا عنه سوى أنه ضنّ بكتبه ومنعها من الطلبة واستدعى الناس للاملاء
عليهم بقرطبة فهرع اليه الناس بما في ذلك تلامذة الخشني ، وكانت اللغة من املاءاته (٣)
وقد أحدثت هجرة المشاركة بعض المنافسة بينهم وبين علماء الاندلس، فقد
انفض تلامذة الخشني عنه ولحقوا بالعجلي ، فما كان من أحد المخلصين للخشني الا
أن جلس في مجلس العجلي وخطأه في بعض ما يورده من اللغة ، فكان ذلك سببا في
انفضاض الناس من حوله ، ولما عرف الخشني ما قام به صديقه من أجله استدناه وقبل
بين عينيه شاكرا وقال له " نعم مستودع العلم أنت " (٤) .

وتبدو هذه المنافسة على وجهها الواضح في حال أبي محمد الاعرابي وهو
المهاجر الشرقي الثالث الذي تحدثنا عنه المصادر بوضوح . قدم هذا الاعرابي
من الحجاز ونزل باشبيلية على رئيسها ابراهيم بن حجاج (٥) ويسميه ابن حيان

(١) طبقات الزبيدي : ٢٩٠

(٢) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٧٤

(٣) طبقات الزبيدي : ٢٩٨

(٤) المصدر نفسه

(٥) ابراهيم بن حجاج ، كان واليا على اشبيلية من قبل عبد الله بن محمد . قال حيان بن
خلف : لما ملك ابراهيم بن حجاج اشبيلية وقرمونة وما والاها ، ارتفع ذكره ،
وبعد صيته ، واتخذ لنفسه جندا ، ورتب لهم الاوراق كفعل السلطان .
وكان فظلا على أهل الرب ، قائما لأهل الشر . ودحه الشعراء ومنهم
ابن عبد ربه . ومات عام ٢٨٨ / ٩٠١ . (انظر البيان
المغرب ٢ : ١٨٨ - ١٩٥) .

الاعرابي العذري ، اما الزبيدي فيدعوه الاعرابي العامري . وقد كان " نصيح اللهجة
 ذا قطع من الشعر مستحسنة " (١) . وربما أثار ما حصله من منزلة عند صاحبه ابن
 حجاج نفوس المشتغلين باللغة عليه ، فناصروه العداوة وتبعوا سقطاءه . فكان قاسم
 بن محمد احد اقرباء ابن حجاج كثير المنازعة له (٢) . وكان العامري يعتمد التقليل
 من شأن اللغويين امثال قاسم هذا ، او حسب ما روى الزبيدي كان " قليل الالتفات
 الى اهل العلم بالعربية مظهرها للغنى عنهم " (٣) . ويبدو انه كان يلقي عليهم المسألة
 في شئون اللغة والنحو استخفافا بهم وامتحانا لهم في آن واحد . من ذلك قوله لقاسم
 المذكور " يا ابا عمرو اتقول للمرأة انت تؤدين كذا ، فكيف تقول للنسوة ؟ فقد اختلط عليّ
 ذلك بسبب دخول أمصاركم ومخالطتي لكم " (٤) . وفي قوله هذا نلمس تهكمه بمن يحصلون
 اللغة من أهل المدن عن طريق التعلم ، واعتداده باعراييته . ومن سقطاءه التي
 تتبعوها بالنقد ، قوله ذات يوم حين شكر ابراهيم بن حجاج : ايها الامير ما سيّدتك
 العرب الا بحقك فانكر ابو الكوثر الخولاني عليه قوله سيّدتك بالياء وقال له :
 يا ابا محمد العلماء بالعربية ضدنا لا يقولون الا سودّتك . فقال : يخطئون ويصحفون ،
 فانتهر ابراهيم ابا الكوثر ، وقال : يتسورون على الاعراب في لغاتهم ويعارضون من
 ينطلق بالسليقة ! ... فنجّل ابو الكوثر وكتب بالخير الى يزيد بن طلحة العباسي
 المعروف بالفصح ، وكان من اشهر من بغري الاندلس من العلماء بالعربية ، فأجابه أن
 المعروف سودّتك بالواو ، وقال فلعل ما ذكره الاعرابي لغة لقومه . فعرض ابو الكوثر
 جوابه على الامير ابراهيم فلم يزد الاعرابي بذلك الا محكا ولجاجة ، وشدّ شكيمته

(١) المقتبس : ١٣

(٢) طبقات الزبيدي : ٣١٢

(٣) المصدر نفسه :

(٤) المصدر نفسه :

ابراهيم نصره وعصبة ، واحضر يزيد بن طلحة فوخه ، وذهب الى تثبيت قول الاعرابي فقال له يزيد اصلح الله الامير ان بيان العلم ليس يجي من جهة المغالبة وانما يصح بالانصاف (١) ...

على أن الفائدة العلمية التي كان ينقلها أمثال هؤلاء المهاجرين المشارقة لا توازي ما كان ينقله الراحلون الاندلسيون ، أولا : لقلة المهاجرين ، ثانيا ، أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا من طراز عال في علمهم واطلاعهم ، ثالثا : ان هدفهم لم يكن علميا في الغالب ، ولذلك فان الأثر الذي أحدثه المشاركة المهاجرون قبل ورود القالي يعد ظاهرة ضئيلة الأثر في الحياة العلمية بالاندلس .

٤ - هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس :

وأيا كان الامر فان هؤلاء الراحلين ، من اندلسيين ومشاركة ، هم الذين غدوا الدراسات اللغوية والنحوية في الاندلس ، لا بما جلبوه من علم مروي فحسب ، وانما بالكتب التي هاجرت معهم . وستظل هجرة الكتاب المشرقي في هذا العصر وفي ما تلاه من عصور ظاهرة هامة في تحديد التيار العام الذي تسير فيه الحياة اللغوية في الاندلس . فهي التي تقررنوع الكتب المتداولة لدى المدرسين والطلاب ، وهي التي توجه أيضا حركة التأليف الاندلسي .

ومن الطبيعي أن تكون أشد الكتب ذيوما في هذه الفترة هي كتب الأعلام التي ظهرت قبل نهاية القرن الثالث . وقد مرر بنا كيف ان ابا جعفر البغدادي أدخل كتب ابن قتيبة والجاحظ الى الاندلس ، وكيف ان الأقتشين انتسخ كتاب سيبويه . وهب ان المصادر لم تحدثنا تفصيلا عن سائر الكتب التي دخلت في هذه الفترة

(١) طبقات الزهيدى : ٢١٥ ، والمقتبس : ١٤

فلسنا نحمد عن الصواب حين نتصور ان كثيرا من كتب الاصمعي والكسائي والفراء والمازني وابن ولّاد قد عرفها الاندلسيون وتداولوها . " وذكر بعض الرواة ان وهب بن نافع اخذ كتب ابي عبيد عن علي بن ثابت وابي جعفر محمد بن وهب المسعوي وهو اول من أدخلها الاندلس، وأول من أخذت عنه ، ثم أدخلها الخشني بعده " (١) . واهتم الاندلسيون الراحلون أيضا بكتاب العين للخليل ، فيقال ان قاسم بن ثابت واباء اول من أدخله الى الاندلس (٢) . كذلك رواء في المشرق موهب بن عبد الظادر الباجي وكتبه ؛ وجمع هذا الرجل وقتر جعل من الكتب المشرقة في عودته الى وطنه ، ولكنه توفي قبل ان يبلغه . وكان من نصيب كثير من كتبه ان تصل مع المرافقين له من أهل بلده (٣) كذلك اهتم منذر بن سعيد بهذا الكتاب فرواه بمصر عن ابي العباس بن ولّاد ، وأدخل معه نسخة منه عند عودته الى قرطبة . وهي نسخة وقعت من بعد الحكم المستنصر، وطلب الى فاسلماء اللغة يومئذ مقارنتها على غيرها من النسخ ، وظهرت كثيرة التصحيف والخطأ والتبديل (٤) .

غير أن بعض هذه الكتب لتي من القبول أكثر مما لقيه سواء . ونخص بالذكر كتاب سيويه وكتاب العين للخليل وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد وكتاب معاني القرآن لابن قتيبة . وإذا كان الاول والثاني من هذه الكتب لم يتضح اثرهما تماما الا في القرن التالي ، فان الكتابين الثالث والرابع ، اعني الغريب المصنف ومعاني القرآن ، يفسران لنا طبيعة التأليف في هذا العصر الذي نتحدث عنه ، الأمر الذي سأوضحه بعد قليل .

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٦٠ . وقد توفي وهب المذكور سنة ٢٢٣ / ٨٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٤٠٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٥٢ .

(٤) جذوة المقتبس : ٤٢ ، ٣٢٦ وتاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٢ .

واود أيضا ان اميز الغريب المصنف من هذين الكتابين نظرا لما لقيته كتب
 ابي عبيد^(١) على اختلاف موضوعاتها من اهتمام علماء الاندلس في هذه الفترة . وقد
 انتقلت رواية هذه الكتب الى المثقين الاندلسيين من خمس طرق ، أ - طريق طاهر
 بن عبد العزيز (- ٣٠٥ / ٩١٨) وكان هو اول من ادخل هذه الكتب الى
 الاندلس^(٢) . ب - طريق محمد بن عبد السلام الخشني وهو ثاني رواية نقل هذه
 الكتب الى الاندلس^(٣) . ج - طريق عيسى بن شذانق^(٤) . د - طريق عيسى بن
 أيوب^(٥) . وهؤلاء الاربعة تتصل روايتهم مباشرة عن علي بن عبد العزيز تلميذ ابي عبيد .
 هـ - طريق وهب بن نافع الذي اخذ كتب ابي عبيد عن علي بن ثابت^(٦) . وهذه الطرق
 جميعا - وربما وجد غيرها - تدل على مبلغ ما لقيته مؤلفات ابي عبيد من اهتمام
 الراحلين . غير ان ابرز الرواة الاندلسيين جميعا من كانت تؤخذ عنه هذه الكتب
 هو محمد بن عبد السلام الخشني .

٥ - النشاط الشفوي في ميدان اللغة :

ويبدو ان النشاط التأليفي في هذا العصر ظل ضعيفا
 محدود المجال ، وان حياة اللغة غلب عليها الجانب الشفوي . فنحن نقرأ تراجم
 عشرات من المهتمين باللغة والنحو من ترجم لهم الزبيدي وابن الفريسي فلا نجد في

(١) لأبي عبيد القاسم بن سلام عدد كبير من المؤلفات منها : الغريب المصنف ، الامثال ،
 غريب الحديث ، معاني القرآن ، كتاب في القراءات ، كتاب في الاموال
 (انباء الرواة ٣ : ١٤ - ١٥) .

(٢) طبقات الزبيدي : ٢٩٢ ؛ تاريخ ابن الفريسي ١ : ٢٤٣ .

(٣) تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٦

(٤) المصدر نفسه ١ : ٣٢٥

(٥) المصدر نفسه ١ : ٣٢٥

(٦) المصدر نفسه ٢ : ١٦٠

ترجماتهم ذكروا لكتب ألفوها . وحسب المترجم في هذه الناحية ان يقول : " كان من أهل العلم بالعربية واللغة " (١) ، او يقول : " كان له حظ من اعراب ولغة " (٢) ، او يقول : " كان له بصر تام بالنحو واللغة " (٣) ، او يقول : " كان متقدما في معرفة لسان العرب والبصر بلغاتها " (٤) ، وما أشبه ذلك من تعميمات ليس فيها دقائق تفصيلية . وقد يشير كل ذلك الى ان اكثر جهود الاندلسيين يومئذ صرفت في تدريس الكتب المهاجرة او في المناقشة الشفوية لأسور جزئية . وفي هاتين الناحيتين لا تضمن علينا المصادر ببعض الاخبار الغفيدة . فقد ذكر الزبيدي ان يوسف البلوطي الذي كان يؤدب عند بني حدير " كان يقرأ عليه كتاب الادب وكتاب يعقوب في اصلاح المنطق، ونحو ذلك من كتب اللغة " (٥) . ولا ريب في ان كتاب الادب في هذا النص يعني كتاب " ادب الكاتب " لابن قتيبة (او ادب الكاتب كما يدعى احيانا) . وكان موسى بن أزهري الاستجي العالم اللغوي : " يقرأ عليه شرح الحديث والغريب المصنف " (٦) . واما المناقشة الشفوية فهي المجال الأكبر لطلاب اللغة والنحو والمتطلعين الى معرفة ما خفي عليهم من شئون هذين العلمين . ولنا في " المذاكرة " مثل نموذجي من هذا القليل . و " المذاكرة " هذا هو المنذر بن عبد الرحمن ، لقب بهذا اللقب " لانه كان اذا لقي رجلا من اخوانه قال له هل لك في مذاكرة باب من النحو ، فلهج بهذه الكلمة واكثر منها حتى نبز بها " (٧) . وكان اطلاقه في العربية موفورا ، ولذلك كان

(١) طبقات الزبيدي : ٢٨٧

(٢) المصدر نفسه : ٣١٤

(٣) المصدر نفسه : ٣٢٧

(٤) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٤

(٥) طبقات الزبيدي : ٣٢٣

(٦) المصدر نفسه : ٢٩٩

(٧) المصدر نفسه : ٣١٠

علمه ضربا من الرواية التي ينحو بها منحى الأُحجية . شاهد يوما سيفا مع القائد ابن ابي
عبدة فأخذه وسمى أجزائه بما سمّتها به العرب ، فعجب جميع من شهد المجلس من سعة
علمه وصحة حفظه (١) . كذلك كان هذا النشاط الشفوي مصدرا كبيرا للمعرفة اللغوية ،
وخاصة في أوائل هذه الفترة ، إذ لو كان التأليف اللغوي متوفرا يومئذ في قرطبة لما كان
الامير نفسه يرسل البريد الى عالم لغوي يعيش في منطقة نائية ليسأله عن مسألة لغوية
جرى الاختلاف فيها بين علماء اللغة في العاصمة . يقول الزبيدي في ترجمة خصيب
الكلي : " كان خصيب ساكنا بمورور وكانت المشيخة من أهل مورور يذكرون ان
الفرانق كان يأتي من قرطبة من الخليفة محمد رضي الله عنه الى خصيب يستفتي في
الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم " (٢) . ولا يخلو هذا الاتجاه الشفوي
من معارك يستدعيها اللجاج في الجدل أحيانا كما لا يخلو من التنافس والتحاسد بين ذوي
الحرة الواحدة المتنافسين على اكتساب قلوب الطلبة ، حسبما هي الحال في كل زمان ومكان .
ومن صور هذا التحاسد ما نشأ بين أحمد بن بشر بن الاغبس وعبد الملك بن شهيد من
ناحية ، وبين عفير بن مسعود الغساني من ناحية أخرى ، فقد استخرج الاثنان الأوّلان
من كتاب العين حروفا مهمة ونسخا من ذلك دفترا ضخما ولقيا عفيرا بالكتاب ، وقصدهما من
ذلك أن يثبتا عليه عدم الاطلاع وأن يوقعا عليه تهمة الغفلة ، ولكن عفيرا أبطل جميع
ما جاءا به وأسقطه ونفى ان يكون من كلام العرب ، واضطر خصماءه ان ينزلا على
حكمه ويعترفوا بعلمه وينبئوا الى الحق (٣) .

كذلك فان ذلك الجدل الشفوي لم يكن يخلو

-
- (١) طبقات الزبيدي : ٣١١ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٩٩ .

من تعامل للدلالة على سعة الرواية ، مثلما كانت حال ابي عمرو بن حجاج الذي كان ينحو نحو الغريب والتعقّر في اللفظ^(١). وحال سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش فانه كان أيضا شديد التعقير في كلامه^(٢). غير ان هذه الظاهرة الاخيرة من اقل الظواهر لدى لغويي الاندلس شيوعا ، وما ذلك الا لانهم سيشغلون بعد قليل بالمحافظة على سلامة اللغة دون الاسراف في انتحاء غرائبها . فمن الظواهر التي تلفت النظر في تاريخ اللغة في الاندلس تسرب الخطأ الى الكتابة . وقصة ابن فطيس الوزير الذي كتب الجخطب بالطاء في رسالة وأنكر عليه الزبيدي ذلك ، فلم يصغ اليه ، ليست الا نموذجا واحدا من هذا الخطأ^(٣). وقد اشار الزبيدي الى ان هذا اللون من الخطأ ضمنته الشعراء اشعارهم واستعمله جلة الكتاب^(٤). ولا ثقل ان كلام الزبيدي ينصرف الى عصره فحسب وانما ينصرف بنفس القدر الى مقدمات عصره .

٦ - حركة التأليف اللغوي حتى أواخر القرن الثالث :

ذلك هو حال النشاط الشفوي في ميدان اللغة . فاذا ذهبنا نتلمس النشاط في التأليف وجدنا ثمرة حفزت اليها مجالس التدريس من ناحية ، والاحتذاء للكتب المشرقية المهاجرة من ناحية أخرى . وأكبر ما يميز التأليف اللغوي في هذه الفترة عدم انفصاله عن الحديث . وذلك هو الاثر المباشر الذي تركه كتاب " الغريب المصنف " لابي عبيد القاسم بن سلام في نفوس اللغويين الاندلسيين . فأبرز المؤلفات اللغوية التي ظهرت يومئذ انما تتعلق باللغة من حيث صلتها بغريب الحديث .

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٢ .

(٢) المغرب ١ : ١١٤ .

(٣) لحن العوام : ٨ ، لم يذكر الزبيدي اسم الوزير ، وانما ذكره صاحب

الذيل والتكملة ، انظر ٥ : ٧٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٧ .

وهؤلاء المؤلفين فريقتان ، ففريق ألف كتابا او كتبها ولكن المصادر لم تذكر شيئا عنها ،
وفريق نعرف كتبهم بأسمائها . فمن الفريق الاول

- ١ - جودى النحوى (- ١٩٨ / ٨١٤) ، وله تأليف في النحو (١) .
- ٢ - ابن ابي غزالة . له كتاب ألفه في العربية (٢) .
- ٣ - خبيب الكلبي . له كتاب مصنف في اللغة نحو مصنف ابي عبيد (٣) .
- ٤ - ابو بكر بن خابط المكفوف (بكر بن خابط حسب رواية ابن الفريسي) .
له تأليف في النحو (٤) .
- ٥ - ابو الاصمغ عثمان بن ابراهيم البر شقيقى . له تأليف في النحو (٥) .
- ٦ - يحيى بن عبد الرحمن الملقب بالابيض (- ٨٧٧ / ٢٦٣) . * الف في
النحو كتابا اخذه الناس عنه (٦) .
- ٧ - ابو الحسن مفرج بن مالك النحوى ، الملقب بالبغل . له كتاب في
شرح كتاب الكسائي (٧) .

ومن الفريق الثاني :

- ١ - عبد الملك بن حبيب (- ٨٥٤ / ٢٣٩) (٨) . غلبت عليه شهرته في

-
- (١) طبقات الزبيدي : ٢٧٨ .
 - (٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .
 - (٣) المصدر نفسه :
 - (٤) المصدر نفسه : ٢٩٧ ؛ تاريخ ابن الفريسي ١ : ١١٢ .
 - (٥) المصدر نفسه : ٣٣٤ .
 - (٦) تاريخ ابن الفريسي : ٢ : ١٧٩ .
 - (٧) طبقات الزبيدي : ٢٩٧ .
 - (٨) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٨٢ ؛ تاريخ ابن الفريسي ١ : ٣١٢ ؛
جذوة المقتبس : ٢٦٣ ؛ بغية الملتبس رقم ١٠٦٣ ؛
الديباج المذهب : ١٥٤ ؛ تذكرة الحفاظ : ٥٣٧ .

الفقه والحديث ، ولكنه كان جامعاً لضروب الثقافة الاسلامية وقد ذكره ابن الفريسي في كتابه طبقات الادباء فجعله صدراً فيهم وقال : انه كان فقيهاً مفتياً نحوياً لغوياً نساباً اخبارياً عروضاً فائقاً شاعراً محسناً مترسلاً حازقاً (١) . وله مؤلفات جمّة يهمننا منها في الجانب اللغوي كتابه في غريب الحديث . كذلك سماء ابن الفريسي في ثبت كتب عبد الملك . واعاد ابن فرحون ذكره بهذا الاسم . ثم ذكر ابن الفريسي في ترجمة مجاهد بن أصبغ البجاني قوله " وقرأت انا عليه كتاب شرح غريب العوطاً لابن حبيب " (٢) ، ويبدو أنهما تسان من كتاب واحد (٣) .

٢ - محمد بن عبد السلام الخشني (- ٢٨٦ / ٨٩٩) (٤) . رحل الى العراق وغيره من البلاد ، وكان من شيوخه محمد بن المغيرة ، ومحمد بن وهب المسعري صاحباً ابي عبيد القاسم بن سلام وعنه اخذ كتب ابي عبيد وأدخلها الاندلس . وقد أقام في هذه الرحلة متجولاً خمساً وعشرين سنة . وقلب عليه طلب الحديث وحفظ اللغة لانه لقي في أثناء رحلته أيضاً كثيراً من أئمة اللغة كالسجستاني والرواشي والزبادي فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية الاصمعي ، وغيره . وكان تدريس اللغة في قرطبة يمثل جانباً من نشاطه . وقد ألف في شرح الحديث كتاباً فيه من الغريب علم كثير .

٣ - قاسم بن ثابت (- ٣٠٢ / ٩١٥) (٥) . رحل مع ابيه ثابت الى

(١) الديباج المذهب : ١٥٤ .

(٢) تاريخ ابن الفريسي ٤٢ : ١٤٨ . (٣) راجع الديباج المذهب : ١٥٥ .

(٤) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٩٠ ، تاريخ ابن الفريسي ٢ ، ١٦ ، جذوة

المقتبس : ٦٣ ، بغية الملتبس رقم : ٢٠٢ ، تذكرة

الحفاظ : ٦٤٩ .

(٥) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٣٠٩ ، تاريخ ابن الفريسي ١ : ٤٠٢ ،

جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتبس رقم : ١٣٠٠ ، وانباء

الرواة ٣ : ١٢ ، ١ : ٢٦١ ، بغية الوعاة : ٣٧٦ ، الديباج

المذهب : ٢٢٣ ، فهرسة ابن خير : ١٩١ ، ونفح الطيب

٢ : ٢٥٥ .

المشرق سنة ٢٨٨ / ١٠١ ، وعني هو وأبوه بجمع الحديث واللغة . وكان قاسم مقدما بالمعرفة في الغريب والنحو . وقد ألف كتابا في شرح غريب الحديث ومعانيه ، وهو المسمى بكتاب " الدلائل " ، وبلغ من جودته أن نال عليه ثناء العلماء . روى الزبيدي عن القاضي أنه قال : " لم يؤلف بالاندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتابا^{كتبا} الفت فيما لديكم ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعت نما رأيت صنع شيئا ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب " (١) . وقد بلغ من إعجاب القاضي به أن أخذه على ولد القاسم وما كان ولده أهلا لأن يؤخذ عنه . وقال فيه ابن حزم : " ما شاء أبو عبيد الا بتقدم العصر " (٢) . وقال الحميدي ان ابنه ثابت زاد في هذا الكتاب زيادات ، وأظنه وهم في ذلك ، إذ أن المصادر الأخرى ذكرت أن ثابت الأب هو الذي أكمل الكتاب بعد أن شكل ابنه في حياته ، أما ثابت الابن فقد روى الكتاب عن جده إذ كان صغيرا حين توفي أبوه (٣) . وعن ثابت الابن انتقلت روايته في سائر الاندلس على مر الزمن . ومن نظر الى طرق الرواية التي اثبتتها ابن خير لهذا الكتاب عرف مبلغ ما أحرزه من شيوخ لدى علماء الاندلس من بعد هذه ثلاثة كتب في اللغة ، او ان شئت الدقة قلنا في غريب الحديث ، لم تصلنا . ولكننا اذا استأنسنا بحكم القاضي عليها عرفنا أن ثالثها ، وهو كتاب قاسم ، كان أكثرها اتقاناً ، حتى عند مقارنته بأمثاله من كتب أهل المشرق . ولهذا قال الزبيدي ، " لسو قال اسماعيل (القاضي) أنه لم ير بالمشرق كتابا أكمل من كتاب قاسم في معناه لما

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٩ .

(٢) جذوة المقتبس : ٣١٢ .

(٣) فهرسة ابن خير : ١٩١ .

رددت مقالته» (١) .

وفيما عدا ما تقدم ذكره من مؤلفات لغوية ونحوية ، عرفت اسمائها اولم تعرف ، لا نعرف جهدا آخر يستحق التتويه سوى ما صنعه زيد بن سليمان الحجري المعروف بالبارد (- ٣٠٠ / ٩١٣) ، فانه جمع بين الابواب في كتاب الاخفش ، واقتدى الناس به ، وكانت الابواب مفرقة (٢) .

٧ - أشهر المدرسين وتلامذتهم :

على أننا اذا اقتصرنا في النظر الى النشاط اللغوي على ^{حرمنا} التأليف عرفنا ذلك رؤية الجانب الاكبر من هذا النشاط المعتمد على حلقات التدريس . ففي هذه الحلقات تخرج اكثر تلامذة اللغة والنحو في الاندلس ولم يكن المرتحلون الى المشرق العائدون بالكتب المشرقية الا أساتذة لاولئك العشرات من الطلبة الذين اتجهوا وجهة الدراسات اللغوية والنحوية . وليس من اليسير ان نحصر اساتذة اللغة في هذا المقام وتلامذتهم الذين غلبت عليهم الثقافة اللغوية . ولهذا اكتفي بأن أعرض ثلاثة نماذج متفاوتة للتعرف الى الجهود الدراسية في ميدان اللغة ، وعدد من تخرج في هذه الدراسات ممن أصبحوا حملة اللغة في القرن التالي .

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٩ ، أقول ، وقد بلغ من ا كبار الاندلسيين لهذا الكتاب أن جلسوا قول التالي " لم يؤلف بالاندلس " - ولم يقل " لم يؤلف بالمشرق " محملا نسبوه فيه الى التعصب (انظر تاريخ ابن الفريسي ١ : ٤٠٣) .

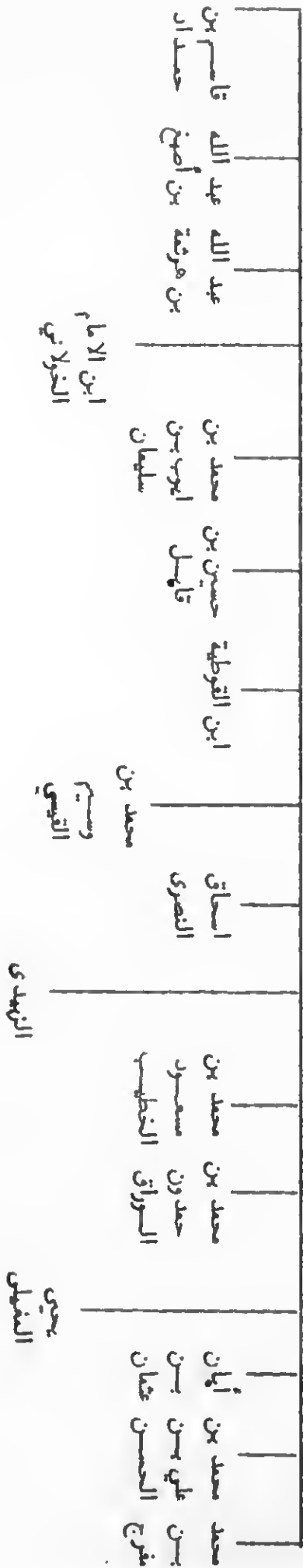
(٢) طبقات الزبيدي : ٣٠٨ ، والتكملة : ٣٣١ . وذكر القفطي هذا عنه في انباء الرواة ٢ : ١٥ ، وبغية الوعاة : ٢٥٠ . وأغلب الظن ان الاخفش المشار اليه هو سعيد بن مسعدة الاوسط ، المتوفى سنة ٢١١ / ٨٢٦ او ٢١٥ / ٨٣٠ . اما كتابه المشار اليه فليس من اليسير تعيينه لان له عدة كتب (انظر الانباء ٢ : ٤٢) .

وابرز المدرسين اللغويين ممن تخرج على يديه اكبر عدد من الطلبة هو قاسم بن أصبغ البيماني^(١). وقد سمع في رحلته من علي بن عبد العزيز تلميذ أبي عبيد كما سمع من ابن قتيبة والمبرّد وشعلب . ولكن الطلبة كانوا اكثر اليه اقبالا ليدرسوا عليه كتب ابن قتيبة . وهذا جدول بدارسي اللغة الذين أخذوا عنه^(٢) :

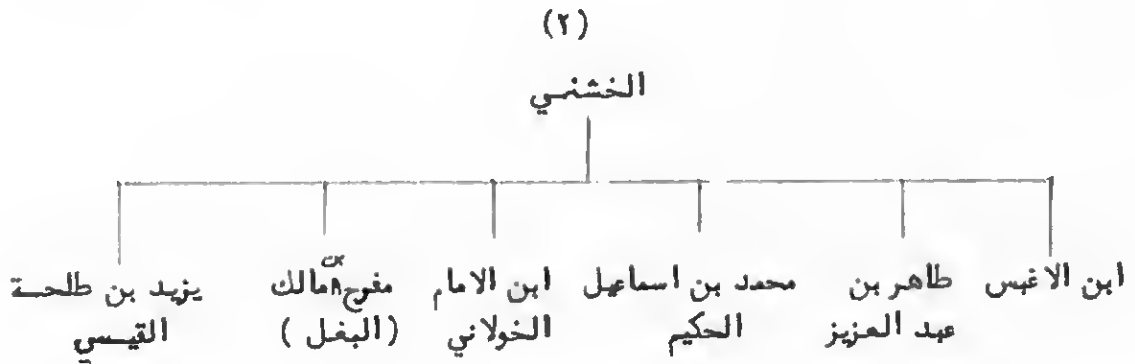
(١) ترجمة قاسم بن أصبغ في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٦

(٢) اعتدت في حصر أسماء الطلبة على كتابي ابن الفرضي والزبيدي ، والاول منهما اكثر غناية بذكر الشيخ والطلاب في الترجمات التي اوردها .

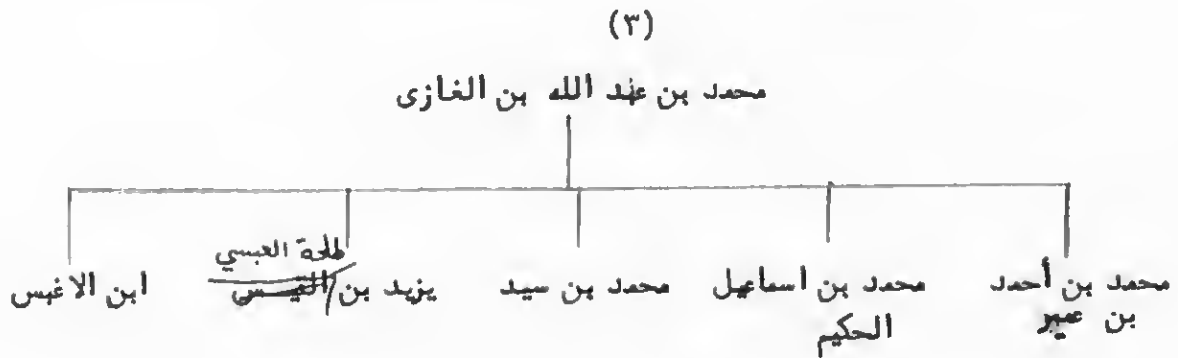
کتاب



فهؤلاء ستة عشر تلميذا ممن درسوا على قاسم ثم كانت اللغة أهم بضاعة لهم . وثاني هؤلاء المدرسين هو الخشني ، وليست قلة العدد في تلامذته دليلا على أنه كان أقل حظا من قاسم بن أصبغ ولكن أكثر الطلبة الذين درسوا على الخشني انما اتفهموا وجهات علمية أخرى غير الوجهة اللغوية . وهذا جدول بأهم تلامذة الخشني اللغويين



والنموذج الثالث يمثل محمد بن عبد الله بن الغازي ، وهذا جدول بتلامذته



وتطلعنا هذه الجداول الثلاثة على الحقيقتين التاليتين :

(١) أن الطالب لم يكن يكتفي بالتردد الى مدرس واحد ومن أمثلة ذلك الحكيم

(٢ ، ٣) ويزيد بن طلحة (٢ ، ٣) وابن الامام الخولاني (١ ، ٢)

(٢) أنه لم ينل من هؤلاء الطلبة شهرة العالم في القرن التالي سوى اثنين هما

الزبيدي وابن القوطية ، وهما تلامذة قاسم بن أصبغ .

وهؤلاء جميعا سيكونون أساتذة اللغة في القرن الرابع هم والمبكرون في الاخذ عنهم ممن تلامذتهم . وباستثناء الزبيدي وابن القوطية كان من الممكن أن تظل صورة القرن الرابع من حيث النشاط اللغوي المحلي تديسا ومناقشة وما الى ذلك من نشاط شفوي . وليس من استباق القول في هذا الوطن أن أشير الى أن صورة القرن الرابع اللغوية قد تغيرت كثيرا عن هذا ، اذ كانت حافلة بألوان من التأليف اللغوي المشوع . ومعنى ذلك أن هناك عوامل تدخلت في توجيه الحياة اللغوية في ذلك القرن ، وهي ما سنقف عنده في الفصل التالي .

٨ - هل كان هذا النشاط اللغوي النحوي وفقا على العناصر العربية في الاندلس :

ذلك سؤال قد يضطر الدارس الى طرحه في كل حقبة من حقبة هذه الدراسة ، ولكن اهميته في هذا المقام اشد ، لان الاجابة عليه يمكن ان تصور لنا الى اي حد تعرّبت العناصر غير العربية في الاندلس ، واقبلت تشاارك بجهودها في دراسة اللغة العربية .

ان التراجم التي وصلتنا لهؤلاء العلماء لا تشير دائما الى انسابهم ، كما ان النسب العربية التي تطلق عليهم لا تدل على انهم عرب أصالة ، اذ كان من حق الموالي ان يتخذوا تلك النسب . ولكن الاخبار اليسيرة التي لدينا تدل على ان الموالي والبربر وبعض المولدين الأندلسيين شاركوا في هذا النشاط . فكان الاقشيين

مولسى الامير منذر بن محمد^(١). وكان عافى بن سعيد مولسى بنى سيد^(٢). وكان والد عباس بن ناصح عبدا لمزاحمة بنت مزاحم الثقفي^(٣). وكان محمد بن زيد مولى الامير عبد الرحمن بن الحكم^(٤). وكان قاسم بن أصبغ مولى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك. وكان ثابت وابنه قاسم من أصل بربرى ينتسبان الى عوف بالولاء، قال زكريا بن خطاب: "هم من البربر يتولون زهرة بن كلاب"^(٥). وقال ايضا في حديثه عن ثابت: "هو مولى بنى زهرة مولى علاة، وهم من البربر، وانتفاء البربر الى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك المشرق (سرقطة) كثير جدا لا ترى أحدا من البربر يذكر ولا زهرة، الا الشاذ منهم"^(٦). ومن اشهر من عرف باللغة من مسلمة الذمة عبد الله بن عمر بن الخطاب من أهل اشبيلية^(٧). ويقال ان عبد الملك ابن حبيب السلمي انما كانت نسبته الى سليم بالولاء وقيل انه من أنفسهم^(٨).

(١) طبقات الزيدى : ٣٠٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٣٤ .

(٣) المغرب ١ : ٣٢٤ .

(٤) طبقات الزيدى : ٣٣٥ .

(٥) فهرسة ابن خير : ١٩٣ .

(٦) المصدر نفسه

(٧) تاريخ ابن الفريسي ١ : ٢٥٥ .

(٨) الديهاج المذهب : ١٥٤ .

الكتاب الثاني

الحركة اللغوية بالاندلس

في القرن الرابع الهجري

الفصل الثاني

عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

١- العوامل الجديدة

أ - تعهيد :

هذا هو عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ / ١١٣-١٦١) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ / ١٦١ - ١٢٢) والحاجب المنصور بن أبي عامر (- ٣٩٢ / ١٠٠٢) على التوالي . وفيه بلغت الاندلس ذروة المجد السياسي والوحدة السياسية في ظل الأمويين والعمانيين ، كما بلغت فيه قرطبة من العمران أقصى ما وصلت إليه ، فأصبحت الدولة خلافة (بعد ان كانت إمارة) تشمل أكثر أجزاء الاندلس ، فهي قبلت الانظار في الناحيتين السياسية والحضارية . أما في الناحية السياسية ، فأية هذا الذي بلغت أصداء شهرتها في العالم الخارجي تلك الوفود التي وفدت في أيام الناصر وابنه الحكم لتعقد أواصر التحالف والصداقة مع الدولة الأموية في الأندلس . ذكر صاحب النفع نقلا عن ابن حيان وغيره انه " لم تبق أمة سمعت به (أي الناصر) من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فانه هاء وروغب في مواعده ، وكان وصول أرساله في صفر سنة ٣٣٨ / ١٤١ (١) ، او ٣٣٦ / ١٤٢ ، حسب قول ابن خلدون (٢) . كذلك ترددت مثل هذه الوفود الى قرطبة أيام ابنه الحكم

(١) نفع الطيب ١ : ٣٤٣ ، وأزهار الرياض ٢ : ٢٢٢

(٢) تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٢ .

المستصر^(١). ولم تكن هيبة الحكم في أيام المنصور بأقل مما كانت عليه في أيام الناصر والحكم المستصر . وأما في الناحية الحضارية فان قرطبة والزاهرة والزهراء على مقربة منها أصبحت مثلثا نموذجيا لأرقى ما بلغته المدنية يومئذ في شكلها المادي . وكان كل هذا يتطلب اهتماما خاصا بالنواحي الثقافية حتى تكتمل الصورة الحضارية . فاذا قلت ان هذا العصر يتميز بنهضة عامة في نواحي العلم بالنسبة للعصر السابق فما ذلك الا لأن عوامل ايجابية جديدة قد دخلت في توجيه الحياة الثقافية في هذه الفترة . وليس من قبيل الرمز أن أقول ان هذا العصر افتتح بانشاء اكبر مكتبة عرفت بالاندلس واختتم بخراب هذه المكتبة . فقد اتفق أن كانت البداية بداية ارتفاع الخط الحضارى والثقافى في تاريخ الاندلس ، وكانت النهاية تبدد الوحدة السياسية والمجد السياسى ، وخراب العمران الذى شهدته قرطبة في عصرها الذهبى . يتينا ان العوامل السابقة من : رحلة الى المشرق ، وهجرة للكتب المشرقية ، ونشاط في حلقات التدريس ، وحيوية مفرقة في التأليف ، ظلت تفعل فعلها في هذا العصر كما فعلت في العصر السابق ، ولكن انضات اليها عوامل جديدة جعلت جانبها من هجرة الكتب ومن حركة التأليف والتدريس نفسها امرا قائما على التنظيم والتشجيع الرسمي . وفي هذه العوامل الجديدة يعزى اكثر الفضل للحكم المستصر الذى أشرف على تنفيذ المخططات الثقافية يوم كان وليا للعهد في حياة أبيه ، يوم أصبح خليفة بعده^(٢). فقد كان الحكم نفسه مثقفا ، ويمكننا دون عناء ان نعد واحد من علماء الاندلس في هذا العصر ،

(١) راجع نفع الطيب ١ : ٣٦٠ وأزهار الرباض ٢ : ٢٨٨ وفي المقتبس ، مخطوطات مدريد (أخبار ضافية عن كثير من هذه الوفود بين ٣٦٠ - ٣٦٣ هـ / ٩٧١ - ٩٧٣ .
(٢) راجع تشجيع الحكم لضرب الثقافة العامة في كتاب : تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة : ٤٣ - ٥٢ وقد وردت فيه اكثر الروايات التي استشهدت بها هنا .

وتلميذا لا كبر استاذين شهدناهما في العصر الماضي ، وهما : القاسم بن أصبغ والخشني ، " وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوزيا نسيج وحده ، وكان ثقة فيما ينقل " (١). وذكر ابن الأثير انه " قلما وجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ، ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده ، لعنايته بهذا الشأن (٢).

ب - جهود الحكم في النهضة اللغوية :

ونستطيع ان نتبين ما أداه الحكم من جهود ثقافية وخاصة ما كان منها يمسّ موضوع هذه الدراسة في الأمور الآتية :

١ - انشاء مكتبة عامة تابعة للقصر : " كان الحكم يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي ، باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان ذا غرام بها قد أثر ذلك على لذات الملوك " (٣). وقال ابو محمد بن حزم " كان محبا في العلم ملأ الاندلس بجميع كتب العلوم واخبرني تلميذ الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالاندلس ان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، وليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط " (٤). وكان جمعه لهذه الكتب يعتمد على تجّار يرسلهم الى الاقطار او يبعث الى المؤلف نفسه فيطلب نسخة من كتاب ألفه ، كما فعل مع ابي الفرج الاصبهاني حين أرسل اليه بألف دينار ليحصل منه على نسخة من كتاب

(١) نفح الطيب ١ : ٣٧١

(٢) الحلة السراء ١ : ٢٠٢ ونفح الطيب ١ : ٣٧١

(٣) نفح الطيب ١ : ٣٧١

(٤) جبهة انساب العرب : ١٠٠ (الطبعة الثانية) ، وانظر النفح ١ : ٣٦٢ ، والحلة السراء ١ : ٢٠٣ ، وذكر صاحب النفح ان في كل فهرسة عشرين ورقة .

الاجاني^(١)، ووظف له نسخا في بغداد وغيرها لاستنساخ الكتب وارسالها الى الاندلس وكان من ورائيه بهنداد محمد بن طرخان^(٢). كما رتب في جناح بقصره في قرطبة " الحدائق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد"^(٣)، "وتسامع الناس بشغفه بالكتب ونفاقها عليه فحملت من كل جهة اليه والملك سوق ما نفق فيها جلب اليها"^(٤). ومن الطبيعي ان تحتل الكتب اللغوية مكانها اللائق بها في هذه المكتبة لان شغف الحكم بالكتب لم يكن فيه اشارة لعلم على آخر. قال صاعد: " واستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عمون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة"^(٥). وبعد أسطر من هذا النص نستدل على ان المكتبة كانت تحوى كتباً في علوم المنطق وعلوم النجوم والطب والحساب واللغة والنحو والاشعار والاخبار والفقه والحديث وغيرها. فاللغة اذن من الموضوعات التي عني الحكم بكتبتها في ما عني.

وكان جمع الحكم لهذه الكتب حافزا على الاقتداء، وسرعان ما أخذ السراة في قرطبة يقلدون الخليفة بانشاء مكتبات خاصة^(٦). ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة ابن فطيس التي كان يعمل فيها ستة من النساخين ولها أمين خاص. ويقول الاستاذ خوليان ريبيرا في مقاله القيم عن المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية: " ان تأسيس المكتبات لم يكن قاصرا على الاثرياء وحدهم، بل انما نجد هذه الرغبة أيضا بين الطبقات الفقيرة التي تعيش على كسب ايديها. ونذكر

(١) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .

(٢) انظر الحلة السراء ١ : ٢٠٢ .

(٣) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .

(٤) الحلة السراء ١ : ٢٠١ .

(٥) طبقات صاعد ١ : ٦٦ .

(٦) راجع حضارة العرب لبروفنسال : ٦١ .

هنا على سبيل المثال مكتبة معلم مدرسة فقير هو محمد بن حزم وكان يعيش على ما يكسبه من التدريس للأطفال ، يساعده في ذلك ابن له يتعهد الصبيان وابنة تتعهد البنات . وقد خصص المبالغ الضئيلة التي كان يستطيع ادخالها لشراء الكتب ، كما استغل اوقات الفراغ بين الدروس لنسخ ما كان يستعيره اصدقائه ^(١) . كذلك شاركت المرأة الاندلسية في جمع الكتب وفي نسخها ، فكان في الرض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي ^(٢) . وهذه العناية بالنسخ وجميع الكتب - وهي عناية استثمر وتترايد طوال هذا العصر والعصر التالي - جعلت مجال الاطلاع ميسرا لفئات كثيرة ، فأصبح تداول الكتب سهلا على الطلاب والمثقفين .

٢ - حفز الهمم الى التأليف واغداق العطاء على المؤلفين ، واكرام العلماء بصنوف التقدير : وهذه ناحية تضم اتجاهات علمية كثيرة ، فيها التأليف في الانساب والحديث والفقه وجغرافية الاندلس وتاريخها وتراجم قضاتها وأدبائها وغير ذلك . ولكن ما يهمنا منها هو الناحية اللغوية . وانا على مثل اليقين بأن الحكم اولها أيضا من عنايته مثل ما أولى سائر العلوم ، فنحن مدينون للحكم بحفز الزبيدي الى كتابة مؤلفه القيم في طبقات النحويين واللغويين في المشرق والاندلس وفيه من تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين ما أصبح معتمدا لكل مؤلف في هذا الموضوع من بعد ، وذلك هو القسم الذي اعانني على تصوير بواكير الحياة اللغوية في الاندلس حتى مطلع القرن الرابع . وتدل مقدمة الزبيدي على هذا الكتاب أن الحكم لم يقف عند حد الاقتراح بل حدد للزبيدي الشكل الذي سيتخذه

(١) مجلة معهد المخطوطات ، مجلد ٤ : ٩٢ ، نقلا عن التكملة ٣٥٨

(٢) مقالة بهيرا ، نقلا عن المعجب : ٢٤٨ .

تأليفه ، وأمدّه بعنايته وعلمه وأوسع من روايته وحفظه (١). ولعل كتاب لحن العوام
 إنما ألف أيضا طلبا لرضي الحكم واستمدادا لفضله ، ان لم يكن قد ألف بطلب منه (٢).
 وكذلك مختصر العين كما أهيّن ذلك في موضعه . وما كان حرص الحكم على
 الزيدى وإكرامه لابي^{علي} القالي ، كما سأوضح بعد قليل ، الا ترسيخا لاصول النهضة
 اللغوية حينئذ . ولم يكن القالي والزيدى هما الوحيدين بين علماء اللغة اللذين
 نالا تقدير المستصر وإكرامه ، بل كان هذا التقدير يشمل عددا كبيرا من العلماء
 بينهم بعض علماء اللغة وان لم ينفردوا بالاتجاه اللغوي . من هؤلاء عهد الله بن محمد
 المعروف بالسري ، وكان عالما بالعدد والهندسة ، وهو في الوقت نفسه امام في
 النحو واللغة ، " وكان الحكم المستصر بالله يعظه ويؤثره " . الا ان الرجل كان
 زاهدا في شئون الدنيا (٣).

٣ - التدقيق العلمي في الأصول اللغوية : كان الخليفة الحكم ذا اهتمام خاص
 بأن تكون الأمهات في كل علم صحيحة الأصول لا مسرب فيها للخطأ والتصحيف .
 وقصته في اعتماد نص صحيح دقيق من كتاب " العين " تدل على ذلك . فقد كان
 في أثناء جمعه لمختلف الكتب قد حصل على نسخ كثيرة^{التصحيح} من كتاب " العين " ، ومنها
 النسخة التي كان قد رواها بمصر القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، فجمع الحكم اربعة
 من اكابر علماء اللغة في قرطبة ، وهم : ابو علي القالي ، ومحمد بن ابي
 الحسين ، وابنا سيد ، وطلب اليهم المقارنة بين النسخ لاستخراج نسخة دقيقة
 الضبط يقرها هؤلاء الاعلام (٤). ولو وصلتنا اخبار تفصيلية عن هذه النواحي

(١) انظر طبقات الزيدى : ٩ - ١٠

(٢) انظر لحن العوام : ٩

(٣) طبقات الامم : ٦٢ - ٦٨

(٤) جذوة المقتبس : ٤٧ - ٤٨

لوجدنا ان كتاب العين لم يكن فهذا جهالة العناية^{بهذه} ، فنحن نعلم ان المستصر قد أسند وظيفة المقارنة بين الكتب الى علم من أعلام اللغة هو الراهي ووسع له في النزل والجراية^(١).

٤ - الترجمة : لعل هذه الناحية أضعف من سواها في الاندلس ، اذا نحن قارناها بما كان يتم في بغداد في عصر الرشيد والمأمون . فقد كان بإمكان الحكم ان يستورد الكتب المترجمة من المشرق دون أن ينفق جهدا مستأنفا في ترجمتها . وعلى هذا وصلته كتب كثيرة في علوم الاوائل مما كانت ترجمته قد تمت في المشرق . ولكن الذي يلفتني الى هذه الناحية وصول كتابين هدية من امبراطور القسطنطينية ، هما كتاب هروشيوس Paulus Orosius في التاريخ ، وكتاب ديوسقوريدوس في النباتات . اما الكتاب الأول فقد قال فيه ملك القسطنطينية في رسالته الى عبد الرحمن الناصر : " أما كتاب هروشيوس فعندك في بلدك من اللاتينيين من يقرؤه باللسان اللاتيني وان كاشفتهم عنه نقلوه لك من اللاتيني الى اللسان العربي " ^(٢). وقد ترجمه للحكم المستصر قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ ^(٣). وأما كتاب ديوسقوريدوس فانه كان مكتوبا باللغة الاغريقية مصورا ، ولم يكن بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقي فبقي في خزانة عبد الرحمن الناصر دون ان يترجم . فلما ردّ الناصر على رسالة امبراطور القسطنطينية سأله ان يبعث اليه برجل يتكلم الاغريقية ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين ، فبعث اليه الامبراطور براهب يسمى نيقولا ، وصل الى قرطبة سنة ٩٠١/٣٤٠ ، فاجتمع بقوم من المهتمين بشئون العقائير فتعاون معهم

(١) طبقات الزبيدي : ٣٤٠

(٢) عيون الانباء : ٣ : ٧٦ ، طبعة بيروت ، وتاريخ هروشيوس اثر اسباني (راجع تراس : ٥٢)

(٣) تاريخ ابن خلدون : ٢ : ٨٨ ، ومقدمة كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جليل : (كط)

على تصحيح اسماء العقائير في ذلك الكتاب بالوقوف على أعيانها في مدينة قرطبة^(١). وترجمة هذا الكتاب وتعيين اسماء الحشائش فيه بدقة من الامور التي اضافت الى الثقافة اللغوية . فقد ظل علم النبات قهنا لعلم اللغة من حيث المعجم الجديد الذي كان يضيفه الى المعجم العربي عامة . وأما فيما يتصل بغير هذين الكتابين فلا نعرف اهتماما آخر بالترجمة يغني اللغة العربية كما حدث في حقل الترجمة بالشرق .

٥ - استقدام العلماء للعمل في قرطبة : وفد على الاندلس بتشجيع من الحكم عدد من علماء الأمصار ليعاونوا في النهضة الثقافية ، وليجدوا حظوظ انفسهم أيضا . ومن ذوى الاتجاه اللغوي فيهم " ابو الحسين بن الفارس وهو من أهل حلب روى بالمشرق عن جماعة من الشاميين والبصريين ، ووفد على المستنصر بالله فأجروا عليه وتوسع لـه وقرأ عليه الناس كثيرا شيوخا وشباناً ، وقرأ عليه ابو بكر الزبيدي - رحمه الله - ومن قرأ على الزبيدي . ومات سنة ٣٢٦ / ٩٨٦ " ^(٢). وأبرز شخصية بـين المهاجرين أبو علي القالي الذي وفد من بغداد باستدعاء من الحكم نفسه في الأرجح . وتلقاه الحكم والناصر بالحفاوة والاكرام . ولم تكن هجرة القالي الى قرطبة أمرا عاديا نقف منه كما نقف من هجرة أى رجل آخر ، بل كانت هجرة ذات أثر بعيد في الحياة اللغوية بالاندلس ، فقد تمثل أثرها في النشاط الذى أشاره القالي من حوله في قرطبة والزهراء . فقد كان يعلو آماليه على طلبته بالزهراء كل يوم خميس ، ثم زاد فيه فبلغه ستة عشر جزءا للعامة ، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا للحكم^(٣). وتمثل هذا النشاط في كبار التلامذة الذين التفوا من حوله وتخرجوا به ، وفي حلوله من نفوس هؤلاء الطلبة رمزا لما يمكن أن يمثلها العالم الحق ، وفي

(١) بحون الانباء . ٣ : ٧٦ - ٧٧

(٢) فهرسة ابن خير : ٤٠٨

(٣) المصدر نفسه : ٣٢٥

الكتب التي جلبها معه مقروءة على العلماء محقق الأصول . فقد جلب معه دواوين الشعر الجاهلية والاسلامية مثل شعر ذى الرمة والحطيئة وعمر بن قتيبة والناخلة والشماخ والاعشى وأوس بن حجر والاخلط وامرئ القيس ونقائض جرير والفرزدق الى غير ذلك مما عده ابن خير في فهرسته^(١). وهي دواوين قرأها على العلماء أمثال نبطويه وابن دريد ، وتعدّ أصول الشواهد اللغوية . كذلك حدّث الاندلسيين بكثير من أمهات كتب اللغة ، ككتاب نوادر اللحياني ونوادر ابي زياد الكلابي والاضداد لشعرب وكتب يعقوب بن السكيت ، ومنها القلب والابدال وكتاب الاصوات وكتاب الفرق وكتاب خلق الانسان وكتاب النبات وكتاب الاضداد . وحدث أيضا بكتاب الفرق لشابت بن ابي ثابت وكتاب الخيل لابي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي وغيرها^(٢). وكل هذا يشير الى أنّ ابا علي قد زاد من رسوخ الاندلس في الموروث العربي وأتاح لطلاب اللغة والأدب دراسة منظمة قوية المتناول لكتب كانوا يرحلون لقراءتها على العلماء . أما جهوده في التأليف فسوف أوليها عناية خاصة في موضعها من هذا الفصل^{الكتاب} .

ج - المنصور بن أبي عامر وأثره في النهضة اللغوية :

ولم يكن المنصور بن أبي عامر مقصرا عن سابقه في التشجيع الثقافي والتأني له من نواحيه المختلفة . ولكن الذي ألحظه في سياق هذه النهضة الثقافية أمران هامين :

الاول : تلك الثورة التي أعلنها المنصور على علوم الاوائل ، فاستخرج كتب الفلسفة والمنطق من مكتبة الحكم المستنصر وأحرقها على الملأ ، قال صاعد : " وعد أول تغلبه عليه (على هشام المؤيد، ابن الحكم) الى خزائن ابيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٥ - ٣٩٧

(٢) المصدر نفسه : انظر صفحات متفرقة منه .

واراد (اقرأ وابرز) ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من اهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلوم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل ، حاشا كتب الطب والحساب . فلما تميزت من بيان الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والاشعار والاخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم والمباحثات عند اهل الاندلس، الا ما خلت منها في اثناء الكتب، وذلك اقلها ، امر باحراقها وافسادها فأحرق بعضها ، وطرح بعضها في آبار القصر وهبّل عليها التراب والحجارة وغيرت بضروب من التغاير . وفعل ذلك تحييا للسي عوام الاندلس وتقيحا لذهب الخليفة الحكم عندهم ، اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بالسنة رؤسائهم وكان كل من قرأها متبها عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الالحاد في الشيعة " (١).

الثاني : أنّ المنصور لم يكن متنوع الثقافة كالحكم المستنصر بل كان يميل حتى من بين العلوم الاسلامية الى ما كانت له صبغة أدبية ، ويؤثر من بين هذا اللون أيضا ما كان أميل الى كتب الأسفار ، ولذلك نفق هذا اللون عنده ، فألفت له فيه كتب متعددة منها كتاب لحيان بن ابي عتبة اسمه " ربيعة وعقيل " قال فيه ابن حزم " انه من الملع ما الف في هذا المعنى " (٢). ومنها تلك الكتب ذات الطابع القصصي التي كتبها صاعد البغدادي مثل كتاب الهججف بن غدقان بن يشرقي مع الخنوت بن مخزوم بن أنيف، وكتاب الجواس بن تعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء .

(١) طبقات الامم ، صاعد : ٦٦ . ويرى بروفنسال أن هذه الحركة التي قام بها المنصور انما كانت تهدف لحركة المقاومة الناشئة بين المحافظين في قرطبة وأنه كان في قرارة نفسه أول من يقدر مدى ما في تلك الحركة من عدوان على حرمان الفن والعلم (حضارة العرب : ٦٢ - ٦٣) .

(٢) جذوة المقتبس : ١٨٤ .

وصاعد مؤلف هذين الكتابين هاجر الى الاندلس في حدود ٣٨٠ / ٩٩٠ .
ويظن الحميري ان أصله من ديار الموصل وأنه دخل بغداد فعرف بالاندلس بنسبة
البغدادى . " وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب ، حسن الشعر ،
طيب المعاشرة ، فكه المجالسة متعا " (١) . ويمثل في أيام المنصور بن ابي عامر ما
كان يمثل به القالي في أيام الناصر وابنه الحكم . فهو مشرقى مثله وهو عالم في
اللغة وقد لقي من اكرام المنصور مثلما لقيه القالي من اكرام صاحبه وألف للمنصور
كتاب "الفصوص" على نحو كتاب النوادر للقالي . وقد كان المتوقع من صاعد
ان يكمل النهضة اللغوية التي وضع قواعدها ابو علي القالي ، ويمضي قدما بالأثر
المشرقى الذى يقدره الاندلسيون كل التقدير . فهو لاجل هذا الغرض هاجر ، اعني
ليعرض ما لديه من بضاعة لغوية ، قال القفطي : " وبلغه ان اللغة بالاندلس مطلوبة
والآداب هناك مرغوب فيها من ملوكها ورعيتهما ، فارتحل الى الاندلس " (٢) . ولكن حالت
دون ذلك حوائل ، منها : ١ - ميل المنصور نفسه الى جانب المتعة في كتب
الاسمار ، مما حدا بصاعد الى ان يتوجه بهمه لارضاء الرجل الذى كانت الاندلس تدين
لسلطانه يومئذ ، وقد شغف المنصور حقا بما كتبه صاعد في هذا الموضوع حتى قيل
انه كان لشدة شغفه بالكتاب " الجواس " قد رتب من يقرأه بحضرته كل ليلة (٣) .
٢ - كان صاعد نفسه متكسبا على غير ما كانت عليه حال ابي علي ، ولذلك قيل فيه
انه كان حسن الطويقة في استخراج ما في ايدى الناس من الاموال (٤) . ومثل هذا

(١) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ؛ وراجع ترجمة صاعد في : الذخيرة ١/٤ : ٢ - ٤٣ ،
المعجب : ١٩ ؛ نفع الطبيب ٤ : ٧٥ ؛ وفيات الاعيان ٢ : ٨١ ؛
انباء الرواة ٢ : ٨٥ ، بغية الرعاة : ٢٦٧ .

(٢) انباء الرواة ٢ : ٨٥ .

(٣) معجم الادباء . ١١ : ٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ انباء الرواة ٢ : ٨٦ .

(٤) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ؛ الصلة : ٢٣٣ ؛ انباء الرواة ٢ : ٨٦ .

العيل جعله يؤثر ما يدر عليه كسبا فاتجه الى الشعر يستخدمه في الارتزاق حتى كادت شهرته في الشعر تغلب لدى الاندلسيين ايمانهم بشهرته في اللغة . ٣٠ - أراد المنصور ان ينافس به ما صنعه القالي في عهد الحكم . ويبدو ان هذا القصد لم يكن خافيا على تلامذة القالي ، فوقفوا موقف العصية لاستانهم وحاولوا بكل الطرق المكسة ان يبرزوا عيوب صاعد ، وان ينسبوا اليه التزبد والكذب^(١) . وربما ساعدهم صاعد نفسه على ذلك ببعض التخلصات التي كان يزورها لئلا تقطع به الحجة . واستثارت هذه الاكاذيب مثيلات لها على طريقة التفكه والدعابة ، وامتلا الجو في قرطبة بين طلاب اللغة بأن صاعدا مطرّح مجرّح العدالة لا يحسن الأخذ عنه . ومن ذلك ما يروونه ان المنصور سأله يوما " هل رأيت فيما وقع لك من الكتب كتاب القوال والزوال لبروسان ابن يزيد ، فقال : نعم رأيت ببغداد في نسخة لابي بكر بن دريد بخط كأكسرع النمل ، في جوانبها علامات للوضع هكذا وهكذا . فقال له : أما تستحي أبا العلاء من هذا الكذب ! هذا كتاب عاملنا ببلد كذا يذكر فيه ان الارض قد قلبت وزلت ؛ فجعل يحلف انه ما كذب "^(٢) . ومن هذه الروايات ان سأله يوما وقدامه تمر يأكل منه " ما التمر كل في كلام العرب ؟ فقال تمر كل الرجل تمر كلا اذا التف في كسائه "^(٣) . وشاعت عنه حكايات كثيرة من هذا القبيل^(٤) ، وأعتقد كما قدمت ان كثيرا منها قد اصحح يتردد طلبها للنادرة . ولكن مثل هذه السمعة كانت كافية لان تدين صاعدا لدى علماء اللغة في قرطبة ؛ وأكثرهم يومئذ من طلبية القالي . وقد نتساءل : ألم يغضب المنصور لهذا الذي رآه من فعل صاعد ؟ اكبر الظن ان المنصور

(١) انظر تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة ٦٠ - ٦١ .

(٢) جذوة المقتبس : ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ انباء الرواة ٢ : ٨٧ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) نفح الطيب ٤ : ٨١ .

قد أعجب بروح الفكاكة وحسن الحديث لديه وبطيب معاشرته ، فظل يلاحظه بعنايته
تقديرًا لهذه النواحي فيه ، ولكنه يش من أن يجعل منه ندا للوالي صاحب
الحكم في الناحية اللغوية .

وفي القصة التالية ما يدل على أن صاعدا لم يكن يستطيع الفلج حتى في
مناظرة تلامذة الوالي . جلس المنصور يوما " وعنده اعيان مملكته ودولته من أهل
العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف ومن سواهم ، فقال لهم المنصور : هذا الرجل
الوفاد علينا صاعد يزعم انه^{متقدم} في هذه الآداب . . . واحب ان يمتحن ما عنده ، فوجه
اليه ودخل والمجلس قد احتفل فنجل ، فرفع المنصور مجلسه وآتسه ، وسأله عن ابي
سعيد السيرافي ، فزعم أنه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه ، فبادره العاصمي
بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره فيها من جواب ، واعتذر أن النحو ليس
جل بضاعته ولا رأس صناعته ، فقال له الزبيدي : فما تحسن ايها الشيخ ؟ قال :
حفظ الغريب ، قال : فما وزن أولق ، فضحك صاعد ، وقال : أمثلي يسأل عن هذا
انما يسأل عنه صبيان المكتب ، قال الزبيدي : فقد سألتك ولا نشك انك تجهله ،
فتغير لونه ، وقال : أفعل . قال الزبيدي : صاحبكم مخزق ، قال له صاعد : اخال
الشيخ صناعته الأبنية ، قال له : أجل ، قال صاعد : وضاعتي انا حفظ الاشعار ،
ورواية الاخبار وفك المعنى ، وعلم الموسيقى ، قال : فناظره ابن العريف ، فظهر
عليه صاعد ، وجعل لا يجري في المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا ، أوأتى
بحكاية تجانسها ، فازداد المنصور عجباً ، ثم اراه كتاب النوادر لابي علي ، فقال :
ان اراد المنصور امليت على مقيدى خدمته وكتاب دولته كتابا أرفع منه قدرا وأجل
خطرا ادخل فيه خيرا مما ادخله ابو علي ، فأذن له المنصور في ذلك . وجلس
بجامع مدينة الزاهرة يهلي كتابه المترجم بالفصوص ، فلما اكمله وتبعه ادهاء الوقت لم

تمر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم" (١). وهذه الحكاية على علاقاتها تدل على أن صاعدا كان واثقا من نفسه فيما يتصل بالشعر والرواية للاخبار، ولكنه لم يكن يثبت لامثال الزهيدى في علم الابنية والتصريف . وأيضا كان الأمر ، فان روح التحدى للقالى قد أساءت كثيرا الى صاعد وجعلته غرضا لسهام المناوئين . أما أن أدباء الوقت لم يجدوا كلمة صحيحة في كتابه ولا خبرا صحيحا فالأمر يستدعي شيئا من التوقف والمناقشة .

فن كل ما تقدم يتبين لنا ان جهود صاعد في ميدان اللغة كانت محدودة، فلانعرف له كتابا ذا مسحة لغوية سوى كتاب الفصوص الذى أراد ان يبذبه كتاب النوادر، بحيث يأتي أرفع منه وأجل دون أن يورد فيه خبرا مما أورده أبو علي . ومعنى هذا ان صاعدا اعتمد روايات وأخبارا لم يسمع بها الاندلسيون ولهذا قال علماءهم حين تتبعوه " فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم " . وقد شبه ابن بسام الى ان تفرد صاعد هو الذى ساق الى كتابه هذه التهمة فقال : " وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا (اى الوضع والكذب) وانما صاعد اشترط الا يأتي الا بالغريب وغير المشهور " (٢). اما المادة التي يدور عليها هذا الكتاب فهي تجمع بين اللغة والاخبار لقول ابن خير في تسمية الكتاب " كتاب الفصوص في اللغات والاخبار " (٣). وهذا الجانب اللغوى فيه يؤكد رد القزاز عليه في " مشاكير كتابه في النوادر والغريب " (٤). غير ان عنوان الكتاب لم يرد كذلك في جميع المصادر ، فقد جاء في الصلة نقلا عن ابن حيان : " وجمع ابو العلاء للمنصور محمد بن ابي عامر كتابا سماه الفصوص فسي

(١) الذخيرة ١/٤ : ٦-٧ ؛ وانظر نفح الطيب ٤ : ٧٦-٧٧ .

(٢) نفح الطيب ٤ : ٧٨ وهو بايجاز ومعض تلخيص لما جاء في الذخيرة ١/٤ : ٨ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٢٦ .

(٤) الصلة : ٢٠٤ .

الآداب والاشعار والاخبار" (١) فقد حذف ابن حيان هنا كلمة اللغات من اسم الكتاب .
ومهما يكن من شيء فلا بد ان يكون فيه مشابه من نوادر القالي لأنه معارضة لسه ،
وان يكون اللغة فيه مقام وان لم يكن مقاما بارزا . وقد بدأ صاعد تأليفه هذا في شهر
ربيع الأول سنة ٣٨٥ / ١١٥ وقضى فيه قرابة ستة أشهر اذ أكمله في شهر رمضان
من العام نفسه (٢) . ولعل اضطراب الروايات التي شاعت عن تقبل هذا الكتاب أن
تدلنا الى أي حد واجهت صاعدا مشاعر الحسد من معاصريه . فهناك رواية تقول ان
علماء قرطبة أغرقوا كتابه المترجم بالفصوص ونهذوه ورموه في النهر (٣) . ورواية ثانية تقول :
ان المنصور أغاظته مرة اكاذيب صاعد فأمر باخراجه من مجلسه وأن يتخذ كتاب الفصوص
في النهر . وتجيء هذه الرواية مؤيدة بقول بعض الشعراء :

قد غاص في النهر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقیل يغوص

ورد صاعد بقوله :

عاد الى معدنه انما توجد في قعر البحار الفصوص (٤)

وهاتان الروايتان لم يذكرهما الحميدى وابن بشكوال ، وانما ذكر الثاني منهما رواية ثالثة
نقلا عن ابن حيان جاء فيها " ان المنصور أظاه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في
دفعة واحدة وأمره ان يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب خمس وثمانين
وثلاثمائة (١١٥ م) ، واحتشد له من جماعة اهل الادب ووجوه الناس أمة " (٥) .
والارجح ان الرواية الثالثة هي اوثق الروايات لان راويها ، وهو ابن حيان ، قد درس هذا

(١) الصلة : ٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) الذخيرة ١ / ٤ : ٣ ؛ نفح الطيب ٤ : ٧٦ .

(٤) نفح الطيب ٤ : ٧٨ .

(٥) الصلة : ٢٣٣ .

الكتاب على مؤلفه سنة ٣٩٩ / ١٠٠٦ ، ومن طريق ابن حيان وصلت رواية هذا الكتاب الى ابن خير^(١) . فاذا كان الكتاب قد بقي في النهر حقا بأمر من المنصور فذلك يدل على غضة مؤقتة لم تلبث ان زالت اسبابها ، واذا كان علماء قرطبة هم الذين طرحوه في النهر فذلك خبر رمزي يشير الى نفورهم من رواية ما كان يدرسه صاعد في مسجد الزاهرة^(٢) .

وضع ذلك فهناك عدد من التلامذة الذين درسوا على صاعد ، عرفنا منهم المؤرخ ابن حيان ، الذي قرأ عليه كتاب الفصوص . ومنهم أيضا عبد العزيز بن احمد بن مفلس القيسي الذي قرأ عليه اللغة^(٣) . وهشام بن محمد المعروف بابن المصحفى ، وهو احد علماء اللغة في العصر التالي^(٤) ، قرأ على صاعد كتاب اصلاح المنطوق ليعقوب ابن السمكيت^(٥) ، وكان صاعد يرويه عن شيخه : السيرافى والفارسي . كذلك كان صاعد قد قرأ كتاب المداخل في اللغة من تأليف المطرز على الوزير ابن خنزابة بمصر ، فلما عهد المصحفى الى ابن خشخاش بأن يدرس هذا الكتاب لحفيده ابي بكر طلب الى صاعد ان يحضر تلك الدروس^(٦) .

(١) الصلة : ٢٢٣ ؛ فهرسة ابن خير ٣٢٦ .
(٢) لا يزال الجانب الادبي لدى صاعد وما أثاره في الاندلس من معارشات شعبية ، وكذلك فترة اقامته في صقلية بحاجة الى دراسة . ولكن هذه الدراسة للجانب اللغوى عنده لا تتسع لكل ذلك . كما ان الحكم الدقيق على كتاب الفصوص وقيمتها من الناحية اللغوية غير ميسر لي . فهناك نسخة خطية صحيحة محفوظة بخزانة جامع القرويين لم يتيسر لي الاطلاع عليها .

(٣) جذوة المقتبس : ٢٦٩ .

(٤) الصلة : ٦١٣ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٣١ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٥٨ - ٣٥٩ .

ولم يكن تشجيع المنصور للعلوم عامة وللغة خاصة قاصرا على حفاظه بصاعد وتمكينه من التدريس في الزاهرة بل كان يقرب اليه العلماء والادباء وكان له مجلس معروف في الاسبوع يجمع فيه أهل العلوم كلما كان مقيما بقرطبة ، اذ كانت غزواته المتكررة كثيرا ما تبعده عنها (١) . ولعل المجلس الذي ضم الزهيدى والعاصي وابن العريف وصاعدا وغيرهم ممن لم ترد اسمائهم انما كانت نموذجا لهذه المجالس العلمية . كذلك حاول ان يتفوق على الحكم في اقتناء الكتب وفي تصحيح نصوصها واقتناء الأصول الدقيقة منها . فاهتم ابنه عبد الله اهتماما خاصا اثناء رحلة المشرق بتصحيح ومقابلة نصوص الكتب التي يدرسها او يحصل عليها (٢) . واتخذ لمكتبته قيدا للتدقيق والضبط فكان محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوى من أهل قرطبة هو المسئول عن تصحيح ومقابلة كتب المنصور وكتب ابنه ، وهو الذى اسس لهما مكتبتهما واستعان بما فيهما من كتب في تأليف كتابه الذى وضعه عن تاريخ بني عامر (٣) . وكان هذا الرجل كما وصفه ابن الابرار " من أعلم الناس بالكتب وعللها وألهمهم بجمعها وافرأهم لخطوطها وأنسبهم لها السى وراقها " (٤) .

٢ - العوامل التقليدية :

تلك هي العوامل البارزة التي ساعدت على النهضة اللغوية من تظلم للمكتبات ، وتوجيه في التأليف ، وتدقيق فيما يقتنى من أصول ، وإكرام للعلماء وحفز لهم على العمل واغرائهم بالقدوم الى الاندلس ، حتى كان هذا كله كأنما

(١) انظر الصلة : ٧٣ .

(٢) مقالة ريبيرا مجلد ٥ : ٧٣ ، نقلا عن نفع الطيب .

(٣) مقالة ريبيرا ٥ : ٧٤ ، نقلا عن التكملة : ٣٨٤ .

(٤) التكملة : ٣٨٤ .

يخضع لسياسة ثقافية مرسومة مخططة . ولكن العوامل التي شاهدها في العصر الماضي ظلت أيضا تعمل عليها الى جانب العوامل الجديدة : ظلت الرحلة الى المشرق والرواية عن الشيخ والعودة بالكتب المروية ، وظلت حلقات المؤدين والمدرسين في المساجد ، من القوى الدافعة في تطوير النشاط اللغوي .

(١) فمن أشهر الراحلين الى المشرق في هذه الفترة ابو عبد الله محمد بن يحيى ابن عبد السلام الرهاحي (- ٣٥٨ / ٩٦٩) الجباني الاصل (١) وقد " لقي في رحلته أبا جعفر بن النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية " (٢). ولما عاد الى قرطبة عمل فيها مؤدبا جاهلا من دأبه ملتقى للطلبة . وبعد الرهاحي حلقة الوصل بين النوع القديم من المؤدين والاساتذة الاعلام أمثال القالي والزبيدي وابن القوطية . فقد رفع مستوى التأديب واهتم بالنحو ودقائق العربية اهتماما خاصا مقتبعا طرق أهل المشرق في هذه الناحية ، وجمع في شخصه بين المؤدب العام والخاص فكان في الحالة الاولى يلتقي بالطلبة من كل صنف في دأره ، ثم اتخذ من بني حدير رعاة له ، وأخذ يعمل عندهم فيؤخذ عنه كتاب سيبويه ويعقد كل جمعة مجلسا للمناظرة في هذا الكتاب . وقد وصفه تلميذه الزبيدي فقال : " وكان حاذقا بعلم العربية دقيق النظر فيها لطيف المسلك في معانيها غاية في الابداع والاستباط " (٣). وانما تميز الرهاحي فيما نصب نفسه له لانه اطلع على طرائف أهل الكلام ، وحذق أصول المناظرة ، وتمرس بأعمال القياس، وكان يتخير الأمور الدقيقة ويغوص في طلبها . ولعل تدريسه لكتاب سيبويه عن طريق المناظرة قد فتح مجالا لنوع جديد من التأديب لم يعهده الاندلسيون قبله ،

(١) راجع ترجمة الرهاحي في : طبقات الزبيدي : ٣٣٥ - ٣٤٠ .

(٢) طبقات الزبيدي : ٣٣٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٥ - ٣٣٦ .

ذلك لان الاندلسيين ظلوا بعيدين عن أصول المناظرة الا في اليمير حتى ظهر ابن حزم .
لكل هذا نعدّ الرهاحي معلما هاما في تاريخ اللغة والنحو بالاندلس، ونرى فيه صورة
الحوار السقراطي الذي حفز أمثال الزبيدي وغيره الى ما بلغوه من اتساع في الافق ودقة
في التأليف .

ومن هؤلاء الراحلين أيضا عبد السلام بن السمع الهواري (- ٣٨٧ / ١٧٢)^(١).
وقد سمع بمصر من ابي جعفر بن النحاس وابي علي الآمد اللغوي، وعاد الى الزهراء
يدرس كتاب الابيات لسيبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو وغيرهما . ومنهم
محمد بن مفسّح^(٢) (- ٣٧١ / ١٨٢) الذي لقي أيضا ابا جعفر بن النحاس وروى عنه
تأليفه في اعراب القرآن وفي المعاني والناسخ والمنسوخ وغير ذلك وكان أول من ادخل هذه
الكتب الى الاندلس . ومنهم أحمد بن عبد الله بن الباجي^(٣) (- ٣٩٦ / ١٠٠٦)، لقي
كثيرا من الشيوخ في المشرق ولما عاد استوطن اشبيلية . وكان يحفظ غريب الحديث
لابي عبيد وابن قتيبة . ومنهم محمد بن ابي علاقة البواب القرطبي^(٤) (- ٣٢٥ / ٩٣٧)،
اخذ عن الزجاج وابن الانباري وابي الحسن الاخفش ونفطويه ، وسمع من الاخفش كتاب
الكامل للمبرد .

وتدل اسماء الكتب التي قرأها هؤلاء الراحلون والعلماء الذين التقوا بهم ان
الثقافة اللغوية النحوية بالاندلس كانت دائما تتغذى بما يجد في المشرق من اتجاهات
ومؤلفات . ولو شئت ان استرسل في عدّ هؤلاء الراحلين لذكرت كثيرا من أسماء هؤلاء
العلماء ، ولكني أنحو منحى التثليل . وهذا لن يفوت علي ملحظا أدركته حين حاولت

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٣٣٢ .

(٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٨٤ .

(٣) الصلة ١٦ - ١٧ .

(٤) التكملة : ٣٦٢ .

أن احصر تراجم اللغويين الذين وردت اسماءهم لدى ابن الفريسي وابن بشكوال وابن
البار، وذلك انني وجدت ان اللغويين الاندلسيين الذين رحلوا في هذه الفترة كانوا
أقل بكثير من الذين علوا في الحقل اللغوي دون ان يبارحوا الاندلس . وقد عددت من
غير الراحين سبعة واربعين عالما يقابلهم من الراحين اثنا عشر . واذا دلت هذه
النسبة على شيء (مع الاذن فيها لبعض السهو والخطأ) فانما تدل على أن الاندلس
قد اصبحت قادرة على ان تخرج اعلاما في اللغة والنحو دونما حاجة كبيرة الى الأخذ
عن الشيوع في المشرق، بل ان اكبر عالين اندلسيين من علماء اللغة، وهما الزبيدي
وابن القوطية، لم يكونا من الراحين في طلب العلم . ولعل ورود القالي الى الاندلس
قد ساعد في استغناء الطلاب عن الرحلة لأن الاندلسيين رأوا في القالي خلاصة
العلم اللغوي المشرقي، هذا اذا لم نحسب حساب الظروف السياسية كشاة الدولة
الفاطمية في المغرب ومصر، وامتداد سلطانها على البر الافريقي والبحر واعتبار ذلك
من العوامل التي تحول، بعض الشيء، دون المغامرة بالارتحال .

(ب) وظل مؤدب العامة يمثل دوره الذي كان له في العصر السابق، ولكن ربما
كانت هناك عوامل خاصة، لعلها كائنة في طبيعة الاوضاع الاقتصادية، جعلت الحرص
على تأديب أولاد الخاصة أظهر في هذا العصر، ويستوى في القيام بهذه المهمة
عالم بارع مشهور مثل الزبيدي الذي انتدبه المستنصر لتأديب ابنه الحكم، مع سائر
المتكسبين عن هذه الطريق، أمثال : محمد بن خطاب النحوي الأزدي الذي كان
يختلف اليه في علم العربية أولاد الاكابر وزدى الجلالة^(١) وشار الأعشى السدي
اشترك في مناظرة صاعد، وأدب أبا جعفر بن عباس الوزير بالمروية^(٢)، وحسين بن

(١) جذوة المقتبس : ٥٠ .

(٢) التكملة : ٢٣٠ .

نصر ابن العريف الذى استأدبه المنصور لبنيه وقره من صحبتہ (١)، وابن ابي الحباب النحوى معلم المظفر عبد الملك بن المنصور العامرى (٢)، وغيرهم . اذ ان هؤلاء السى جانب الحظوة الخاصة التي كانوا يغالونها في تأديب أولاد الاعيان ، كانوا يجدون رزقا مكفولا ميسرا، وهو رزق يتضمن - أحيانا - ثلاثة أمور : الراتب والحمالن (أى ما يحمل الى المؤدب من هدايا) والعلوفة (٣).

٣ - المظاهر الكبرى

١ - ظهور الدارس اللغوى المتخصص

وفي سبيل أن تتصور المدى الذى بلغته ثقافة الطالب اللغوى من الاتساع نتخذ ابن سيّد مثالا على المثقف اللغوى حينئذ الذى مكنته ثقافته من ان يصبح عالما مؤلفا (٤)، فنجد انه قد قرأ الكتب الآتية على استاذة القالي : قرأ كتب القالي نفسه ، مثل : كتاب النوادر وذيله ، وكتاب البارع ، وقرأ الغريب المصنف لأبي عبيد ، والافساظ ليعقوب بن السكيت ، واصلاح المنطق له ، وأدب الكتاب لابن قتيبة ، واختيار فصيح الكلام لشعلب ، ولحن العامة للسجستاني ، والتذكير والتأنيث لابن الانبارى ، والجمهرة في اللغة لابن دويد ، والمعصور والممدود لابن الانبارى ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير لابي حاتم ، وكتاب المثلث لقطرب ، وكتاب الملاحن لابن دويد وكتاب معاني الشعر وكتاب الانواء له أيضا ،

(١) تاريخ ابن الفري : ١ : ١٣٥ .

(٢) الصلة : ٢٥ .

(٣) انظر المقتبس الورقة : ٤٣ عند الحديث عن تعيين أحمد بن محمد بن يوسف مؤدبا للامير هشام ابن الحكم المستنصر .

(٤) ترجمة ابن سيّد في : بغية الملتبس : ١٥٩ ، الصلة : ١٤ ، بغية الوعاة : ١٢٦ ، معجم الادباء : ٢ : ٢٥٣ ، كشف الظنون : ١١٢١ ، روضات الجنات : ٦٥ .

وكتاب نوادر ابي زيد الانصارى وكتبه الاخرى مثل الهمز والمصادر واللغات والمقتضب والامثال والشجر والنبات الخ ٠٠ ، وكتاب اطرفش في اللغة لنفطويه ، وكتاب الاصمعي مثل كتاب الابل وكتاب الشاء وكتاب خلق الفرس وكتاب لحن العامة وكتاب خلق الانسان وغيرها ، وكتاب الاجناس لغلام الأصمعي ، وكتاب الفرق لثابت بن ابي ثابت وكتب ابن السكيت المختلفة وكتب ابي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي^(١) وغير ذلك من الكتب . ولولا ان ابن خير روى هذه الكتب عن طريق ابن سيد لما استطعنا ان نتصور مبلغ ما كان يحصله دارس اللغة يومئذ . ولعل هناك كتباً اخرى لم يروها ابن خير ، ولذلك فان اسماءها لم ترد في هذا الثبت .

وهذه حقيقة تسمى الى ظهور الدارس المتخصص في اللغة الذى قد يطلب علوماً اخرى ولكن اللغة تصبح هي ميدانه المفضل ، وقد أصبحت الكتب التي يدرسها ، بعد اتساع نطاق التأليف في المشرق وكثرة الكتب التي جاء بها القالي ، لا تحدد بكتاب أو كتابين أو بضعة كتب كما كان الحال في العصر السابق . وبالمقارنة بين العصور نرى أن المشتغلين بالحديث - في الاكثر - ابان القرن الثالث هم الذين تولوا تدريس اللغة أو التأليف فيها ، مثل : قاسم بن أصبغ والخشني ، فكانت اللغة فرعاً من الثقافة الدينية لديهم ، أما في القرن الرابع فقد وضحت خطوط الاتجاه اللغوى وضوحاً ساطعاً وأصبحنا نستطيع ان نشير من بين المؤيدين والمدرسين الى طبقة من العلماء المختصين^(٢) . وهذا كله نجم عن الظروف التي خلقتها تلك العوامل

(١) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير .
 (٢) ليس من قبيل التفكير أن نلاحظ أن ثلاثة من هؤلاء المختصين شغل كل منهم منصب " صاحب الشرطة " في قرطبة وهم الزبيدي وابنا سيد ، ونحن اليوم لا نستطيع أن نربط بين طبيعة التخصص اللغوى وهذا المنصب ، ولكن احتلالهم له قد يشير الى خصائص فارقة في الشخصية لا في الاتجاه الثقافي .

الذكورة في صدر هذا الفصل، مضافا اليها تلك الرغبة الخاصة التي حفزها رجل فذ مثل الرباعي في مطلع هذا القرن، ثم زادت انتقادا وتوهجا تلك الهالة من المجد اللغوي المحفوف برعاية الدولة، المتمثلة في شخص القاضي . ومن حسن المصادفات أن كان القاضي بكل ما يتميز به من علم وخلق هو الذي وقعت عليه مسؤولية هذه ^{اليقظة} ~~اليقظة~~ اللغوية في الاندلس، فقد أثبتت الأيام من بعد أن ليس كل مهاجر يحظى برعاية الدولة يستطيع أن يبلغ شأو القاضي في هذا الميدان . نعم كانت البذرة الطيبة التي ألقاها الرباعي في حقل اللغة قد أعطت ثمرتها قبيل قدوم القاضي في شخص الزبيدي وابن القوطية ولكن القاضي قد كفل التطور والاستمرار والتوسع لهذا الذي وضع الرباعي أصوله .

والى جانب هذا التيار الثقافي التخصصي ظلت اللغة تدرس باعتبارها فرعاً مكملاً مسانداً لغيرها من العلوم الإسلامية كاللغة والحديث والقراءات وما أشبهه، بل لعله ليس من المستغرب يومئذ أن نجد عدداً كبيراً من ذوى الاتجاه الطبي والهندسي والعددي من أحسنوا الاضطلاع بالثقافة اللغوية ووصفتهم المصادر بالامامة فيها . وقد يكون من المفيد أن نقارن بين نوع الثقافة اللغوية التي حصلها دارس متخصص مثل ابن سيّد وبين ثقافة عالم آخر مثل ابن الفريسي، خصص فترة من حياته لدراسة اللغة دون أن يباح اتجاهه الكبير وهو علم الحديث . فمن بين الكتب ذات الطابع اللغوي التي يعدها ابن الفريسي بين ما درسه : نوادر علي بن عبد العزيز وكتاب الأبيات لسبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو، قرأ هذه على عبد السلام ابن السمع الهواري^(١) وقرأ على ابن القوطية كتاب الكامل للمبرد^(٢) وقرأ على مجاهد

(١) تاريخ ابن الفريسي ١ : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٧٩ .

ابن أصبغ كتاب شج غريب الموطن لابن حبيب في جملة كتب أخرى في غير موضوع اللغة^(١) ، وقد يكون ابن الفرضي قرأ في اللغة كتباً أخرى لم يجد مناسبة لذكرها ، ولكن علم اللغة بقي لديه علماً فرعياً .

ب - المناظرات اللغوية :

ومن كل هذا يمكن أن نخلص إلى أنه رغم قلة الرحلة في طلب اللغة بالنسبة للعصر السابق ، فقد تميز هذا العصر في الميدان اللغوي بسمات فارقة ، منها : اتساع نطاق الدراسات اللغوية واتساع ثقافة الدارس اللغوي وتحصيله ، و بروز دور المؤدب لأولاد الخاصة ، وظهور العالم اللغوي الاندلسي الذي يقف على مستوى أكابر علماء المشرق . وقد ظهر مجال جديد للنشاط اللغوي إلى جانب حركة التدريس والتأديب عامة .

وتلك هي مجالس المناظرات اللغوية ، وهي مجال جديد لم يتيسر ظهوره في القرن الثالث ، كمنظرة لغوية تمت بين الزبيدي والحاجب المصحفي في مجلس الحكم المستنصر (عام ٣٦٢ / ١٧٣) ^(٢) وهي بالمناقشة العلمية أشبه . ولعل أكثر المناظرات انما تتم في الدور العامري بتشجيع المنصور نفسه . والاخبار التي وصلتنا تتصل بصاعد نفسه في مجلس المنصور ، وقد مرّ بنا مثال لها ، وأذكر أيضاً من أمثلتها مناصرة قامت بين فاتن الحكيم الخادم المعروف بالصنير والخازن وبين صاعد ، كانت الغلبة فيها لفاتن . وهو رجل صقلي أقر له بكر الزبيدي نفسه بالبصر في علم اللسان واللغة وكان ضابطاً لكتب اللغة قائماً عليها ، راجع العقل واسع المعرفة فصيح اللهجة ، ولما مات (٣٩٩ / ١٠٠٩) بيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٨ .

(٢) المقتبس : الورقة : ٨٠ ، وانظر ترجمة الزبيدي في ما يلي من هذه الرسالة .

مصححة (١). وليس لنا أن ننسى أن الرهاحي هو فاتح باب المناظرة في كتاب سيبويه - كل أسبوع - وفي غيره من شئون العلم ، لا يقتصر في مناظرته على اللغة وحدها بل يناظر أهل الفقه وغيرهم .

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أنه قل ان حظي كتاب علمي بمثل ما حظي به كتاب سيبويه من اهتمام ودراسة ، فقد مر بنا كيف ان ابن السمع على على ابياء كتابا خاصا وكيف ان الرهاحي حمله رواية عن ابي جعفر النحاس ، وكان يناظر فيه . وكان ابن وليد النحوى يختمه في كل خمسة عشر يوما (٢). وألف فيه ابونصر هارون بن موسى النحوى كتابا سماه " عيون كتاب سيبويه " (٣). فلم يكن كتاب سيبويه في الاندلس معتد الدارسين والمتناظرين فحسب ، بل كان محورا لمؤلفات كثيرة في هذا العصر ، وفي ما يليه من عصور .

ج - تنوع حركة التأليف واتساعها :

تنوعت حركة التأليف واتسع مداها واشتملت على منجزات كبيرة ظلت دائما صورة من صور الاسهام القيم الذى يحتل مكانته في تاريخ اللغة العربية عامة ، لا في الاندلس وحدها .

وها هو ثبت بهذه المؤلفات ، يبين نواحي النشاط التي اشتمل عليها هذا

(١) انظر ترجمته في الذيل والتكملة ٥ : ٥٢٦ ، وراجع الذخيرة ١ / ٤ : ٢٢ ، ونفح الطيب ٤ : ٨١ وقد جعل وفاته عام ٤٠٢ / ١٠١٢ ، واشترك فاتن وهو صقلي في مجال هذا النشاط اللغوى يجعلنا نستغني عن طرح السؤال الذى طرحناه في الفصل السابق أعني : مدى مشاركة غير العرب في النشاط اللغوى ، فقد كانت موجة التعريب في هذا العصر قد أصبحت عامة شاملة .

(٢) الصلة : ٢٥٣ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣١١ .

الجانب الثقافي الكبير (١) :

النبدى :

- ١ - الابنية .
- ٢ - استدراك الغلط الواقع في كتاب العين .
- ٣ - الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين .
- ٤ - رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه من العين .
- ٥ - لحن العامة .
- ٦ - مختصر لحن العامة .
- ٧ - طبقات النحويين واللغويين .
- ٨ - مختصر كتاب العين .
- ٩ - المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لابي علي البغدادي .
- ١٠ - الواضح في النحو .

القالي :

- ١ - البارع في اللغة .
- ٢ - المقصور والمدود .
- ٣ - النوادر والامالي .
- ٤ - ذيل النوادر .
- ٥ - فعلت وأفعلت .

(١) سأعود الى دراسة بعض هذه المؤلفات في جزء تال من هذا الفصل^{الكتاب} ، وانما أحاول هنا أن أعدها لاستنتاج منها طوابعها العامة .

- ٦ - افعل من كذا .
- ٧ - الابل ونتاجها وجميع احوالها .
- ٨ - حلي الانسان والخيول وشياتها .
- ٩ - تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها .

ابن القوطية :

- ١ - الافعال .
- ٢ - شج صدر . أدب الكتاب .
- ٣ - المقصور والمدود .

سعيد المعافري (١) : (٤٠٠ / ١٠١٠)

- ١ - بسط لكتاب الافعال الذي ألفه ابن القوطية . (ومنه نسخة مصورة بالقاهرة ثاني ٢ : ٢٥٢ عن مخطوطة كوييلي ١٥١٨ - ١٥١٩) .

عبد الملك بن طريف (٢) :

- ١ - له كتاب حسن في الافعال (٣) (تلميذ ابن القوطية) .

صاعد :

- ١ - الفصوص .

(١) الصلاة : ٢٠٩ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ - ٢٨٢ .
 (٢) المصدر نفسه : ٣٤٠ .
 (٣) فهرسة ابن خير : ٣٥٦ .

سعيد بن القزاز (١) :

- ١ - كتاب في الرد على صاعد البغدادي في مناكير كتابه في النواذر والغريب المسمى بالفصوص .

أبو القاسم بن العريف (٢) (٣٩٠ / ١٠٠٠)

- ١ - كتاب يشتمل على مسائل في النحو اعترض فيها علي أبي جعفر بن النحاس .
٢ - رسالة في اعراب قولهم : ان الضارب الشاتم والدء كان زيدا يستقصي فيها نحو ٥٨ قولاً . (ومنها نسخة خطية بالقاهرة ثاني ٢ : ١٢) .
٣ - شرح الجمل للزجاجي . (ومنه نسخة خطية بالقاهرة اول ٤ : ٧٤ وثاني ٢ : ١٢٦) .

أحمد ابن اليعسم (٣) :

- ١ - له تأليف في اللغة وآه ابن الابار ولكنه لم يذكر اسمه .

عبد الله بن حسين ابن الغريالي (٤) :

- ١ - ألف في الانواء كتاباً مفيداً .

ديهود (٥) (عبد الله بن سليمان المشهور بديهود)

- ١ - له كتاب في العربية .

-
- (١) الصلاة : ٢٠٤ .
(٢) جذوة المقتبس : ٣٨٣ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ ، ٢ : ١٧٣ (الترجمة العربية)
(٣) التكلية : ١٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٧٩١ .
(٥) المصدر نفسه : ٧٧٨ .

محمد بن أبان بن سيد (١) :

- ١ - كتاب العالم نحو ما مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة .
- ٢ - كتاب العالم والمتعلم مبني على المسألة والجواب .
- ٣ - شرح كتاب الاخفش .
- عبيد الله بن فرج الطوطاقي : (٣٢٤ - ٣٨٦ / ٩٣٦ - ٩٩٦)
- ١ - كتاب اختلاف لغات العرب .

فهذه ستة وثلاثون مؤلفا تمثل اتجاهات مختلفة في النحو واللغة معا .

منها : أ - الاتجاه المعجمي ، الذي يمثل ما دار حول العين من مؤلفات ورد و واستدراكات ، ثم الجار وما دار حوله ، وكتاب العالم الذي يشبه ان يكون معجما حسب الموضوعات . ب - كتاب واحد في لحن العوام ، وهو لاحق من بعض نواحيه بالتأليف المعجمي . ج - كتاب واحد في الانواء وهو أيضا لاحق بالتأليف المعجمي . د - كتب النوادر والامالي ، وما اثار من ردود عليها . هـ - كتب الافعال ، وهي تمثل الاتجاه الرئيسي لدى ابن القوطية وتلامذته . و - البحث في المقصور والممدود ، وهي تنمى لما بدأه ابن ولاد بمصر . ز - دراسات نحوية وشرح على بعض كتب النحو . ح - كتاب واحد في تراجم علماء النحو واللغة ، وهو ذو صلة جانبية بالدراسات اللغوية . واذا تأملنا هذه الاتجاهات وجدنا الاتجاه المعجمي أغلب عليها كما وجدنا هذا الاهتمام بالاستدراك والشرح والاختصار لبعض الكتب المشرقية .

وكل هذه الاتجاهات تبين الى أي حد كان التأليف في الاندلس في هذا العصر اما متأثرا بالتأليف اللغوي في المشرق ناسجا على منواله ، او مستشارا به

(١) تايخ ابن الفرضي ٢ : ٦٩ ؛ جذوة المقتبس : ٣٨١ ، الصلة : ١٤ .

على نحو من استكمال النقص فيه أو التلخيص له أو الردّ على بعض ما جاء فيه . ولكن هذا لن يجعلنا نقلل من قيمة هذا الاسهام الاندلسي بأى حال ، فان التأليف في هذه الناحية سواء أكان في المشرق أو المغرب كان بناء على أسس سابقة . فكتاب العين وجهرة ابن دريد يستثيران الى تأليف "البارع" وكتاب لحن العامة لابي حاتم السجستاني يحفز الزبيدي الى تأليف كتابه بهذا الاسم ، وكتاب فعلت وأفعلت انما أساسه كتاب بهذا الاسم نفسه للزجاج .

واذا بحثنا عن العوامل الكامنة وراء هذا الاتجاه التأليفي وجدناها تمثل :

- (١) الميل الى الاستقصاء : ويدافع من هذا الميل جاءت اكثر كتب القالي ، مثل البارع والمقصور والمدود ، وكتاب السماء والعالم لابن سيّد وكتاب الاستدراك على العين للزبيدي ، فكلها انما تمثل توسعا واستقصاء لما ألفه المشارقة في هذه الموضوعات اللغوية .
- (٢) الميل الى الاستطراف : وعن هذه الطريق تعلم اللغة أيضا ، وكتب النوادر مثل أمالي القالي والنصوص لصاعد ، انما هي مستطرافات من الاشعار والاعبار لا يهتم مدى الصحة في نسبتها بمقدار ما هي مجال لتقريب الفوائد اللغوية عن طريق الخبر الطريف أو النادرة الطريفة .

- (٣) الميل الى المحاكاة : فكثير من كتب الاندلسيين انما كانت محاكاة لكتب مشرقية . فاذا ألف أبو حاتم السجستاني كتابا في " لحن العوام " ، أخذ الزبيدي نفسه بتأليف في مثل هذا الموضوع يأتي فيه على لحن العامة بالاندلس . وهذه المحاكاة لا تهطل الأصالة ولا تنفيها .

- (٤) الميل الى تنقية اللغة بدافع من روح المحافظة عليها ، وهذا ما يمثله أيضا

كتاب مثل لحن العامة للزبيدي .

(٥) الميل الى الشرح والتبسيط خدمة للدارسين . فمن أجل الغاية التدريسية وضع الزبيدي الواضح في النحو ، وشرح ابن القوطية صدر أدب الكتاب ، وبسط المعافى كتاب أستاذه ابن القوطية في الأفعال^(١)، وشرح ابن سيد كتاب الأخفش ، ووضع كتابه العالم والمتعلم على طريقة تعليمية خالصة هي المسألة والجواب .

(٦) تصحيح الخطأ أو ما يظن أنه خطأ ، وهذا يشمل كتب الردود ؛ وهي توجي بالتحدى مثلما تتضمن الميل الى المحافظة على سلامة اللغة وصحتها وصحة الاستنتاجات النحوية . ومن ذلك اقتراضات ابن العوف على ابن النحاس في مسائل من النحو ، وردّ القزاز على القواعد ، وانتصار الزبيدي على من انتقد كتابه " مختصر العين " .

وغني عن القول ان الكتاب الواحد يقف وراءه غير عامل واحد من هذه العوامل في بعض الأحيان ، وفي كل هذه العوامل غاية علمية تريد أو تنقص بمقدار حظها من الطاقة الموضوعية ، وتباین هذه الكتب من حيث الاصاله حسب المجال نفسه وقدرة المؤلف واخلاصه للغاية العلمية .

٤ - انصاف الاندلس في الميدان اللغوي :

بعد كل هذه الصورة الغنية في حقل التأليف يستغرب الدارس كيف تصدر في أواخر هذا القرن أو في مطلع التالي رسالة عن ابن الريح القروي^(١) (أى القيرواني) تعدّ حكماً جائراً على التأليف عامة في الاندلس وعلى هذا النشاط اللغوي

(١) الصلة : ٢٠٩ .

خاصة . فقد كتب ابن الرهيب هذا رسالة الى أبي المغيرة ابن حزم (ابن عم الفقيه أبي محمد) يقول فيها : "وعلمائكم - مع استظهارهم للعلوم - كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف ان صنف ان يعنف ، وان ألف ان يخالف ولا يوالف . . . فاذا اخترتم منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره" (١). وهذا اتهام بأن الاندلسيين لا يؤلفون فكيف يمكن أن يصدر هذا الاتهام عن رجل قريب نسبيا من الاندلس ؟ اكانت الكتب الاندلسية لا تهاجر ؟ اكان هذا جهلا من ابن الرهيب نفسه . انه ليقول قاطعا على صاحبه طريق الجواب : " فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبها لكنها لم تصل إلينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحنة راكب أو رحلة قارب ، لو نفث من بلدكم مصدور لأسمع من ببلدنا في القبور فضلا عن في الدور والقصور" (٢) ألم تخرج مؤلفات الزبيدي والقبالي وابن القوطية وابن سيد وغيرهم - دع عنك تلك الكتب الكثيرة التي ألفت في موضوعات أخرى - خارج حدود الاندلس ؟ هذا أمر مستغرب حقا ورسالة ابن الرهيب تبعث على الحيرة لانها تصور الاندلس في عزلة عما حولها رغم الهجرة الكثيرة المستمرة منها وإليها .

ولما ردّ ابن حزم الفقيه على هذه الرسالة وجد تراثا كثيرا يستشهد به على رسوخ قدم الاندلس في ميدان التأليف ، ومن المفيد أن ننقل هنا ما قاله في باب اللغة فانه يصور الجنبات البارزة في الصورة اللغوية لهذا العصر ، ويعطينا حكم عالم على ما بلغته الاندلس في تراثها اللغوي :

" ومنها في اللغة كتاب البارع الذي ألفه اسماعيل بن القاسم يحتوى على لغة

(١) نفح الطيب ٤ : ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٣ .

العرب ، وكتابه في المقصور والمدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابيه ، وكتاب الانفعال
 لمحمد بن عمرو بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين
 فلم يوضع في فنه مثله ، وكتاب (١) جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن
 التيماني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وكثارا وثقة نقل - وهو أظن في قيد الحياة -
 ... ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب " العالم " نحو
 مائة سفر على الاجناس في غاية اليعاب ، بدأ بالفلك وختم بالذرة ، وكتاب النوادر
 لأبي علي اسماعيل بن القاسم وهو كتاب مبارك لكتاب الكامل لأبي العباس المبرور
 ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نوحا وخبرا فان كتاب أبي علي لاكثر لغة
 وشعرا ، وكتاب " النصوص " لصاعد بن الحسن الرهعي وهو جار في مضمار الكتابيين
 المذكورين . ومن الأنحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن معناه ، وكتاب ابن
 سيده في ذلك المنبوز " بالعالم والمتعلم " وشرح له لكتاب الأخفش " (٢) .

(١) لاحظ ان ابن حزم لم يذكر اسم الكتاب فالظاهر أنه لم يطلع عليه ، ومن المستبعد
 أن يكون نسي اسمه لموفعل ، وقد سماه ابن خير " تلقيح العين في اللغة " .

(٢) نفح الطيب ٤ : ١٦٥ - ١٦٦ .

الفصل الثالث

أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

اولا - ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي * النحوي اللغوي (- ٣٢٩ / ١٨٩) ومؤلفاته :

ابو بكر هذا عربي الأصل يرجع الى يمن ، ونسبه الى زبيد ، وهي قبيلة كبيرة من يمن ، هاجر أهله الى الاندلس من حمص الشام ، واستوطنوا حمص الاندلس (١) ، اى اشبيلية ، ففيها على الأرجح كانت ولادته . اذ تتفق المصادر انه اشبيلي انتقل عن اشبيلية الى قرطبة (٢) . وقد ذكرت هذه المصادر انه عاش ثلاثا وستين سنة ومعنى هذا انه ولد حوالي ٣١٦ / ٩٢٨ ، وهذا غير معقول لأن هناك رواية أخرى تقول : " وكان الزبيدي اماما في الأدب ولكنه عرف فضل القاضي فقال اليه وأقر له " (٣) ، ومن ولد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ يكون عمره يوم وفاة القاضي أقل من خمسة عشر عاما ، ولا يكون اماما في الادب . ولذا كان لزاما علينا ان نشك في أحد أمرين ، أولهما : تقدير عمره (أما سنة وفاته فانها صحيحة) ، وثانيهما : تلك الرواية التي تقول بامامته في الأدب يوم ورود القاضي ، وأراني أميل الى الشك في الأول ، وعلى هذا الاساس ابني نتائج دراستي لحياة الزبيدي .

* ترجمته في : جذوة المقتبس : ٤٣ ، بغية الملتبس : ٥٦ ، تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٢ ، المغرب ١ : ٢٥٠ ، يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ ، انباء الرواة ٣ : ١٠٩ ، معجم الادباء ١٨ : ١٨٠ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١ ، بغية الوعاة : ٣٤ ، روضات الجنات : ٦٨٦ ، بروكلمان ٢ : ٢٨٠ (الترجمة العربية) .

(١) وفيات الاعيان ٤ : ٨ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٩ ، انباء الرواة ٣ : ١٠٩

(٣) جذوة المقتبس : ١٥٥ - ١٥٦ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠

ولا وب في انه طلب العلم أولا في بلده ثم ارتحل الى قرطبة فدرس فيها على قاسم بن أصبغ وعلى احمد بن سعيد بن حزم الصدي ومحمد بن يحيى الرهاحي . اما استاذ الرابع سعيد بن فحلون فهو بجاني ، ولا ندري ألقبه بقرطبة أم ببجاجة ؟ وبعد ان درس على هؤلاء الائمة كثر راجعا الى بلده فأقام فيه حتى اخذ الحكم يتجه نحو استقدام العلماء من بلاد الاندلس الى قرطبة فكان الزبيدي فيمن استدعاهم الحكم " لفضله والاستفادة منه " (١) . ومن المرجح ان يكون هذا الاستدعاء قد تم قبيل وصول القالي الى قرطبة عام ٣٣٠/٩٤٢ (٢) ، وأنه كان بين العلماء الذين استقبلوا ابا علي . وكان من الكتب التي رواها عن القالي كتاب النوادر والذيل وفعلت وأنفعلت وكتاب الابل ولتاجها وجميع أحوالها وكتاب حلي الانسان والخيول وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ، وكل ذلك من تأليف القالي . كما روى نوادر ابي زهاد الكلابي وجزوا فيه الاضداد لشعرب والمفضليات وشعر اعشى بكر ومقصورة ابن دريد ، وهذه المرويات هي ما انحدر الى ابن خير من طريق الزبيدي ، ولكنني اعتقد ان ما حصله الزبيدي اكثر بكثير منها ، وأنه لم يكن يقل في سعة اطلاعه اللغوي عن المدي الذي رسمه حين تحدثت عن احمد بن ابان بن سعيد (٣) . وقد تشبث الحكم باستبقاء الزبيدي في قرطبة حتى انه ذات مرة منعه من العودة الى اهله باشبيلية (٤) حينما استأذنه في ذلك . ويبدو انه عوّل على الإقامة في قرطبة من بعد ٤ ولما كبر المؤيد هشام اضطلع الزبيدي بتأديبه . وقد أخ ابن حبان

(١) انباء الرواة ٣ : ١٠٦ .

(٢) هذا التقدير راجع الى الفرض الأول ، أما اذا قدرنا أن الزبيدي كان صغير السن يوم قدوم القالي فمعنى ذلك أن صلته بقرطبة تمت في تاريخ متأخر كثيرا وأن ذلك لم يتم قبل عام ٣٥٠/٩٦١ على وجه التقريب .

(٣) راجع صفحات متفرقة من ابن خير .

(٤) جذوة المقتبس : ٤٥ .

هذه الحادثة في المقتبس تحت عنوان " ذكر ادناء الزبيدي " فقال : وفي يوم الاحد للنصف من ذي القعدة منها (١٧٣ / ٣٦٢) نفذ العهد الى محمد بن حسن الزبيدي ثم الاشيلي النحوي بالتزام مدينة الزهراء لمجالسة الامير أبي الوليد هشام ابن أمير المؤمنين ومفاتحته للنظر في العريضة وقد اعتدت لنزوله فيها الدار التي كان يسكنها صاحب الشرطة أحمد بن سعيد الجعفرى في حياة والده ، وأجريت الارزاق الواسعة عليه واستقبل في هذا اليوم بصلة سنية وخلعة فاخرة ، جزاء على الذى تولاه من اختطاره لكتاب العين للخليل بن أحمد ، واقامته على الترتيب والتضعيف اللذين حدهما له أمير المؤمنين فيها ، فارتضى صله فيه عند تصفحه له وأجزل صلته وأدنى مكانه وأوصله الى نفسه يومه هذا ، ففاوضه في عمله الذى برع فيه ، واستثار له من غوامض فنونه ، وناظره بين يديه يومئذ الوزير الكاتب الأديب جعفر بن عثمان في غرائب من فنه في النحو واللغة والشعر ، فتباريا في الشأو وتسايقا في ميدان الاصابة ، فسرّ بهما في يوم المعرفة . وانتظم اتصال الزبيدي من يومئذ بالخليفة الحكم وابنه هشام الامير ونال حظوة" (١) . وقد تولى الزبيدي القضاء في قرطبة يقول ابن الفريسي : وولاه القضاء بموضعه ، يعني الخليفة الحكم ، ومعنى هذا أنه كان قاضيا في المحلة التي يقطن فيها ، ولذلك لا يرد اسمه بين القضاة المشهورين في عصر الحكم ، فلما توفي الحكم ولاء هشام الشرطة (٢) . وقد جعلته صلته بالدولة من أهل الثراء حتى انه " نال دنيا عريضة ، وحصل له نعمة ضخمة لبسها بنوه من بعده زمانا " (٣) . ويبدو انه عاد في اواخر ايامه الى اشبيلية حيث توفي فيها سنة ٣٧٩ / ٩٨٩ (٤) . وتختلف المصادر بين سنة ٣٧٩ و ٣٨٠ / ٩٩٠ في تاريخ وفاته .

* ربما كانت التصنيف .

(١) المقتبس : الورقة ٨٠ .

(٢) تاريخ ابن الفريسي ٩٢:٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ .

(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٧ ، وانظر أيضا تاريخ ابن الفريسي ٩٢:٢

(٤) وفيات الاعيان ٨٤٤

وليس في المصادر أخبار نستمد منها احكاما على شخصية الزبيدي ولكن اضطلاء بالقضاء اولا ثم بولاية الشرطة ثانيا يدل على قدرته الادارية مثلما يدل على تضلعه في الشريعة . ولعل كتابه الذي ألفه في الرد على ابن مسرة يدل على تمسكه بالسنة والمحافظة الدينية التي كانت تؤهله لذلك المنصب القضائي . اما غيرته على اللغة فشيء تشهد به مؤلفاته نفسها ، ودقته الصارمة في تعقب الاخطاء . وأما علمه فقد كان العلم الغزير الذي اطنبت المصادر في الشئ عليه حتى قيل فيه : " كان اوجد عصره في علم النحو وحفظ اللغة ، وكان أخبر اهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر ، الى علم السير والاخبار ، ولم يكن بالاندلس في فقه مثله في زمانه " وقد ترددت هذه الرواية بلفظ او بأخر في الكتب التي ترجمت له (١) . ويدل تتلمذه للقالي وانتسابه اليه على تواضع عليي أصيل فيه والا فقد كان غيا بنفسه عن ان يطلب العلم مستأنفا يوم وصل القالي الى قرطبة .

وقد كان الزبيدي شاعرا يذهب في شعره ناحية حكمة تعليمية أحيانا . وتغلب على بعض شعره معرفته اللغوية كقصيدته التي رثى فيها القالي ، فهي قصيدة " جزلة الالفاظ كثيرة الغريب صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم " (٢) . وله مقطعات ضمنها بعض مشاعره الذاتية كذلك التي كتبها الى جاريته سلمى حين لم يأذن له المستنصر بالعودة الى اشبيلية ومطلعها (٣) :

ويحك يا سلم لا تراعي لا بدّ للبين من زماع

- (١) راجع ثبت هذه الكتب في أول ترجمة الزبيدي .
 (٢) يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، ومطلع هذه القصيدة :
 تالله لا يبقى لصرف النوى نوجسد في رأس نيق منيف
 (٣) انظر جذوة المقتبس : ٤٥ ، والمصادر الاخرى .

مؤلفاته في النحو واللغة :

للزبيدي مؤلفات جمّة في النحو واللغة ، أجمل القول فيما لم يصلنا منها وما لم يتح لي ان اطلع عليه ، ثم اعود الى دراسة ثلاثة من كتبه الهامة .

١- كتاب مختصر العين^(١) ، رواه عنه اسماعيل والد اللغوي المشهور ابن سيده ، وابو بكر عبادة بن ماء السماء الشاعر ، وعن طريقهما انحدرت روايته الى ابن خير^(٢) . وقال فيه الفتح : " وله اختصار العين للخليل وهو معدوم النظير والمثل "^(٣) . وكان هذا الكتاب من الكتب التي يتنافس فيها أهل المغرب لانه " اتمه باختصاره وزاد فيه ما عساه كان مفتقرا اليه "^(٤) . وهو كتاب ألفه للحكم المستنصر ونال اعجابه .

وجاء في المزهر : " قال أبو الحسن الشاربي في فهرسته : كان شيخنا ابو زر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي ومختصر الزاهر للزجاجي ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ومختصر الواضحة للفضل ابن سلمة . قال الشاربي : وقد لهج الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة ، مثل جمهرة ابن دريد وعذهبي ومذهب شيخي أبي زر الخشني وأبي الحسن بن خروف أن الزبيدي أخلّ بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث

(١) من هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد في الرق بخزانة القرويين بفاس ١٢٤٦ - ١٢٤٧ مجلة معهد المخطوطات ٥ : ١٥) ونسخ في القاهرة (٣٨٦ ، ٤٠٦ ، ٥٩٧ لغة) ونسخة بمكتبة فيض الله رقم : ٢٠٩٨ ، ونسخة في برلين ٦٦٥٠ - ٥٢ ، ونسخة في باريس ٥٣٤٧ ، ودرهد ثالث : ٤٩ ، وكوبريلي : ١٥٢٤ ، (انظر بروكلمان ٢ : ١٣٣)

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٥٠ .

(٣) مطمح الانفس : ٥٤ ، ونفع الطيب ١ : ٢٥٠ .

(٤) معجم الادباء : ١٨ : ١٨١ .

وصحيح أشعار العرب» (١).

ويمكن أن أجمل ما صنعه الزبيدي في هذا الكتاب بأنه حذف المواد المصحفة أو المشكوك فيها ، ووضع المادة في موضعها الصحيح ، وأثبت الاختلاف في اقوال اللغويين الآخرين الى جانب ما ورد في العين ، وحذف المصادر والأفعال المضارعة والابنية القياسية واختصر ما في العبارات التفسيرية من طول وبالرغم من أنه يضع مختصرا فقد زاد بعض الألفاظ والمواد التي لم يتضمنها الكتاب الأصلي (٢).

٢- الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين (٣).

٣- المستدرك من النهاية في كتاب البارع لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن أحمد رواء عنه عبادة بن ماء السماء (٤).

٤- استدراك الخطأ الواقع في كتاب العين (٥) نقل منه السيوطي في المزهر، ومن أمثلة ما استدركه الزبيدي من الألفاظ المصحفة : باب همع ، الهميع : الموت فصحفه والصواب الهميع بالخين المعجمة . باب ققع ، القاعي من الرجال : الاحمر ، وهو غلط ، والصواب ، فقاعي ، يقال : هو احمر فقاعي ، للذي يخالط حمرة بياض . باب عنك ، عرق عانك : اصفر : والصواب : عاتك (٦).

٥- الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين . وقد نقل السيوطي في المزهر ما ساء مقدمة الاستدراك ، ولكن الزبيدي يشير في تلك المقدمة الى مهاجمة الناس له

(١) المزهر ١ : ٤٤ .

(٢) عن المعجم العربي : ٢٨٤ - ٢٨٦ بايجاز .

(٣) لحن الموام : ٢٨ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣١١ .

(٥) فوات الوفيات : ٤ : ٧ .

(٦) انظر المزهر ٢ : ١٩٣ - ١٩٦ .

فيما أخذ على الخليل فما أخرى أن تكون هذه المقدمة مقدمة للانتصار . وقد جاء فيها : " وصل إلينا - أيك الله - كتابك تذكر فيه ما أولس به قوم من ضعفة أهل النظر من التحامل علينا والتسرع بالقول فينا بما نسبوه إلينا من الاعتراض على الخليل بن أحمد في كتابه والتخطئة له في كثير من فصوله ، وقلت انهم قد استمالوا جماعة من الحشوية إلى مذهبهم وعدلوا بهم إلى مقالتهم بما لبسوا به وشنعوا القول فيه ، وسألت ان احسم ما نجم من افكهم واردا ما ندر من غيوب السنتهم ببيان من القول مفصح واحتجاج من النظر موضح . وقد كنت ، أيك الله ، في صحة تمييزك وعظيم النعمة عليك في نظرك ، جديرا ان لا تعرج على قوم هم بالحال التي ذكرت ، وأن يقع لهم العذر لديك بوجوه جمعة منها : تخلفهم في النظر وقلة مطالعتهم للكتب وجهلهم بحدود الأدب ، مع ان العلة الموجبة لمقاتلتهم والباعثة لتسرعهم على الحسد الذي لا يداوى سقمه ولا يوسى جرحه ، فقد قال الحكيم :

كل العداوات قد ترجى افاقتها الا عداوة من عاداك عن حسد

أوليس من العجب العجيب والنادر الغريب ان يتوهم علينا من به مسكة من نظر او رفق من فهم تخطئة الخليل في شيء من نظره والاعتراض عليه فيما رفق او جل من مذهبه . الخ . (١) ويمضي الزبيدي فيبين أن ما وقع في العين من خطأ لا يمكن أن يقع فيه الخليل ودلّ على مبلغ حذقه فيما رسم أو ألف قال : " ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا المختصر من كتاب العين لعلم أننا نزهنا الخليل عن نسبة المحال اليه ونقينا عنه من القول ما لا يليق به وذلك أننا قلنا في صدر الكتاب : ونحن نرى بالخليل عن نسبة الخل إليه أو التعرض للمقاومة له بل نقول ان الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه " ويوضح ذلك بأقوال لعلماء مشاركة في استبعاد نسبة الكتاب في

شكله الذى وصلنا الى الخليل وبالتفصيل في نسخه والاضطراب في روايته والاستشهاد بالمرزول من أشعار المحدثين وأن فيه رواية عن ناس لا يمكن أن يكون الخليل قد روى عنهم وأن جميع ما وقع فيه من معاني النحو إنما هو مذهب الكوفيين والخليل بصرى، ثم ان في الكتاب تداخلا لا يعجز الخليل تثقيفه (١).

٦- الواضح في النحو (٢) : هكذا استمد أكثر المصادر وذكره صاحب المغرب باسم " الايضاح " وفي الوافي بالوفيات وبغية الوعاة وروضات الجنات أنه " الموضح " ، ورواه عنه ابو بكر عباد بن ماء السماء (٣) وقيل فيه " انه مفيد جدا " (٤) شرع في شرحه ابن وليد النحوى فبلغ منه نحو النصف وتوفي قبل اكماله (٥).

٧- كتاب رسالة التقريظ، رواها عنه عباد بن ماء السماء (٦). ولعلها هي رسالة الانتصار للخليل .

٨- كتاب طبقات النحويين واللغويين (٧).

ترجم فيه للنحويين واللغويين من عهد أبي الاسود حتى محمد بن يحيى اليربوعي (٣٥٨ / ١٦١) وقد كان مصدرا لكثير من المؤلفين الاندلسيين والمشاركة مثل ابن الفريسي وياقوت والقنطري والسيوطي والمقريزي . وقد بين الزبيدي في مقدمة الكتاب انه ألفه بأمر من الحكم المستنصر . قال : " فألفت هذا الكتاب على الوجه

(١) المزهر : ٥٠ - ٥٣ .

(٢) من هذا الكتاب نسخة بالاسكوريال (انظر بروكلمان ٢ : ٢٨٠) ونسخة مصورة بدار الكتب عن نسخة المكتبة المتوكلية بجامع صنعاء الكبير .

(٣) فهرسة ابن خیر : ٣١١ .

(٤) وفيات الأعيان ٤ : ٧ .

(٥) الصلاة : ٢٥٣ .

(٦) فهرسة ابن خیر : ٣٥١ .

(٧) طبع بمصر سنة ١٩٥٤ ، بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .

الذى امرني به امير المؤمنين ، رحمه الله ، وأتمته على الشكل الذى حدّده ، وأمدني ، رضي الله عنه ، في ذلك بعنايته وعلمه ، وأوسعني من روايته وحفظه ، اذ هو البحر الذى لا تعبر اوانه ولا تدرك سواحله ، لا ينزع غيره ولا تنضب مادته " (١) . وقوله في هذه العبارة ، رحمه الله ، يدل على ان الكتاب نجز تأليفه بعد سنة ٩٧٧/٣٦٦ .

وكان المنهج الذى اتبعه الزبيدي في هذا الكتاب هو الترجمة لعلماء اللغة والنحو على حسب التسلسل الزمني ذاكرة مولد المترجم له وتاريخ وفاته ، وتنظا من اخباره والحكايات المتضمنة لفنائه والمشتعلة على محاسنه . وتسم كتابه على طبقات ، فجعل النحويين البصريين في عشر طبقات ثم اورد بعدهم النحويين الكوفيين في ست طبقات ، حتى اذا انتهى منهم عاد فأفرد فصلا للنحويين البصريين وجعلهم في سبع طبقات ، وشغفهم بالكوفيين وجعلهم في خمس طبقات . ومنح بين النحويين واللغويين المصريين في فصل واحد وجعلهم في ثلاث طبقات . وجاء بعدهم بالنحويين واللغويين القرييين في أربع طبقات . وختم الكتاب بتراجم النحويين واللغويين الاندلسيين في ست طبقات . اما الأساس الطبقي في هذا التقسيم فهو الأساس الزمني ، وهي قسمة تقريبية . ولم يذكر الزبيدي مصادره التي اعتمدها في كتابه ، ولكن كثيرا من الاخبار تسند الى القالي رواية ، وعن ابن النازي ، احد الاندلسيين الراحلين الى المشرق . كما ان فيه روايات عن استاذة قاسم بن أصبغ ، وعن الرهاحي . ولست أظن ان الزبيدي اكتفى بالروايات الشفوية وانما اعتمد على كتب في اخبار النحويين واللغويين ككتاب السيراني . على ان الكتاب يعد أصلا هاما في كتب التراجم ، ولا تظهر قيمته الا عند مقارنته بما ألف في مثل موضوعه . اما في تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين فيكاد يكون المصدر الوحيد حتى منتصف القرن الرابع .

١ - الاستدراك على سيبويه :

١ - دواعي التأليف

نظر الزبيدي في المؤلفات النحوية الكثيرة ، فرأى أن الغثاظ غالبية عليها: في طريقة التأليف وفي شدة الاطالة وعدم التجديد والتكرار لموضوعات سابقة، فعبّر عن سخطه هذا بقوله : " فاني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد اکتروا التأليف فيه وأطالوا القول على معانيه فأملّوا الناظرين واتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بيّنت وركوب اساليب قد نهجت فلم يخلّ أكثرهم بخير اعادة ما تقدم اليه والتكثير فيما سبق الى القول عليه . وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهم ان يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه فينظر الى مبادئ كتابه وعنوانات احواله ويرى لطائف معانيه ودقائق حججه الى الايجاز في قوله والايجاب لمراعاة فيزجره ذلك ان كان ذا حجب * عن تكلف ما لا حاجة اليه ويمنعه الاعتناء بما لا معمول عليه" (١). فالزبيدي اذن معجب اشدّ الاعجاب بكتاب سيبويه يعني على الآخرين تأليفهم كتبها هي في حقيقتها تكرار ومسح لما قاله صاحب الكتاب من قبل .

غير ان هذا الاعجاب من قبل الزبيدي لم يمنعه من وزن كتاب سيبويه بميزان الحقيقة . فهو يعرف ماله وما عليه . ويبدو انه كان لفترة طويلة يصاحب الكتاب ويدرسه ويتدارسه فعرف من اموره ما لم يعرفه غيره ، او هكذا هو يزعم (٢). ولعل اكثر ما جذب انتباه الزبيدي في الكتاب ما كان متعلقا بأبنية الاسماء والافعال : " وقد كت ايام مطالعتي هذا الكتاب كلفا بما تضمنه من ابنية الاسماء والافعال التي هي زمام الكلام والسور المضروب دونه والحد المنتهى اليه فاستخرجتها يومئذ مختصرة منه

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ .

(٢) المصدر نفسه

ليقرب حفظها لمن آثر ان يقف على معرفة البناء العربي من الدخيل اما من مصنوع غولط به او اعجمي اقم فيه " (١). ولكثرة مطالعة الزبيدي لهذه الابواب استطاع ان يكتشف، وهذا ما لم يستطعه غيره، كما يقول، نقضا كثيرا : " وكان جلّة المشائخ من اهل النحو فيما روينا عنهم يزعمون ان ما ألفه سيبويه منها يستوفي جميع ابنية الكلام ما خلا ثلاثة ابنية شذت عن جميعه ، فاستقصيت البحث عن ذلك وانعمت النظر فيه فألفت نحو الشانين بناء لم يذكرها سيبويه في ابنيته ولا دلّ عليها احد من النحويين من بعده " (٢). فكان هذا المنطلق الذي بدأ الزبيدي منه بالتفكير في سد الثغرة التي خلفها سيبويه .

على كل حال ، لم يكن الدافع هذه المرة رغبة امير المؤمنين في المؤلفات وتشجيعه لها ، كما كان الامر في كتابي الزبيدي الاخرين : لحن العوام ، وطبقات النحويين واللغويين (٣). ربما كان زمن تأليف الكتاب سابقا لاتصال الزبيدي بالحكم (او بعد وفاة الحكم) ، فقد عرفنا من سيرة حياة الزبيدي انه اتصل بالخليفة بعد ان توطدت قدمه في دنيا العلم . فالزبيدي ، اذن ، يرجع كل الفضل في هذا المؤلف لنفسه .

واعتقد ان الدافع الأول لاستدراك الابنية التي لم يذكرها سيبويه انما كان اظهار العلم والادلال بالمعرفة . والحقيقة ان لهجة التعامل - وهي لهجة مستعربة عن الزبيدي المتواضع - بادية تماما في الكتاب اجمع . وسوف نرى بعد قليل كيف ان الزبيدي تتبع سيبويه مفندا كلامه متبعا اخطاءه ، وكيف انه استقصى غاية الاستقصاء

(١) الاستدراك على سيبويه : ١

(٢) المصدر نفسه :

(٣) مقدمات الكتابين .

بحيث لم يترك شاردة ولا واردة • وكان حرصا على ذكر ما اورده سيبويه ثم اتبعه بما لم يذكره ، مما يشير الى رغبة المقابلة وابرار التقص •

ب - منهج الكتاب :

جاء في مقدمة الكتاب : " • • • فرأيت ان افرد في الابنية كتابا الخص ذكرها فيه وأبدأ بما يجب ان يكون صدرا لها ومدخلا اليها ما يشاكلها وينتظم بها بل هو أصل لها وهي فرع منه مبنية عليه ، وذلك بان ابتدئ بذكر اقل اصول الاسماء والافعال والحروف واكثر اصولها غير مزيدة واتصى ما تنتهي اليه بالزيادة • ونذكر حروف الزيادة والبدل ، ثم نعقب من بعد بأبنية الاسماء والافعال على حسب ما ذكرها سيبويه بناء بناء ونعد ما نورد منها في كل باب حتى تأتي احاطة العدد على جميع ابنية الاسماء والافعال • • • " (١) . ومن هذا النص يمكننا ان نقسم الكتاب الى مقدمة والى موضوعين رئيسيين • فالمقدمة هي التي تشمل الابواب التالية :

- ١ - باب ذكر اقل اصول الاسماء واكثر اصولها •
- ٢ - باب ذكر اقل اصول الافعال واكثر اصولها •
- ٣ - باب ذكر الحروف •
- ٤ - باب الحروف الزوائد وهي عشرة •
- ٥ - باب حروف البدل وهي اثني عشر حرفا •

وهذه الابواب دراسات تمهيدية وتعريفات للدخول من بعدها في صلب

الموضوع وهو الابنية • وبطبيعة الحال لم يصنف الزبيدي كتابه هذا التصنيف ، وانما ادراج الابواب بصورة متتالية ودون ان يميز بين ما هو تمهيد وما هو أصيل •

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ - ٢ •

وأما البابان الرئيسان فانهما أيضا يتفرعان الى ابواب ثانوية، ويدخل أثناء ذلك أيضا ابواب فرعية . والبابان هما :

أولا - باب ذكر ابنية الاسماء

١ - باب البناء الثلاثي غير المزيد

١ - ذكر لحاق الزوائد في البناء الثلاثي ،

- باب لحاق الهمزة - باب لحاق الالف - باب لحاق الياء
- باب لحاق النون - باب لحاق التاء - باب لحاق الميم
- باب لحاق الواو .

ب - باب الزيادة من موضع التضعيف في العين واللام .

ج - باب الزيادة من موضع العين واللام اذا ضعفتا .

٢ - باب البناء الرباعي غير المزيد

١ - باب لحاق الزوائد للرباعي

- باب لحاق الواو - باب لحاق الياء - باب لحاق الالف
- باب لحاق النون .

ب - باب التضعيف في الرباعي .

٣ - باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية .

١ - باب لحاق الزوائد بالخماسي .

ب - باب ما اعربت العرب من الاسماء الاعجمية .

ثانيا : ذكر ابنية الافعال

١ - باب لحاق الزوائد للفعل الثلاثي .

٢ - باب ما تسكن اوائله من الافعال المزيدة .

٣ - باب ما لحق من الافعال الثلاثية بالرباعية .

٤ - باب الافعال الرباعية .

٥ - باب لحاق الزوائد بالرباعي .

ومن هذا التبسيط لمواد الكتاب يلاحظ ان هناك بعض الاضطراب في

المنهج . فباب " ما اعربت العرب من الاسماء الاعجمية " لا يختص بأبنية الاسم الخماسي، ولكن الزيدى الحق بهذا الباب . كما ان باب " ما تسكن اوائله من الافعال المزيدة " ، الحق بباب " لحاق الزوائد للفعل الثلاثي " . غير ان ذلك لا يعدّ طعنًا بالغافسي منهج الكتاب ؛ والواقع انه من المؤلفات ذات المنهج الواضح . وربما ساعد على ذلك الانتظام ، ضيق المجال وتقيّد المؤلف بناحية معينة من اللغة واتباعه لكتاب سيبيه في ردّه عليه .

بعد ذلك يعتمد الزيدى الرّد على سيبيه في ناحيتين :

١ - تبيان تناقض سيبيه وغلطه في ما ذكر ، ويشير الزيدى الى ذلك قائلا : " وندلّ في خلال ذلك على ما اختلف فيه قوله وما نقض به أصله " (١) . ومثل هذا التبع كثير ، بل الواقع ان الهدف من الكتاب هو هذا الاستدراك على سيبيه ، مثاله : " ٠٠٠ وعلى فَعْلِيل فَلَاسم زِمَج وزُبُر وحفرد والصفة دلّم وعنفص وخرمسل وزهلق ، قال ابو بكر : قد قال في باب زيادة الميم في الثلاثة ان دلّم فَعْلِم والميم زائدة وجعلها هاهنا اصلا على فَعْلِيل " (٢) .

٢ - افراد فقرة تابعة خاصة لايراد ما لم يورده سيبيه من اصول الابنية . قال الزيدى

(١) الاستدراك على سيبيه : ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٨ .

" ونذكر باشور كل باب منها ما اغفله سيبويه من اصول الأبنية فيه " (١). فبعد باب لحاق التاء يورد الزيادة التالية : " الزيادة ، قال ابو بكر قد جاء تُفَعِّلُ قالوا تُسَوِّطُ اسم لطائر ، فعدتها ثمانية عشر بناء ، للاسماء والصفات ثلاثة ابنية ولل اسم اثنا عشر بناء وللصفة ثلاثة ابنية " (٢). وتختلف الزيادة من باب الى آخر فأحيانا تطول (٣) وأحيانا تقصر (٤).

حتى اذا خلس من ذلك كله عدد الى تفسير الغريب . قال شارحا منهجه في هذا ، الناحية : " ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع فيه من غريب الابنية شرحا مختصرا كافيا ، وان كان اهل اللغة قد تحاموا شرحها وتقادوا من تفسير غريبها وشهدوا لسبويه بالتقدم في علم اللغة بما اثبت في كتابه منها حين ايقنوا انه لم يعن بنقلها الا بعد احاطته بعلمها وتفسير مشكل غريبها " (٥). فالزبيدي يرى من واجبه ان يشرح ما هو عسير على الفهم . وربما ظهر التعامل ومحاولة التفوق على سيبويه في هذا الكلام ، اذ انه يغمر سيبويه ويتهمة بأنه لم يكن يعرف تفسير الالفاظ الغريبة كلها . وهو لا يؤمن بكلام العلماء الاخرين الذين يثقون بسيبويه ، فيقرر ان يفرد جزءا خاصا بالتفسير يلحقه بكل باب من ابواب كتابه . ولكن الزبيدي يعترف بأنه لم يستطع ان يحيط بكل شيء صعب : " وقد ارجأنا منها شرح حروف يسيرة لم ينته اليها علمها فأتينا بها في اواخر الابواب ولم نياس بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها ان شاء الله تعالى " (٦).

وهذا التفسير الطبع ، ليس قليل الشأن ، او ، اذا اردنا ان نكون دقيقين ،

(١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٣ .

(٣) زيادة باب لحاق النون ص ٢٢ ، زيادة باب لحاق الالف ص : ١٤ - ١٥ .

(٤) زيادة باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية ص : ٣٦ ، زيادة باب لحاق التاء ص : ٢٣ .

(٥) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

(٦) المصدر نفسه

ليس قليل الحجم ، فهو كثيرا ما يفوق في حجمه المادة الاصلية والزيادة عليها مجتمعين . ولعل السبب في ذلك ان المجال هاهنا يفتح امام الاخبار والاقوال والامثال وأشعار العرب : " والاسليح نبت من فاضل المرعى ، وتنافر الى ابنة الخس امرأتان تارتا في مرعى ابويهما . فقلت احداهما : اهل ابي ترعى الاسليح ، فقالت بنت الخس : رغوّة وصبح وسنام اطويح " (١) . والزبيدي هاهنا يردّ الروايات الى قائلها ولكنه لا يذكر ما اذا كانت مصادره شفوية ام مختارة من الكتب ، ولا يورد اسماء المؤلفات . فهو يقول : " قال النضر بن شميل " (٢) و " قال يعقوب " (٣) و " ذكر الاصمعي " (٤) .

ويكثر الشعراء التفسير ، ولكنه يذكره للاستشهاد به ، ولا تجرّه المتعة الادبية الى ذكر مقطوعات بكاملها . بل انه كثيرا ما اكتفى بشرط من يبت حرصا على الايجاز .

ويمكننا ايجاز التقسيم داخل كل باب - ولفظة باب عنده مائة الدلالة فقد تعني ابنة الاسماء اجمع ، وقد تعني لحاق التاء في الثلاثي المزيد فقط - بما يلي :

١ - ما اورده سيبويه من الباب ، واظهار التناقض والخطأ احيانا .

٢ - الزيادة التي حققها الزبيدي لما فات سيبويه ذكره .

٣ - تفسير غريب الباب .

(١) الاستدراك على سيبويه : ٩ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

ج - خصائص الكتاب :

يتميز هذا الكتاب بصفيتين بارزتين اولاهما الاستقصاء وثانيتهما

وضوح شخصية المؤلف :

فأما الاستقصاء فقد تتبع ابوبكر الزبيدي سببوه تتبعاً عنيفاً، ولم يتركه لحظة الا ليعود فيمسك بتلابيبه مرة أخرى . وقد أحس الزبيدي نفسه بأن مثل هذا التصرف قد يعرضه لهجوم الناس عليه ، فاستبق هجوم الناقدين ودافع عن نفسه قائلاً : " ولعل عاقلاً يتوهم أننا ادّعينا مدانة سببوه في علمه او موازاته في نفاذه وفهمه بما زدنا عليه من الابعية التي اغل ذكرها ولما دللنا عليه من تناقض بعض قوله او بمعارضتنا له في اليسير من معانيه فبخالنا افكاً ويظن بنا عجزاً وأنّى لنا بما توهمه وانما تكلفنا على أصوله وعارضنا بعض قوله / ^{بعضه} وررررنا عليه من علمه ، والاحاطة على البشر ممتعة والعصاة عنهم مرتفعة " (١). وهذا الكلام له اهمية لأن فيه تأكيداً على ان الزبيدي يجد نفسه قادراً على مقارعة سببوه واكتشاف اخطائه وتتبع عثراته ؛

وهذا الاستقصاء يظهر لنا واضحاً في مثل ، من جملة الامثلة الكثيرة التي يمكن ايرادها ، جاء في باب لحاق الألف : " . . . قال سببوه وعلى تفاعل فالاسم التناضب والتنافل ولم يأت وصفاً ، قال ابو بكر قد جاء ناقة تحلبة والجمع تحالب . قال سببوه وعلى يفاعل فالاسم يرايبع ويعاقيب ويعاسيب والصفة يحاميم ويخاير جمع يخضور ويحوم . وعلى يفاعل فالاسم اليحامد واليرامع ، قال ابو بكر : قد جاء ناقة يعملة صفة والجمع يعامل . قال سببوه وعلى فعاويل فالصفة قراويح وجلالوخ لا نعلمه جاء اسماً ، قال ابو بكر : قد ذكر في هذا الباب عسود وقرواش اسمان فيجب ان يجمعاً

(١) الاستدراك على سببوه : ٢ .

على عوايد وقرايش الخ ... (١).

وأما من حيث وضع شخصية الزيدى في كتابه فالواقع ان طبيعة الكتاب تستدعي من المؤلف فرض شخصية قوية وبارزة . فهو مؤلف قائم على استدراك اخطاء الآخرين وسد النقص وتتبع السقطات ، وهذا كله يحتاج الى عالم يبدى رأيه بصراحة وبصورة جازمة .

فالزيدى يبدى رأيه في المشكلات اللغوية المعقدة ويكون شديدا حتى على العلماء الثقات : " وليست اليا في مسلمين يبدل من الف مسلمان ولا ياء مسلمين يبدل من واو مسلمون كما زعم سيبيه . لأنه ليس منها شي " بأصل لازم لاسم هو اولى به من غيره وانما هي أدلة على اعراب الاسم لكان قد ذهب في ذلك مذهبا " (٢) ويلاحظ ان الزيدى لا يعترض فحسب وانما يبدى الحجة . ومثل هذا دفاعه عن الكوفيين : " قال ابوبكر : الكوفيون ومن نحا نحوهم من البغداديين يجعلون هذا من الثلاثي وأصله عندهم كفت وزلت فكهوا اتصال التضعيف فحالوا بينه بحرف مثل فاء الفعل وقولهم عندي اولى بالصواب لا طراد مقالتهن وصحة الاشتقاق لمذهبهم ، الا ترى ان قولك ككفت في معنى كفت وحللت في معنى حللت " (٣).

١٠ لحن العامة

تذكره المصادر بهذا الاسم وأحيانا باسم كتاب ما تلحن فيه عوام الاندلس، وحيثا ثالثا باسم لحن عوام الاندلس أو لحن العوام ، وقد قال فيه ابن

(١) الاستدراك على سيبيه : ١١ - ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٠ .

خير : " كتاب لحن العامة لأبي بكر الزبيدي التأليف الأول والثاني " (١) فلكتاب صورتان متفاوتتان كتبهما الزبيدي في تاريخين مختلفين . ثم ذكر كتاب " مختصر لحن العامة " وقال عنه انه في جزء واحد (٢) وقد أخذ اجازة ولم يقرأه . وقد نشرت صورة من هذا الكتاب قام بتحقيقها الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان " لحن العوام " (٣).

ويقول محقق الكتاب : انه هو الاسم الذي وجده على المخطوطة الوحيدة التي استخدمها في التحقيق . ويبدو أن هذا المنشور اما أن يكون مختصر لحن العامة أو الصورة الموجزة من التأليفين اللذين ذكرهما ابن خير .

(أ) الداعي الى تأليف الكتاب

يريد الزبيدي ، في هذا الكتاب ان يرد فضل التأليف الى الحكم المستنصر ، يقول : " وكان الذي قد دعانا الى تأليف هذا الكتاب ما أملناه في الثقة التي اسندها الى المؤلف الامام الفاضل ، والخليفة العادل ، الذي لا اسم في الارض غيره ، ولا خليفة لله على الخلق سواء ، الحكم المستنصر بالله ، امير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، محيي العلم وواعيه ، الراسخ في فنونه ، الموفى على دقيقه وجليله ، المشرف لـه ولحامليه ... " (٤). غير اننا لا نستطيع ان نرد من الفضل للحكم سوى ما يمكن ان يكون قد ساهم به من تشجيع ورعاية وعطاء . اما الفضل العلمي فاننا نرده كله الى الزبيدي ان هذا الكتاب يختلف في منهجه عن كتاب طبقات النحويين واللغويين .

ولقد نظر الزبيدي الى لغة الناس من حوله فأحسن ان هناك فارقا ما بين

(١) فهرسة ابن خير : ٣٤٦

(٢) المصدر نفسه : ٢٤٧

(٣) طبع القاهرة : ١٩٦٤

(٤) لحن العوام : ٩

لغتهم ولأولين اللغة الفصيحة ، فأراد ان يبين هذه الاخطاء ، او ما اعتبره من الأخطاء .
ويشرح لنا في المقدمة هذا الامر فيقول : " ولم تزل العرب في جاهليتها و صدر من
اسلامها ، تبرع في نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة ، حتى فتحت المدائن ، وصارت
الامصار ، ودونت الدواوين ، فاختلف العربي بالنبطي ، والتقى الحجازي بالفارسي ، ودخل
الدين اخلاط الام ، وسواقط البلدان ، فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن في السنة
العوام " (١) .

وقد ذكر الزبيدي ان هناك قوما حاولوا ان يصلحوا من هذا الامر " فكان اول
من استدرك ذلك ، وحاول اصلاح فساد ، ابو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي فألف ابوابا
من النحو ، ذكر فيها عوامل الرفع والنصب والجبر والجزم ، ودل على الفاعل والمفعول
والمضاف " (٢) .

ويورد الزبيدي بعد ذلك ذكرا لبعض الاسهامات التي شاركت في التأليف النحوي
ووضعت قواعد لضبط اللغة ومحو الجهل فيها (٣) . ثم يقول موضحا الهدف من التأليف :
" ثم ألف من بعده - بعد الخليل - من اهل العلم في النحو والغريب واصلاح المنطق ،
على قدر الحاجة ، وبحسب الضرورة ، تحصينا للغتهم ، واصلاحا للمفسد من
كلامهم " (٤) . فالهدف اذن من تأليف لحن العامة هو اتمام تلك السلسلة من الكتب
اللغوية التي تحاول ان تضبط اللغة وتمنع نشو اللحن فيها .

وهنا نسأل انفسنا هذا السؤال : هل ألف الزبيدي كتابه على غير مثال

(١) لحن العوام : ٤

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : ٤ - ٥

(٤) المصدر نفسه : ٥

سابق ؟ الواقع ان الزبيدي نفسه يقول : " وقد وضع ابو حاتم كتابا اعتمد به تقويم ما غيره اهل عصره من كلام العرب ، وسمّاه كتاب لحن العامة " (٢) . فالفكرة اذن ليست من ابتداء الزبيدي ، وعنوان الكتاب أيضا ليس جديدا .

فما الذي يختلف فيه كتاب الزبيدي عن كتاب ابي حاتم ؟ ان مثل هذه الزيادة او مثل هذا الاختلاف هو المبرر لتأليف لحن العوام ، والا يكون الكتاب بمجمله نفلا .

يقول الزبيدي : " واني لما تصفحت كتابه - كتاب ابي حاتم - هذا رأيته مشتملا على ما يشتمل عليه سائر الكتب الموضوعة في اللغة ، ورأيت الفن الذي قصده ، والضرب الذي اعتمد ، ووسم الكتاب به نزرا فيما ضمنه من تفسير الغريب ، وتصريف الافعال ، وتوجيه اللغات " (٣) . فالزبيدي يهاجم طريقة التأليف عند ابي حاتم بمرى انه لم يحقق فكرته ، فلقد شذ عن الموضوع وراح يبحث في المشكلات التي بحشها من جاء قبله من العلماء ، " فكان الكتاب مؤلفا لخير ما نسب اليه ، وعرف به " (٤) . وهذا موطن ضعف استطاع الزبيدي ان يستغله .

غير ان هناك مبررات اخرى دفعت الزبيدي الى ان يكتب هذا الكتاب . فأبو حاتم السجستاني يبحث في ما يلحن فيه عوام المشرق لا ما يلحن فيه عامة الاندلس . لذلك فالزبيدي يقول : " ورأيت كثيرا من اللحن الذي نسب الى أهل المشرق ، قد سلمت عامتا من موافقته ، ونطقت بوجه الصواب فيه ، كقولهم ود ، وظفر ، وعشق ، وحدوث ، وعود مستوي ، وقهرس ، وفلفل ، ونذهب الى الكاوين ، وفلان يوزن بكذا اي يزن به .

(١) ~~ابو حاتم السجستاني~~

(٢) لحن العوام : ٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٥ - ٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٦ .

ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وبأفقتنا ، فألفت جملا لم يذكرها أبو حاتم ، ولا غيره من اللغويين ، فيما نسبوا إليه ، ودلّوا عليه ، مما افسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه ، او وضعوه غير موضعه " (١) .

(ب) العامة : ماذا تعني ؟

عامة الناس وعوامهم غير الخاصة من الناس . هذا المفهوم العام للكلمة لم يكن المقصود في كتاب الزبيدي . فلقد أحسّ أبو بكر انه لو اراد ان يحصي ما يلحن فيه الدهماء وسقاط الناس لاستغرقه ذلك زمنا طويلا ، قال وسوف " ادع اجتلاب ما افسده دهماؤهم ، وسقاطهم ، مما عسى ان لا يعزب عن تمسك بطرف من الفهم ، ان لو استوعبنا ذلك لطال الكتاب به " (٢) . فاذا كان اللحن قد نشأ بين العامة فلقد " تابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنتهم الشعراء اشعارهم ، واستعمله جلّة الكتاب ، وعليّة الخدمة في مسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم . فرأيت ان انبه عليه ، وابين وجه الصواب فيه ، وان أفرد لهما يحضرنى منه كتابا احصره به ، واجمعه فيه " (٣) . وقد اكد فكرة الخطأ لدى الخاصة فقال : " وانما نذكر منه ما يتوقع الغلط من الخاصة فيه ٠٠٠ نحو ما حدثني بعض اهل النظر عن رجل من اجلاء الحرمة ، ينسب اليه فنون العليم ، وضروب الاداب ، قال : " ورد كتاب من بعض الكتاب ، كتب فيه الجخطب ، بالطاء ، فأنكرت ذلك فلم يصح الي حتى عدوت اليه ببعض كتب اللغة ، فأريت به الحرف مقيدا فيه ، الى كثير من هذا " (٤) .

(١) لحن العوام : ٦ - ٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٧ - ٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٨ .

غير ان هناك ملاحظة مهمة ينبغي الاشارة اليها ، وهي اذا كان الخاصة هم المقصودين من هذا الكتاب ، فان الالفاظ التي تعالج والتي طرأ عليها التحول والتبدل ، ليس من الالفاظ الغريبة والمغرة في فصاحتها في اكثر الحيات . فالكتاب موجه او يقصد به اخطاء الخاصة من الناس ، والخاصة الفاظهم مختارة . غير انه يعالج ايضا الالفاظ السوقية والعامية . وقد تبه ابو بكر الى ان مثل هذا الاعتراض وارد فقال : " ولعل طاعنا يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقى ، واللفظ المستعمل العامي ، جهلانهم ان الفساد انما يقع في المستعمل على اللسنة ، وان الوحشي مصون عن التغير والاحالة ، بقلّة استعماله ، وجهل عوام الناس به " (١).

(ج) منهج الكتاب :

ينقسم الكتاب الى ثلاثة ابواب رئيسية ،

أ - " ذكر ما افسدته العامة وما وضعوه غير موضعه " . وهو أكبر الابواب الثلاثة اذ يستغرق من ص ١١ - ٢٠٥ . ويقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف . قال محمد : والصواب ، خرشف . " (٢).

ب - " وما وضعت العامة في غير موضعه " ، وهو باب متوسط اذ يستغرق من ص ٢٠٦ - ٢٣٩ . والعامة في هذا الباب لا تغير في الالفاظ وانما تغير من معانيها ودلالاتها . مثال ذلك : " ويقولون : درهم " واف " اذا كان يزيد في وزنه . قال محمد : اللواني الذي لا زيادة فيه ولا نقص . وهو الذي وفي بزنه " (٣).

(١) لحن العوام : ٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٢١٠ .

ج - " وما يوقعونه على الشي " وقد يشركه فيه غيره " . وهو اقصر الابواب
 اذ يستغرق من ص ٢٤٠ - ٢٤٢ ، ولا يبحث الا في ثنائي مواد فقط . مثاله :
 " قولهم الوادى للنهر خاصة . قال ابو بكر : و الوادى كل بطن مطمئن من الارض .
 وربما استقر فيه الماء ... " (١) .

(د) أنواع الخطأ :

تقص الزهيدى في الفاظ العامة انواعا مختلفة من الخطأ .

١ - خطأ لياقة . ويمثل لنا ذلك في المثال التالي : " ومن ذلك قولهم :
 هو الله الازلي قبل خلقه ، ولم يزل واحدا في ازليته ، وكان هذا في الازل .
 قال محمد : وذلك كله خطأ ، لا أصل له في كلام العرب . وانما يهودون
 المعنى الذى في قولهم : لم يزل عالما . ولا يصح ذلك في اشتقاق ولا تصريف .
 وقد اولع بالخطأ في هذا اهل الكلام والمدعون لحدود المنطق ، حتى غرّ ذلك جماعة
 من الخطباء ، فأدخلوه في خطبهم . ولا يجوز لاحد ان يصف الله عز وجل ، بغير
 ما وصف به نفسه في محكم كتابه وحيا ، او ما ثبت به الخير عن رسوله (ص) ،
 ولو صحت الكلمة في الاشتقاق وتمكنت في التصريف " (٢) .

٢ - خطأ لغوى ، ومثاله : " وكذلك قولهم فيه تبارك وتعالى : هذه
 صفة ذاته ، وهو مبين بالذات .

قال محمد : ولا يجوز ان يلحق الألف واللام ذو ولا ذات في حال انفراد
 ولا تشبة ولا جمع ، ولا تضاف الى الضمرات . وانما تقع ابدا مضافة الى الظاهر ،

(١) لحن العوام : ٢٤٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١١ .

الا ترى انك لا تقول : الذو ولا الذوان ولا الذون ولا الذات ولا الذوات
ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها . ولا تقول مررت بذاته
ولا بذاتك . وقد غلط في ذلك اهل الكلام ، واكثر المحدثين من الشعراء والكتاب
والفقهاء " (١) .

٣ - خطأ كتابي وليس خطأ لفظيا ، ومثاله : " ويقولون لضرب من
الشجر دفلة .

قال محمد : والصواب دفلى ، على مثال فعلى ، والالف للتأنيث " (٢) .

٤ - خطأ ناتج عن زيادة حرف ، ومثاله : " ويقولون سمعنا الآذان ..
قال محمد : .. والصواب الأذان على وزن فعال " (٣) .

٥ - خطأ ناتج عن تغيير حركة احد الاحرف ، ومثاله : " ويقولون لسا
يبع من المتاع سلعة .

قال محمد : والصواب سلعة يكسر اوله " (٤) .

٦ - خطأ ناتج عن قلب حرف وحذف آخر ، ومثاله : " ويقولون لبعض
الفئوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين .

قال محمد : والصواب ، صاقور . والجمع الصواكير " (٥) .

٧ - قلب حرف واحد ، ومثاله : " ويقولون لما طحن من البر وغيره غليظا ديش .

(١) لحن العموم : ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٩ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه : ٩٧ .

قال محمد : والصواب جشيش بالميم ، يقال جششت البر أجشه جشا فهو مجشوش وجشيش ، وهو طحن كالهرس " (١) . ويلاحظ ها هنا ان قرب المخرجين من بعضهما أدى الى مثل هذا القلب . والامثلة على هذا للقلب كثيرة في الكتاب (٢) ، وفي لغتنا العامية الحاضرة في لهجاتها المختلفة .

(هـ) طريقته في وصف المادة :

مما سبق عرفنا شيئا من طريقة الزبيدي فهو يذكر الكلمة السستى يخطئ فيها عامة الاندلس ، مسبوبة دائما بعبارة " ويقولون " ، ثم يذكر الصواب مسبوبة بعبارة : " قال محمد " او : " قال ابو بكر " .

ولكي نستطيع اخذ فكرة واضحة عن عمل الزبيدي لا بد من دراسة مادة او اكثر من الكتاب . وعلى سبيل المثال نأخذ مادة " ابزيم " (٣) ،

" ويقولون بيزيم ، للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج ، يسرج بها ، وقد تكون في طرف المنطقة ولها لسان يدخل في الطرف الاخر من الحزام والمنطقة .

قال محمد : والصواب ابزيم ، على مثال افعليل . وفيه لغة اخرى ،

يقال : ابزام والجمع ابازيم . قال العجاج :

يدق ابزيم الحزام جشمه

ويقال ايضا ابزين ويجمع على ابازين . وقال ابو داود الايادي :

من كل جرواء قد طارت عقيقتها وكل اجرو مسترخى الابازين

(١) لحن العوام : ٢٠ - ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٨ ، ١٦٨ ومواضع اخرى كثيرة .

(٣) المصدر نفسه : ١٥ - ١٨ .

ويقال للابزيم أيضا زَزَقْنَ وَزَزَقْنَ . وفي الحديث : ان درع رسول الله (ص) كانت ذات زرافن ، اذا علقت بهزافنها شمعت ، واذا ارسلت مست الارض . وقال مزاحم ، يبارى سويساها اذا^{ما} تلجمت شبا مثل ابزيم السلاح المؤسل يصف ناقة . والمؤسل المحدّر ، الذي رقت اسلته . ويقال للقتل أيضا ابزيم . وهذه العبارات كلها متفقة ، لان الابزيم افعيل من بز ، اذا عَضَ . وقال ابو زيد : بزمت ابزيم بزما ، اذا عضته بالشيا ، دون الانياب والرهاميات . وكذلك السبزم في الرمي ، هو اخذك الوتر بالابهام والسبابة ، ثم ترسل السهم . فأما قول تميم ابن ابي بن متبل :

على كل ملواح يزلّ بهزيمها تعاطي اللجام الفارسي وتصرف
فهو البهيم بالراء . وكذلك انشدني قاسم بن اصبح عن السكري عن ابي حاتم عن ابي عبيدة . والبهيم جبل مفتول ، يكون فيه لوان ، وربما شدته المرأة على وسطها . وانشد الاصمعي :

اذا العرض العوجاء جال بهيمها

وليس بالابزيم الذي ذكرنا . والبرمان أيضا .

وهكذا نرى ان المشكلة لم تعد مشكلة كلمة عامة وما يقابلها من الفصح ، بل ان الامر تعدى ذلك فدخلنا في تفرعات وتشعبات واستشهادات ، كل ذلك بدقّة متاهية وبخطة مرسومة ، تتكرر في الكتاب اجمع .

ويمكننا ان نستنتج من هذه المادة ومن سواها الأمور الآتية ،

١ - استشهاد الزبيدي بالحديث :

فقد بلغ مجموع ما استشهد به من احاديث ستة وثلاثين

حديثاً (١).

٢ - الاستشهاد بالآيات القرآنية :

لم يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية ، اذ كان مجموع ما استشهد به خمس عشرة آية فقط ، من سور مختلفة (٢).

٣ - الاستشهاد بالامثال وأقوال العرب :

وهو أيضا يقل من الاستشهاد بالامثال والاقتوال . وقد بلغ مجموع ما استشهد به منها أربعة عشر مثلاً وقولاً (٣).

٤ - الاستشهاد بالشعر :

وهذه ظاهرة عامة في الكتاب تتردد في اكثر الاوقات . غير ان الزيدى سار في الاستشهاد أحيانا على مثال ما يرد في كتب السوادر من ايراد قطعة كاملة من الشعر دون الاكتفاء بموطن الشاهد وحده (٤).

-
- (١) لحن العامة : ٨٤ ، ١٢٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٤٦ الخ ...
 (٢) المصدر نفسه : ٥٩ ، ١٨٣ ، ٣٠١ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ الخ ...
 (٣) المصدر نفسه : ٤٠ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٩٣ الخ ...
 (٤) من ذلك ايراده لمقطوعة " بعض الهذليين " في اثناء حديثه عن لفظة حنش (لحن العوام : ١٠٢ - ١٠٣) :

يا ربّ ان كان ابو خير ظلم	وخاني في علمه وقد علم
فاقدر له في بعض اعراض الظلم	لعيمة من حنش أعمى أصم
قد عاش حتى صار ما يعيش بدم	فكلّ ما أسأرنه الدهر سم
حتى اذا نام ابو خير ولم	يمس منه واهن فلا ألم
سرى اليه غير وان في الظلم	فشاكه بين الشراك والقلم
بمذرب اخرجه من جوف كم	المحتة عاد ذات ارم *

* هكذا في الكتاب المطبوع .

٥ - ايراد لغات الصواب المختلفة :

وقد ظهر ذلك في المثل ^{السابق} السابق : فالصواب " اهنيم ، على مثال افعيل . وفيه لغة اخرى ، يقال : اهنام ، والجمع اهنيم " (١) . والصواب مينا بالقصر وميناء بالمد ، والقصر فيه اكثر " (٢) .

٦ - ذكر اصل الاشتقاق :

لفظ ميناء في المثل السابق " مشتق من الوني ، وهو الفتور والسكون ، كأنه السفن جرت حتى قرت وسكنت هنالك فسمي مكان سكونها مينا " (٣) . ولا يهمننا اذا كان هذا التعليل صحيحا او لا ولكن يهمننا البحث عن الأصول عند الزبيدي . وفي مثال آخر : " وانما قيل له القمع : لانه يدخل في الاناء . يقال منه قععت الاناء اقمعه . ويقال للانسان قد انقمع وقمع ، اذا دخل في الشيء او دخل في بعضه " (٤) .

٧ - مرادفات اللفظ :

" ويقال للهنيم أيضا : زَرْقَن وَزَرْقَن " (٥) . ومثال ذلك أيضا : " ويقال للمينا أيضا حبس وحصر وصنع ومضعة " (٦) .

٨ - تعليل اسباب دخول اللحن :

" ويقولون للقلة الصغيرة صئبانة .

(١) لحن العوام : ١٥ - ١٦ .

(٢) المصدر نفسه : ١٨ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه : ٣٩ .

(٥) المصدر نفسه : ١٦ .

(٦) المصدر نفسه : ١٩ .

قال محمد : والصواب صؤابة وجمعها صؤاب ثم تجمع الصؤاب صئباناً . ويقال قد صئبت رأسه ، اذا كثر فيها الصئبان . وانما دخل عليهم ، لقولهم صئبان ، فتوهما ان واحده صئبانة وظنوه الجمع الذي ليس بينه وبين واحدة الا الهاء " (١) .

٩ - ذكر وزن البناء :

وقد اكثر الزيدى ، حرصاً على الدقة ، من ذكر وزن اللفظة حتى لا يكون هناك مجال للخطأ مثال ذلك : " وهذا البناء على فعالة يأتي اسماً لما سقط من الشيء ، ولما بقي منه ، وما أخذ منه ، مثل : النحاة ، والبراية ، والسقاطة وهو اسم لما يسقط مما تحته او تبرئه ، والصباية ، وهي بقية الماء " (٢) .

١٠ - شرح الالفاظ :

يحرص الزيدى احيانا ان هناك من الالفاظ الواردة الفاظ تعمس على الفهم فيشرحها ، مثال ذلك :

" وكم دون بيتك من مهمه ومن حنش جاحر في مكا والمكا الجحر ، وهو يكون للفأر واليربوع والقنفذ " (٣) .

١١ - الاستقصاء :

وهذه احدى ميزات الكتاب ، مثالها : " وقال ابو علي عن ابن الانباري عن الفراء قال : العرب تتادى على تسع لغات ، يقولون : يا رب ، وهيا رب ، وارب ، وآرب ، وأى رب ، وآى رب ، وأيا رب ، ووارب ، ورب " (٤) .

-
- (١) لحن العوام : ١٩ - ٢٠ .
 (٢) المصدر نفسه : ٣٠ - ٣١ .
 (٣) المصدر نفسه : ١٠٢ .
 (٤) المصدر نفسه : ١٤٦ - ١٤٧ .

١٢ - اختلاف العاميتين : المشرقية والاندلسية ، واتفاقهما :

يلاحظ ان ما يورده الزبيدي من الالفاظ العامة الفاظا لحن بها اهل الاندلس ، ولم يفعل ذلك المشاركة ، مثال ذلك : " ويقولون للحديدة التي يفلح بها الارض سَكَّة فيفتحون .

قال محمد : والصواب : سِكَّة " (١) . ~~ويطو~~ وكان الزبيدي يتببه الى ذلك ويشير اليه احيانا ، كما فعل في المثل التالي : " ويقولون لموقف الدابة صبل ويجمعونه على صهول .

قال محمد : والصواب اصطل ، وهو من كلام اهل الشام وجمعه اصاطب " (٢) غير ان العاميتين تتفان في احيان اخرى على الخطأ ، وأمثلة ذلك كثيرة ، من ذلك : " ويقولون : فلان شديد الغيرة على أهله . قال ابو بكر : والصواب ، الغيرة بالفتح ... " (٣) . ومن ذلك أيضا : " ويقولون للذى يسلط به البيوت جير . قال محمد : والصواب جيار ، على مثال فعال ... " (٤) .

١٣ - اعتماد اللغويين والرواة بكثرة دون ذكر المؤلفات :

فالزبيدي ليس دقيقا في هذه الناحية من البحث ، فرغم انه يرد كل قول الى اصحابه ، الا انه لا يذكر المصدر الذي استقى منه : " وروى ابو عبيدة : كما يغشي السفائن مع اللجة العرك ... " (٥) . و " قال سيبويه في الطرنا كمتالته

-
- (١) لحن العوام : ١٣٦ .
 (٢) المصدر نفسه : ١٣٣ .
 (٣) المصدر نفسه : ١٤٤ .
 (٤) المصدر نفسه : ١٤٥ .
 (٥) المصدر نفسه : ٥٧ .

في الحلفاء " (١). وتتردد عنده عبارة : زعم او يقول بعض اللغويين دون تعيين هذا البعض : " وزعم بعض اللغويين انه يقال له القرنفل " (٢) ، " وزعم بعض اللغويين ان اهل اليمن يقولون كلوة بالضم وهذا مردود " (٣). " وقال بعض اللغويين : جمع اصطلح صطابل ، وتصغيره صطيبل " (٤). ومثل هذا لا يحمد للمؤلف وان كان عملا شائعا آنذاك . وقد نال الأصمعي اوفى نصيب من الاستشهاد بأقواله ، فلقد وردت اقواله (٥) في خمس وثلاثين صفحة من الكتاب ، ووردت احيانا اكثر من مرة واحدة في الصفحة الواحدة . ونال يعقوب بن السكيت نصيبا وافيا ولكن اقل من نصيب الاصمعي ، ان ورد ذكره (٦) في سبع وعشرين صفحة . وبعد هذين يأتي ابو حاتم السجستاني ثم سيبويه ثم لغويون آخرون كثر .

ونال ابو علي القالي ، استاذ الزيدى وصديقه ، اكبر نصيب من عناية المؤلف (٧) وهو يتفوق حتى على الاصمعي . غير ان اهمية القالي دون اهمية الآخرين لأنه يروى اقوال الآخرين ويتحدث برواياتهم .

وهناك كثير ممن استشهد بأقوالهم مرة واحدة فحسب ، من هؤلاء مثلا : سعيد الاخفش (٨) ، ابو داود السجستاني (٩) ، شعبة بن الحجاج (١٠) ، ابن ابي

-
- (١) لحن العوام ، ٧١ .
 (٢) المصدر نفسه : ٦٥ .
 (٣) المصدر نفسه : ٦٧ .
 (٤) المصدر نفسه : ١٣٤ .
 (٥) المصدر نفسه : ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٢٢٤ الخ ...
 (٦) المصدر نفسه : ٢٢ ، ٧٢ ، ١٧٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ الخ ...
 (٧) يرد ذكره في ٤٧ صفحة ، منها : ٢٣ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢٢٩ الخ ...
 (٨) لحن العوام : ٩١ .
 (٩) المصدر نفسه : ٤١ .
 (١٠) المصدر نفسه : ٢٤٤ .

شيبة (١)، بكر بن حمار (٢)، بسطام بن قيس (٣)، وآخرون .

غير انه ، كما سبق القول ، لم يكن يورد اسماء المؤلفات التي اخذ عنها .
وقد ورد ذكر عدد قليل من الكتب في هذا المؤلف ، هي : كتاب للمؤلف نفسه ~~هو~~
"أبنية الاسماء والانفعال" (٤) ، وكتاب لابي علي القالي ، الصديق والاستاذ ، هو :
المدود والمقصود (٥) ، وكتاب " لحن العامة " (٦) لابي حاتم السجستاني الذي بنى
الزبيدي كتابه على خطه ؛ ثم اخيرا كتاب يدعى بـ " كتاب الأدب " (٧) ، لم يذكر
الزبيدي اسم مؤلفه أو شيئا عنه .

١٤ - توضيح شخصيته :

للزبيدي شخصية تمتاز بالاصالة . وهو ليس كاستاذ القالي مختبئ
أبدا وراء اللغويين والاعراب . وانما هو يفاضل ويقترح الحلول ويقابل ويعترض .
وتكثر الامثلة على نضج هذه الشخصية ولكن نكتفي ببعض الامثلة الدالة : " وتلنست
رأسي بالقلسوة ، وتلنست ، على مثال فعلت وتفعلت . ولا نعلم لهذين المثالين
نظيرا في الكلام (٨) . ووضح من ذلك هذا المثال : " قال محمد ، وهذا عندي
غلط من ابي زيد .. " (٩) . وهو يعترض قائلا : " ولا اعرف في كلام العرب ما على

(١) لحن العوام : ٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١٤ .

(٣) المصدر نفسه : ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٨ ، ٨٩ .

(٥) المصدر نفسه : ٧٥ ، ١٠٨ .

(٦) المصدر نفسه : ٥ .

(٧) المصدر نفسه : ١٨٩ .

(٨) المصدر نفسه : ٢٧ - ٢٨ .

(٩) المصدر نفسه : ٥٣ .

هذا المثال اعني فنعلول "(١)". وهو يفاضل : " قال محمد : والقول الأول احب اليّ لأن القياس ان يأخذ التصغير والجمع حقهما .. "(٢). وربما كان اوضح الامثلة وأكثرها دلالة هو المثال التالي : " .. واهل الكوفة يعدون ما جاء من نحو هذا ثلاثيا ، ويشتقونه منه ، ويذهبون الى ان صصامة من صم ، ولكسهم كرهوا اجتماع الامثال ، ففرقوا بينهما بحرف مثل الأول ، وكذلك كفكت وصلصت وحلحلت . والبصريون يعدون هذا كله رباعيا . وقول الكوفيين غدى أولى لأن الاشتقاق يحكم بصحته ، والقياس يشهد له "(٣).

فكتاب لحن العامة لهذا كله ليس صورة لاحاطة الزبيدي وصبره على الجمع والتسيق والردّ وحسب ، وانما هو كنز لمن شاء أن يتصور المدى الذي بلغته اللغة في الاندلس من الخضوع للتغير والتبديل في النطق ، وواضح أن كثيرا جدا من الاخطاء التي عدّها الزبيدي انما تؤخذ سماعا لا كتابة وان أصرّ في مقدمة كتابه أنه يتحدث عن أخطاء الخاصة . وكثير ما عدّه الزبيدي من الخطأ لا يزال دارجا في لهجات المشرق حتى اليوم ولم يكن قاصرا على الأندلس ، فالناس اليوم في الاستعمال العام يقولون : بكرة (بفتح الكاف لا تسكينها) ورقوة (بدلا من رقية) وقرابا (في جمع قهوة) وسكرانة (بدلا من سكرى) والغيرة (بكسر الغين) والجبس (بدلا من الجص) وخيز (بدل خبازة) ، بينما يعد كثير من الاخطاء الاخرى " لهجة " أندلسية ظلت عالقة بالألسنة ولم يجد فيها كثيرا اصرار الزبيدي على تبيان وجه الصواب فيها .

-
- (١) لحن العوام : ٦٥ .
 (٢) المصدر نفسه : ١٣٤ .
 (٣) المصدر نفسه : ١٣٧ .

ثانيا - ابن القوطية (٣٦٢ / ١٢٨) ومؤلفاته :

هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم^(١). ويعرف بابن القوطية ، وهو لقب يرى بعض اصحاب التراجم انه ورثه عن جدة اسبانية من اهل الاندلس الأصليين^(٢). " وهي ام ابراهيم بن عيسى بن مزاحم جد ابي بكر المذكور ، وهي ابنة ومة بن غيطشة ، وكان من ملوك الاندلس ، وعليه وعلى اخوته اربطاس وقيس الأندلس وسيدة افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد الاندلس ، وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك متظلمة من عمها اربطاس المذكور فتزوجها بالشام عيسى بن مزاحم المذكور ، وهو من موالي عمر ابن عبد العزيز الاموي رضي الله عنه ، وسافر معها الى الاندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن مزاحم الى الاندلس وانسأله بها . وجاءت القوطية بكتاب هشام الى الخطاب الشعبي الكلبي^(٣) ، وكان عامله على الاندلس ، بالوصاة عليها ، فكف عنها عنها وانصفها مما كان لها قبله ورعى حرماتها وعادت بها الحال وظالت حياتها الى ايام الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل الى الاندلس من بني أمية ، فكانت تدخل عليه وتتقي حاجتها ، وغلب اسمها على ذريتها وعرفوا بها الى اليوم^(٤). ولا نستطيع ان نؤكد او ننفي صحة هذه الرواية انما هي تثبت

(١) ترجمته في : تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٨ ، جذوة المقتبس : ٧١ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، انباء الرواة ٣ : ١٧٨ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، معجم الارباء ١٨ : ٢٧٢ .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٥ - ٦ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .

(٣) كذا في ابن خلكان وليس في الولاة ايام هشام من يحمل هذا الاسم ولعله ابو الخطار حسام الكلبي (١٢٥ - ١٢٧ / ٧٤٣ - ٧٤٥) .

(٤) وفيات الاعيان ٤ : ٥ - ٦ ، وانظر : الديباج المذهب : ٢٦٢ .

على كل حال ان لابن القوطية أصلاً إسبانياً ، من طرف واحد على الأقل . أما تفاصيل الرواية فلا شأن لنا بها . فأما عيسى بن مزاحم الجد فهو مولى عصر بن عبد العزيز من أصل بهري ، فهو في الاندلس يعدّ من موالي الأمويين . ولهؤلاء مكانة خاصة اذا استطاع المرء منهم ان يبرز في ناحية من النواحي الاجتماعية او الثقافية ، وذلك ما حققه والد محمد ، فقد " استقضى الناصر على استجة سنة احدى وثلاثمائة ، ثم سم على اشيلية سنة ثنتين وثلاثمائة ، واستقر في الولايتين سبعة اعوام وسبعة اشهر " (١).

وليس لدينا الكثير من الاخبار عن نشأة ابن القوطية . وكل ما نعرفه عنه ان اصله من اشيلية وانه قرطبي (٢) . ولعله ولد في اشيلية ونشأ بها لان له اساتذه كثيرين من الاشيليين . ففي اشيلية " سمع من محمد بن عبد الله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيدي ، وسعيد بن جابر ، وعلي بن ابي شيبة وسيد أبيه الزاهد " (٣) . وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن ابي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب وظاهر بن الوليد ومحمد بن المغيث وابن لهابة وابن ابي تمام واسلم القاضي وابن ايمن وابن الاغش وابن يونس وقاسم بن أصح ونظرائهم ، ومن احمد بن خالد ، ومحمد بن مسور (٤) . ويصعب حصر الفئة التي درس ابن القوطية عليها ، اذ انه " لقي أكثر مشايخ عصره بالاندلس فأخذ عنهم واكثر النقل من فوائدهم " (٥).

-
- (١) الذيل والتكملة ٥ : ٥٤٩ ، وانظر الديباج المذهب : ٢٦٢ .
 (٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .
 (٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ - ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .
 (٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ .
 (٥) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .

ويقول ابن فرحون انه كانت فيه غفلة وسلامة وتكشف في ملبسه وورع^(١). وتصفه المصادر بانه كان من أهل النسك والعبادة . وقد تضافرت اخلاقه وعلمه على اكتساب قلوب الناس اليه ونال من احترام الطلاب على تفاوت درجاتهم الاجتماعية احتراماً بالغاً ، وشهد له علماء عصره بالتقدم حتى كان القالي نفسه يباليخ في تعظيمه ، ولما سأله الحكم من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة قال : محمد بن القوطية^(٢) . وبلغ من نسكه - وخاصة في الدور الاخير من حياته - ان توقف عن قول الشعر زهدا وورعا مع انه فيما يقول بعض من ترجموا له كان يبلغ فيه " حد الاجادة مع الاحسان في المطالع والمقاطع ، وتخير الالفاظ الرشيقة والمعاني الشريفة " ^(٣).

غير ان ما تبقى^{من} شعره ، لا يسمح لنا بحكم منصف عليه ، واذا كان لنا حق الحكم من دراسة الابيات القليلة التي وصلتنا ، فاننا لا نضع ابن القوطية في فئة الشعراء المجيدين^(٤).

ولم يقتصر ابن القوطية على ناحية واحدة من العلم بل كان يأخذ من العلوم المتيسرة آنذاك ما استطاعت ظروفه ان تتيحها له . فكان " من اعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وكان مع ذلك حافظا للحديث والفقه ، والخبر والنوادر ، واروى الناس للاشعار ، وأدركهم للآثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره ، وكان مضطلعا بأخبار الاندلس ، مليا بهواية سير أمرائها ، واحوال فقهاءها وشعرائها ، يعلي ذلك عن

(١) الديباج المذهب : ٢٦٣ .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ .

(٣) الديباج المذهب : ٢٦٢ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٤ .

(٤) راجع قطعة له في وصف الربيع وردت في بغية الوعاة : ٨٥ ، معجم الادباء

١٨ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، وقطعة له في الحنين وردت في اليتيمة ٢ : ٧٤ - ٧٥ ،

معجم الادباء ١٨ : ٢٧٦ .

ظهر قلبه " (١) . وله في هذا الباب كتاب وصلنا وهو " تاريخ افتتاح الاندلس " (٢) .

ويبدو ان اهتمام ابن القوطية الاول كان منصبا على اللغة ، وقد عرف لاهه المؤرخون هذه المقدرة فأفاضوا في صفات المديح والتبجيل حين تحدثوا عن مقدرته اللغوية ، كما مر معنا آنفا ، وكانت " كتب اللغة اكثر ما تقرأ عليه وتتخذ عنه " (٣) . وقد اتفقت المراجع على انه كان مبرزاً في نواحي العلوم الاخرى من رواية شعر وخبر ومعرفة بسير الملوك والامراء . غير ان هذه المراجع ترى ان ابن القوطية " لم يكن بالضابط لروايته في الحديث والفقه ، ولا كانت له اصول يرجع اليها ، وكان ما يسمع عليه من ذلك انما يحمل على المعنى لا على اللفظ " (٤) . ولهذا عدّ من المدلسين في الحديث (٥) .

وهذه هي أهم مؤلفاته اللغوية :

١ - شرح رسالة أدب الكتاب : وسماه ابن خير كتاب شرح صدر أدب الكتاب ، ولعل هذه التسمية أدق لأن ابن القوطية لم يتجاوز في شرحه مقدمة ابن قتيبة ، ومن هذا الكتاب أيضا جزء مختصر (٦) .

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الوفيات ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ،

يتيمة الدهر : ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بغية الوعاة : ٨٤ .

(٢) نشره جايانجوس في مدريد سنة ١٨٦٨ وترجمه خوليان بيبيرا ١٩٢٦ ، وشك في انه من تأليفه وذهب الى ان الكتاب لأحد تلامذته . وطبع ببيروت ١٩٥٧ . وقد ذكرت المصادر ان لابن القوطية تأليف في تاريخ الاندلس : (الديباج المذهب : ٢٦٣) .

(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٤ .

(٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٣ ، معجم الادباء ٧٣ : ٨

(٥) الديباج المذهب : ٢٦٣ .

(٦) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، فهرسة ابن خير : ٣٤٤ ، معجم الادباء

١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ - ٢٦٣ .

٢ - المقصور والمدود (١) : " وقد جمع فيه ما لا يحد ولا يوصف ، ولقد اعجز من يأتي بعده وفاق من تقدمه " (٢) . ولم يذكر ابن خير هذا الكتاب في فهرسته ، ومن الغريب أن لا تتصل به روايته .

٣ - الانفعال : يسمى في بعض المراجع " تصانيف الانفعال " (٣) . وموضوعه البحث عن صيغتي فعل وأفعل سواء اتفقتا في المعنى أو اختلفتا ، أوحين لا يرد للعرب إلا احدهما .

ويبدو أن الاهتمام بالانفعال سبق الاهتمام بالاسماء عند الباحثين العرب الأول ، ولعل السبب في ذلك التغيرات التي تدخل الانفعال وكثرة تصرفها ودخول عامل الزمن عليها . ولم يكن ابن القوطية أول من أولى الانفعال اهتماما ، وإنما سبقه إلى مثل هذا النوع من المؤلفات سلسلة طويلة من اعلام المشرق (٤) . ويبدو أن ابن القوطية قد استعان ، على الأقل ، ببعض هذه المؤلفات . غير أنه من العسير أن نحدد أي

- (١) تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .
- (٢) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .
- (٣) تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
- (٤) وأول من روى أنه ألف فيه قطرب (- ٢٠٦ / ٨٢١) والفراء (- ٢٠٧ / ٨٢٢) ثم ابو عبيدة (- ٢١٠ / ٨٢٥) والاصمعي (- ٢١٣ / ٨٢٨) وابوزيد الانصاري (- ٢١٥ / ٨٣٠) وابوعبيد القاسم بن سالم (- ٢٢٤ / ٨٣٩) وابو محمد عبد الله بن محمد التوزي (- ٢٣٣ / ٨٤٨) ويعقوب بن السكيت (- ٢٤٦ / ٨٦٠) وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني (- ٢٥٥ تقريبا / ٨٧٠) وابو العباس الأحول تلميذ ابن الاعرابي ، وخصص له ابن قتيبة (- ٢٧٦ / ٨٨٩) ابوابا من كتاب الابنية في ادب الكتاب . والف فيه الزجاج (- ٣١١ / ٩٢٣) وابن دهمد (- ٣٢١ / ٩٣٣) في ختام الجوهرة وابن درستويه (- ٣٤٧ / ٩٥٨) والقالي (- ٣٥٦ / ٩٦٧) - راجع كتاب المعجم العربي ١٥٩٠ .

المؤلفات هي التي اكثر الأخذ عنها ، فابن القوطية ، كما سنرى ، يأخذ المواد مجردة من كل ما يوحى بمصدرها الأصلي .

وابن القوطية يبرز فضل الافعال في مقدمة كتابه فيقول : " اعلم ان الانفصال اصول مباني اكثر الكلام ، وبذلك سميتها العلماء الابنية ، ويعلمها يستدل على اكثر علم القرآن والسنة ، وهي حركات متقضيات . والاسماء غير الجامدة والأصول كلها مشتقات منها ، وهي أقدم منها بالزمان وان كانت الاسماء اقدم بالترتيب في قول الكوفيين . والجامدة لا يشتق منها فعل مثل حجر وباب وما أشبههما ، فانك لا تقول : حجر يحجر ، ولا باب يبوب . والبصريون يقولون يقدم الاسماء وأن الافعال مشتقة منها ، ولكل وجه (١) .

وصف لمنهج الكتاب وقيمه في اللغة :

يحتوى المؤلف على :

أولا - مقدمة .

ثانيا - صلب الكتاب .

أولا - المقدمة لا تتعرض لمنهج الكتاب وطريقة المؤلف في التأليف ، كما فعل الزبيدي

في أبيته (٢) ، وانما يدخل في موضوعات تمهيدية ، فيتحدث عن الافعال الثلاثية (٣) واضربها : صحيحة ومعطلة ومضاعفة ومتعدية النسخ . . . وعن مصادر الثلاثي (٤) ، والشواذ في ذلك ، واختلاف المصادر بالنسبة لاختلاف الصيغ . وعن مصادر الرباعي كذلك (٥) ،

-
- (١) الافعال ، ابن القوطية : ١ .
 - (٢) الاستدراك على سيبويه : المقدمة .
 - (٣) الافعال : ١ .
 - (٤) المصدر نفسه : ٣ .
 - (٥) المصدر نفسه : ٥ .

وما يدخل من اختلاف في المصادر حين تدخلها احرف الزيادة^(١)، والصفات في الالوان^(٢)، والصفات بالجمال والقبح والعلل والاعراض^(٣)، ثم يتحدث عن اقل بنية الكلمة^(٤). وهو يمهّد بهذا الكلام لكتاب الافعال ليعين الدارس فان " هذا جملة ما يحتاج المتأدّب اليه في الافعال وما ينصرف منها "^(٥). ومن هنا نستطيع ان نتصور ان هذا التمهيد هو، حسبما اراده ابن القوطية، مدخل الى دراسة كتابه، ووسيلة لفهم مواد هذا الكتاب.

ثانيا - صلب الكتاب :

ينقسم الكتاب الى اقسام ثلاثة رئيسية :

- ١ - القسم الاول لما فيه فعل وأفعّل^(٦).
- ٢ - القسم الثاني لما فيه أفعّل وحدها^(٧).
- ٣ - القسم الثالث لما فيه فعل وحدها^(٨).

وفي هذه الاقسام الثلاثة جميعا اتبع ابن القوطية الترتيب التالي : الهمزة ، الهاء ، العين ، الغين ، الخاء ، الحاء ، الجيم ، القاف ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، اللام ، الراء ، النون ، الطاء ، الظاء ، الدال ، الباء ، التاء ، الثاء ، الزاي ، الفاء ، الميم ، الواو ، الياء^(٩).

-
- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) الافعال : ٢ . | (٢) الافعال : ٧ |
| (٣) المصدر نفسه . | (٤) المصدر نفسه : ٨ |
| (٥) المصدر نفسه : ٩ . | (٦) المصدر نفسه : ٩ - ١٦٢ . |
| (٧) المصدر نفسه : ١٦٣ - ١٧٥ . | (٨) المصدر نفسه : ١٧٦ - ٣٠٤ . |
- (٩) انفرد ابن القوطية بهذا الترتيب وهو غير جار على ترتيب المفارقة للأبجدية أو على ترتيب سيبويه أو الخليل في العين أو القالي في الباء وللمقارنة أورد هنا ترتيب الخليل:
- ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ذ ظ ن ل ر ف ب م و ي ا ء . ولكن قد يلحظ انه آثر نوعاً مسن الترتيب على مخارج الحروف حسبما تراءت له .

وهذا الترتيب هو الترتيب الرئيسي داخل كل قسم ، اما الترتيب الفرعي داخل كل صيغة فان له شأنا آخر ، سنتبينه بدراسة اوسع فيما يلي :

ملكتاب الافعال خطوط عريضة ، يمكن ان نصفها بأنها متسقة ومنسجمة ، ولكن ان نحن دخلنا في التفاصيل فسوف نبتعد شيئا فشيئا عن دقة التنظيم واتساق المنهج . لذلك فان أفضل طريقة ، حسب ما ارى ، لفهم منهج الكتاب فهما دقيقا هي في :

أ - رسم الخطوط العامة والاستشهاد عليها ، ثم :

ب - عقد مقارنة موجزة ، ولكنها دقيقة وواضحة ، بين ثلاثة أحرف لتيان الفروق في التفاصيل بين أجزاء الكتاب .

أ - الخطوط العريضة :

بأخذ ابن القوطية الحرف الواحد ويقسمه الى قسمين : اولهما لما وردت فيه الصيغتان مع اتفاق في المعنى ، وثانيهما لما وردت فيه الصيغتان مع اختلاف في المعنى . ثم انه تناول كل قسم من هذين القسمين على الصورة التالية ، الافعال المضاعفة ثم الافعال الصحيحة ثم الافعال المعتلة . واما الافعال المضاعفة فلا اقسام تحتها . واما الافعال الصحيحة فانه جعلها اقساما بحسب صورة ماضيها ، فقسم خاص بـ فَعَلَ ، وآخر بـ فَعِلَ ، وثالث بـ فَعُلَ ، واقسام أخرى غير هذه الثلاثة اثبت فيها ما ورد من الصيغ على اكثر من صورة واحدة مثل : فَعَلَ وفَعِلَ ، وفَعَلَ وفَعُلَ ، وفَعُلَ وفَعِلَ ، وفَعَلَ وفَعِلَ وفَعُلَ ، الى ما سوى ذلك من صيغ . كما ان ابن القوطية قد جعل من المجهوز قسما قائما برأسه قبل المعتل . وفصل في المعتل بين الاجوف والناقص ، وفصل بين المعتل الذي سلم حرف عله وبين المعتل الذي ابدل حرف عله ، وفصل

بين المعتل بالواو وبين المعتل بالياء : وفصل بين المعتل بحرف واحد وبين المعتل بأكثر من حرف أو المعتل المهموز ، " وفصل بين صيغ الافعال المختلفة في الماضي من المعتل ، كما فعل في الصحيح .

وأما في القسمين الآخرين - لما فيه افعل وحدها ، ولما فيه فعل وحدهما - فانه اتبع التقسيم السابق ، سوى انه ها هنا لم يكن هناك الا صيغة واحدة فسي كل قسم . فلم يوجد صيغتان بمعنى متفق او بمعنى مختلف . اما ما عدا ذلك فانه اتبع الاسلوب الدراسي نفسه .

وقد التزم ابن القوطية ان يذكر الماضي والمصدر من كل ما اورده ، ومعانيها الكثيرة دون ان يقتصر على واحد من المعاني .

هذي هي ، بصورة عامة ، الخطوط العريضة التي نهجها ابن القوطية في كتابه . والواقع ان مثل هذا الوضع المبسط قد لا يعطينا صورة دقيقة عن الكتاب . فيها هنا منهج متسق ، واما الكتاب فلم يكن كذلك . ولكي نستطيع ان نتبين حقيقة الوضع بالتفصيل سنعمد الى مقارنة ثلاثة احرف ، نختارها من اماكن متباعدة ، لنرى الى اى حد تقيّد ابن القوطية بمنهجه السابق . وسوف يكون لنا ، على كل حال ، في هذه الاحرف الثلاثة شواهد تجسّم الخطوط العريضة السابقة وتوضح دالاتها . غير انني سأعرضها بصورة موجزة ، ولكنها دقيقة ، تحافظ على الهيكل الأصلي ، كما ورد في الكتاب .

جدول بالأحرف : الجيم^(١) ، الظاء^(٢) ، والهاء^(٣) :

(١) الافعال : ٤٦ - ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢ - ١٤ .

حرف الجيم :

- الجيم على فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى واحد ، المضاعف :

جَنَّهُ الليل جنانا وجنونا وأجنه : ستره

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جهده جهدا وأجهده : بلغت مشقة .

- على فَعِلَ :

جَنِفَ في الحكم جَنَفًا وأجنف : جار .

- وعلى فَعِيلَ :

جُلِدَ المكان جلدا وأجلد : أصابه الجليد .

- الممهور على فَعَلَ :

جَفَأَتِ الباب جَفْئًا وأجفأته : اغلقته .

- الممهور على فَعِلَ :

جزئت المرأة وأجزأت : ولدت الاناث دون الذكور .

- المعتل بالواو في عين الفعل :

جَاز الوادي جوازا وأجاز : قطعه .

- المعتل بالواو في لام الفعل :

جزأ الشيء جزوا وأجزى : انتصب .

- المعتل بالياء في لام الفعل :

جويت الى الشيء جوها وجراء ، وأجويت : اسرعت .

- وعلى فَعَلَ وَأَفْعَلَ باختلاف معنى المضارع :

جززت الشعر والصوف جزاً : قطعتهما .. وأجز النخل والبر : حان ان يجزأ .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جَهَضَ جَهَاضَةً وجَهَوضَةً : حدث نفسه ، وأجهضت الناقة : القت ولدها قبل تمامه

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وفَعَلَ وفَعِلَ :

جَزَلَتِ السنام والصيد جزلاً : قطعته بنصفين .. وَجَزَلَ الشئُ جزالة : عظم ..

وَجَزَلَ البعير جزلاً : انفج كاهله فرجة لا تبرا ، وأجزل العطية : كثرها .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وفَعَلَ :

جَمَلَتُ الشحم جملاً : أذنبته ، وَجَمَلُ الشئُ جمالا ، تم حسنه ، واجملت

الشئ والحساب : جمعته .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وفَعِلَ :

جَحَمَتِ النار جحوما : توقدت ، وَجَحِمَتِ العين جحمة : احمرت ،

وَأَجَحَمَتِ عن الامر : تأخرت .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَوْ فَعِلَ وفَعِلَ :

جَدَرَ جدارة : صار جديرا .. وَجَدَرَ جدرا : أصابه الجدرى ، وَجَدِرَ

الظهر جدرا : صارت فيه جدرة شبه الحذبة ، وأجدرت الأرض : انبتت الجدر .

- الثلاثي الصحيح على فَعِلَ :

جَمِهَلَ جمهلا : ضد علم ، وأجهلته : وجدته جاهلا .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جَبَنَ جبنا : ضعف قلبه ، وأجبنته : صادفته جبانا .

- الممهور على فَعَلَ :

جزأت بالشيء جزأ : اكتفيت به ... وأجزأ الشيء : كفى .

- الممهور المعتل في عننه :

جاء جيئة وجيأ : أقبل .. وأجأتك الى الشيء : اضطررتك اليه .

- المعتل بالواو في عين الفعل :

جاب الفلاة والثوب وكلّ شيء جوبا : خرّقه .. وأجاب : ردّ الجواب .

- وبالياء على فَعَلَ من السالم ، وبالواو على فَعَلَ من المعتل :

جيد جيذا : طال جيده .. وجيد جوادا : عطش ، وجاد الشيء جودة ،

أي صار جيذا ، .. وأجاد الرجل أجود : أتى بجيد من قول أو فعل .

- وبالياء في لامه من السالم على فَعَلَ ، والمعتل بالواو على فَعَلَ :

جلي جلى : انحسر الشعر من مقدم رأسه ، وجلوت السيف وغيره جلاء :

صقلته .. وأجلى الأمر عن كذا .. كشف .

- وبالواو والياء في لامه معتلا ،

جبا الخراج جباوة وجباية .. : جمعه ، وأجبنى : باع الزرع قبل ادراكه .

- وبالواو في لامه معتلا :

جفا الشيء والجسم جفاء : غلظ خلقه .. وأجنى الراعي الماشية :

اتعبها بالسوق ومنعها الرعي .

- وبالياء في لامه معتلا :

جوى الفرس جراء وجريها .. وأجرت الكلبة والذئبة : كان لهما جراء .

حرف الظاء

- الظاء على فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد ، المضاعف :
ظَلَّ اليوم ظلاله ، وأظْلَّ : صار ذا ظِلٍّ .
- الثلاثي الصحيح على فَعَّلَ :
ظَلَّفْتُ اثري ظلفاً وأظلفته : مشيت في صلابة الأرض .
- فَعَّلَ وأَفْعَلَ باختلاف معنى ، المضاعف :
ظَلَّ يفعل كذا وكذا : فعله نهارة ، وظَلَّلْتُ أفعله ظلولا ، والشئ : طال ودام ، وأظْلَّ الأمر : أشرف .
- الثلاثي الصحيح على فَعَّلَ :
ظلم العبد بالشرك ربّه ظلما ، والاسم الظُّلم .. وأظلمنا : صرنا في الظلام .
وعلى فَعَّلَ وفَعَّلَ :
- ظهرت على العدو .. : ظهورا .. : علوت .. وأظهرنا : صرنا في الظهيرة .
وعلى فَعَّلَ :
- ظَرَفَ الغلام والجارية ظرنا وظرافة : برّعا وأدبّا .. وأظرف الوالد ، ولد ولدا ظريفا .
- المهموز :
ظَّارت الناقة ظأرا : عطفتها على بئوها فأظارت .

حرف الهاء

- الهاء من الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد :
- هدرت الدم هدرًا ، وأهدرته فهدر : أى بطل .
- وعلى فُعِلَ وأُفْعِلَ :
- هرع الانسان هَرَعًا وأُهرِعَ : سبق وأعجل .
- الممهور على فَعَلَ :
- هرأه البرد هراءاً وأهرأه : بلغ منه .
- المعتل بالياء في عين الفعل :
- هال الطعام والتراب هيلًا : صَبَّه ، وأهاله لغة .
- وبالياء في لامه :
- هديت المرأة الى زوجها هداً ، وأهديتها لغة .
- المضاعف على فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى مختلف :
- هلَّ العطر هالًا : انصب بشدة ، وأهلَّ الهلال : طلوع .
- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :
- هرب هرباً وهروياً ، فرَّ ، وأهرب : أسرع .
- وعلى فَعَلَ وَفُعِلَ :
- هَدَبَت كل مخلوقة هَدَبًا : حلبت بأطراف الاصابع .. وهَدَبَ الانسان هَدَبًا : طالت أشفاره .. وأهدب الشجرُ : كثرت أغصانه وهي الهدب .
- وعلى فَعَلَ وَفُعِلَ ،
- هَضَمَت الشيء هَضْمًا : نقصته .. وهَضَمَت الجارية .. : لطف حشاها .

الجزء الثاني :

- الجيم ، الثلاثي الصحيح على فعل
- الظاء ، " " " "
- الهاء ، الثلاثي على نُفَعِلَ وَأُنْفَعِلَ .

الجزء الثالث :

- الجيم ، وعلى فَعِلَ
- الظاء ، وعلى فَعَلَ وَأَفْعَلَ باختلاف معنى ، المضاعف
- الهاء ، المهموز على فَعَلَ .

والمفروض، لو ان منهج ابن القوطية متسق ومتساو، ان تكون كل مجموعة من هذه المجموعات تحمل نفس التقسيم . ونحن نستطيع باستعارة بعض التعبيرات الرياضية ان نصور هذه المجموعات بالصورة التالية :

- ١ - ج = ظ والاشتتان لا تساويان : هـ
- ٢ - " " " " " " " "
- ٣ - ج لا تساوى ظ و ظ لا تساوى هـ

وطبيعي اننا نستطيع ان نستمر، بمراجعة الجدول الفائق، في عقد هذه المقارنات وسنكتشف عندئذ مبلغ ما خرج به ابن القوطية عن الخطوط العريضة التي رسمناها لمنهج، في كلام سابق .

وهذا الجدول السابق قد اختير بحيث تقل الاختلافات قدر الامكان . ويمرود السبب في ذلك الى انني تعمدت ان تكون الاحرف الثلاثة من قسم واحد من الكتاب،

وهو القسم الاول ، - الصيغة على فعل وأفعل - ولونحن قارئاً بين صيغة من القسم الاول وصيغة من القسم الثاني - أفعل - او الثالث - فعل - فان الفروقات ستصبح أشد بروزاً ، مع صرف النظر ، بطبيعة الحال ، عن الفروقات التي نجمت عن طبيعة كل حرف .

ومما زاد في التشويش ان ابن القوطية لم يعتبر الا الحرف الاول من المادة فقط . وهذا أدى الى زيادة الصعوبة في العثور على اللفظة المطلوبة .

ويمكن لدارس الكتاب ان يلحظ في سر كيف تدر فيه اسماء اللغويين . وما ذلك الا لان الموضوع غير قائم على الاستشهاد بالرواية ، فهذه هي طبيعة الافعال في اللغة ولا ينفرد فيها عالم دون آخر برأيه الا في النادر ، وانما هم المؤلف حصراً في نطاق لا يشذ عنه شيء .

وهذا الكتاب جدول او مجموعة من الجداول ، ولو انه طبع على هذا الشكل لكان استخراج الفوائد منه اسرع . وهو اقرب الكتب اللغوية القديمة الى موضوع اللغة ، واكثرها التصاقاً بهذا الموضوع . " فالافعال " لابن القوطية كتاب لغوي صرف ، ليس كتاب اخبار ولا كتاب أدب ، ولا تشبه الروايات والمقطوعات الشعرية مثل ما كان الامر بالنسبة لكثير من الكتب اللغوية . وحتى كتاب الاستدراك على سيبويه ، وهو كتاب أبنية ، لم يجرّد من الاخبار والاشعار ، وبخاصة في تفسير الغريب الذي قام به الزبيدي تعقيباً على النصوص والالفاظ المستفلة .

كذلك يندر فيه الاستشهاد بالشعر والاحاديث والآيات وأمثال العرب والاستشهاد بالاحاديث النبوية اكثر من سواء (١) . فاذا استشهد بهيت شعر لم يكذب ينسبه لقائله الا في ما ندر .

(١) الافعال : ٤٥ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٦٨

وقد لاقى الكتاب شهرة واسعة ، وامتدحه اصحاب التراجم والمؤرخون فجاء في انباء الرواة : " وله كتاب في الافعال لم يؤلف مثله " (١) . وأشار بعض المؤرخين الى انه اول من استن هذا الفن - وقد رأينا انه لم يكن كذلك . ولكن كتابه كان ذا أثر في التأليف من بعده فاحتذاء ابن القطاع كما بسطه تلميذه سعيد بن محمد المعافى القرطبي المعروف بابن الحداد (٢) .

(١) انباء الرواة ٣ : ١٧٨ ، وانظر : جذوة المقتبس : ٧٢ ،
يتيمة الدهر : ٧٤ .

(٢) من هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية (٣٤٣ صفح) . فقد اطلع عليها الدكتور حسين نصار ووصفها في كتاب " المعجم العربي " (١٦٥ - ١٦٦) . وخلاصة ما ذكره ان المعافى صدر كتابه بمقدمة قرظ فيها كتاب استاذة ، ثم غير في ترتيب الحروف الذي اتبعه ابن القوطية واختار ترتيب سيبويه ، وزاد ابواب الرباعي المجرد ، والمزيد من الثلاثي والرباعي ، وغير في ترتيب فصول ابن القوطية ، وكسر الفعل مع كل معنى جديد ، وزاد في الشرح واستكثر ممن الشواهد ، واتى بأفعال لم يتعرض لها ابن القوطية جعلها استدراكا في خاتمة كل فصل ، وميز بين ما كان لدى ابن القوطية وما زاده بالتصريح باسمه حيث اقتضى الامر ذلك .

ثالثا - ابو علي القالي * (١٦٧ / ٣٥٦) ومؤلفاته :

نسبه ونشأته :

هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان (١).
ويبدو انه لم يتحدر من أصل عربي صريح ، نستتج ذلك من ان جده سليمان كان
" مولى عبد الملك بن مروان " .

وقد ولد ابو علي بمنازجرد من ديار بكر ، وهي من أعمال أرمينية (٢). وكانت
ولادته عام ثمان وثمانين ومائتين (٣) (٩٠٧)، في رواية ، وفي رواية اخرى انه ولد عام
ثمانين ومائتين (٤) (٨٩٧).

وفي منازجرد نشأ (٥)، وأغلب الظن انه أقام في تلك الجهات فترة من
الزمن الى ان كبر واشتد عوده . وتاريخ حياته في تلك الفترة غامض للغاية ، وليس
هناك من الاخبار عن طفولته وأول شبابه سوى ما اوردته من رواية ولادته ، ورواية

* ألف ابو محمد الفهرى كتابا في نسب ابي علي البغدادي وروايته ودخوله الاندلس
(نفح الطيب ٤ : ٧٢) ، ولكن الكتاب لم يصلنا .

(١) انظر ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، تاريخ ابن الفريسي ١ : ٨٣ ،
جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بغية الملتبس : ٢١٦ ، فهرسة ابن خير : ٣٩٥ .
انباء الرواة ١ : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان رقم ٩٢ ، بغية الوعاة : ١٩٨ .
شذرات الذهب ٣ : ١٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٥ ، معجم البلدان ،
سادة قالقلا ، نفح الطيب : ٤ : ٢٠ - ٢٥ ، بروكلمان ٢ : ٢٧٧ -
٢٧٨ (الترجمة العربية) .

(٢) انباء الرواة ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ٢٠٢ ، تاريخ ابن الفريسي ١ : ٨٣ .

(٤) جذوة المقتبس : ١٥٢ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ ،
معجم الادباء ٧ : ٢٧ .

(٥) جذوة المقتبس : ١٥٤ .

نشأته في منازجرد . وتظل الحقبة ما بين ولادته وبين انتقاله الى العراق حقبة غير معروفة . غير اننا نستطيع ان نحدد هذه الحقبة زمنيا حين نعرف ان القاضي نفسه يقول " ورحلت الى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة (٩١٦ م) " (١) .

تلقبه بالقالي :

وغلب عليه لقب القاضي . وهو نسبة الى مدينة قالي قلا . ويروى لنا القاضي نفسه سبب تلقبه بهذا اللقب فيقول : " لما احدرنا الى بغداد كما في رفقة فيها اهل قالي قلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الشجر ، فلما دخلت بغداد ، انتسبت الى قالي قلا وهي قرية من منازجرد ، رجوت ان انتفع بذلك عند العلماء ، فعضى عليّ القاضي " (٢) ، ونحن نجد روايات مشابهة لذلك في اللفظ والمعنى - اللاحق ينقل عن السابق - في غير مصدر من المصادر التي ترجمت له .

وللقالي قلا هذه بلدة قريبة من مسقط رأس أبي علي ، اذ ان ذكرها في كتب التأريخ يرد في كثير من الاحيان مرتبطا بذكر منازجرد . يقول ياقوت : " قاليقلا ، بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة " (٣) . فالبلدتان اذن من أعمال أرمينية . ويقول القحطي : " قاليقلا ، وهي قرية من منازکرد " (٤) . غير انه يبدو غريبا ان ينتسب ابو علي الى قاليقلا في حين انها قرية من قرى منازکرد . فالأولى في مثل هذه الحال ان ينتسب الى بلده الأصلي . ومهما يكن من أمر فانه كان لقاليقلا ، على ما يبدو ، مكان في قلوب الناس ، ففي تلك

-
- (١) انباء الرواة ١ : ٢٠٧ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ .
 (٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٥ .
 (٣) معجم البلدان : مادة قاليقلا .
 (٤) انباء الرواة ١ : ٢٠٨ .

الرحلة " كانت معهم خيل ، فكلما دخلنا بلدا حافظ اهلنا اهل قاليقلا ، وكانت معهم دواب ، فأراد بعض العمال اخذها منهم ، فلما انتهبوا الى قاليقلا تركوها ، ورأيت الناس يعظمونهم " (١) .

غير ان هذه المظاهر كلها لم تنفع القالي كثيرا ، فلقد غره في بداية الامر هذا الاستقبال والترحاب فقرر ان يغتتم الفرصة ويستفيد من هذه الميزة ، وهو يقول :
" فلما دخلت بغداد انتصبت الى قاليقلا ، ورجوت ان ينفعني ذلك عند العلماء ، فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي " (٢) . وقد تلبسه اللقب وفاتته الخطوة .

دخوله العراق :

في سن الخامسة عشرة او في سن الثالثة والعشرين - تبعا للرواية التي نأخذ بها من روايتي مولده - دخل ابو علي العراق . وأميل الى تفضيل سن الثالثة والعشرين ، اذ انها تناسب الرحلة والانتقال لأخذ العلم . فمن المشكوك فيه ان يتمكن من هو في الخامسة عشرة من السفر لركوب المشقات ، ما لم يكن مصحوبا بمن يهتم بشئونه ، وهذا ما لم يذكره القالي في احاديثه عن نفسه ، بل كان يشير دائما الى نفسه بصيغة المفرد .

اتفق المؤرخون على ان ابا علي ترك بلده عام ثلاث وثلاثائة ، ولكنهم لم يتفقوا على تحديد الطريق التي اتبعها . فمنهم من يدعي انه " دخل بغداد في سنة ثلاث وثلاثائة " (٣) ، ومنهم من يرى انه عرج على الموصل قبل دخوله بغداد ،

(١) انباء الرواة ١ : ٢٠٩ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) تاريخ ابن الفري ١ : ٨٣ ، جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بخية الوعاة : ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٦ .

وقد نقل عنه قوله : " ورحلت الى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة فأقمت بالموصل ، وكتبت عن ابي يعلى الموصلي وغيره ، ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثمائة " (١) . وربما كانت هذه الرواية اقرب الى الصدق ، اولاً : لانها لا تنفي قدوم القاضي السلي بن بغداد وانما تؤجل هذا القدوم ، ثانياً لأن الموصل في طريق القادمين من أرمينية ويغلب الظن ان القاضي عرج عليها لسياخذ من علمائها ، ثالثاً : ورد في غير مرجع تحديد لاسم عالم او اكثر ممن اخذ عنه ابو علي في الموصل ، وتحديد للعلم الذي تلقاه ، رابعاً : في بعض المصادر التي ربطت دخول ابي علي بن بغداد بعام خمسة وخمسمائة اشارة تجعلنا نميل الى الاعتقاد بدخول ابي علي الموصل قبل وروده الى بغداد ، هذه الاشارة هي : " وقيل : انه كان سمع من ابي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي " (٢) . ومعنى ذلك أن ابا علي أقام في الموصل سنتين يكتب " عن ابي يعلى الموصلي وغيره " . وكان للحديث أكبر نصيب من هذه الدراسة ان يحدد آخرون طبيعتها فيقولون : " وأقام بالموصل لسماع الحديث " (٣) . واجتذبت بن بغداد فانتقل اليها ، او هو تابع طريقه الى بغداد وفق الخطة التي كان قد رسمها لنفسه في انتقاله من بلده منازل . ودخلها عام خمسمائة وخمسة ، كما رأينا في الروايات السابقة . وكان سنة آنذاك خمسة وعشرين عاماً فهو شاب ناضج قادر على مواجهة اعباء الحياة والدخول في المجالس العلمية والدينية .

اساتذته :

يمكن تقسيم الاساتذة الذين اخذ عنهم في بغداد الى قسمين رئيسيين :

- (١) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٣٠٧ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .
- (٢) جذوة المقتبس : ١٥٥ . وقول هذه الرواية " وقيل " بصيغة التمهيد لا داعي له فان الزبيدي وهو اقرب الى القاضي من غيره يقول بصيغة القطع : فأقمت بالموصل وكتبت عن ابي يعلى الموصلي وغيره (٢٠٤)
- (٣) وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .

أ - اساتذة في الحديث والعلوم الدينية . ومن هؤلاء : " ابو بكر عبد الله بن ابي داود السجستاني وابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد وابو عمر يوسف بن يعقوب القاضي ، وابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المعروف بابن بنت منيع ، وابراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي من ولد الامام ، واحمد بن اسحق بن البهلول القاضي ، وابو عبد الله الحسين القاضي وابو عبيد اخوه القاسم ، ابن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن الضبي المعروف بابن المحاملي ، وابو بكر محمد بن يوسف بن يعقوب بن بهلول الأزرق الكاتب ، وابو بكر احمد بن محمد البستبان ، وابن قطن الاسكافني ، وابو سعيد الحر بن علي بن زكريا بن يحيى العدوي " (١).

ب - اساتذة في الأدب واللغة والخبر : وهؤلاء فئة أخرى من الاساتذة تلقى عنهم القالي ، ولازمهم تلك الفترة الطويلة من اقامته في بغداد .

وقد عدد لنا ابو علي جماعة ممن أخذ عنهم فقال : " وسمعت الاخبار واللغة من ابي بكر محمد بن الحسن بن دويد الازدي البصري (٢) ، وابي بكر محمد

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٧ .

(٢) ولد في البصرة سنة ٢٢٣ / ٨٣٨ ، ومات سنة ٣٢١ / ٩٣٣ ، وكان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وانسابهم . من مؤلفاته كتاب الجمهرة ، كتاب السج واللباس ، كتاب الاشتقاق ، كتاب الخيل الكبير ، كتاب الخيل الصغير ، كتاب الانواء ، كتاب المجتنى ، كتاب المقتبس ، كتاب الملاحن ، كتاب رواة العرب ، كتاب ما سئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا ، كتاب اللغات ، كتاب السلاح ، كتاب غريب القرآن ، كتاب ادب الكاتيب . (انظر : طبقات الزبيدي : ٢٠١ ، وانباء الرواة ٣ : ٩٢ - ١٠٠) .

ابن بشار الانباري^(١) وابي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف
بنفطويه^(٢)، ومن ابي بكر محمد بن السري السراج النحوي^(٣) ومن ابي بكر محمد
ابن شقير النحوي^(٤)، ومن ابي اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي^(٥)،

(١) ولد سنة ٢٧١ / ٨٨٤ وتوفي سنة ٣٢٨ / ٩٤١ . سجع من الائمة في زمانه
وروى عنه مثل ذلك . وكان احفظ الناس للغة والنحو والشعر وتفسير القرآن . من
مؤلفاته : كتاب المشكل في معاني القرآن . كتاب الاضداد في النحو ، كتاب
الزاهر ، كتاب الكافي في النحو ، كتاب ادب الكاتب ، كتاب المقصور والمعدود ،
كتاب المذكر والمؤنث ، كتاب الموضح في النحو ، كتاب نقض مسائل ابن شنبوذ ،
كتاب غريب الحديث ، كتاب الهجاء ، كتاب اللامات ، كتاب الوقف والابتداء ،
كتاب السبع الطوال المطول ، كتاب المجالس ، كتاب شرح المفضليات ، وكتب أخرى .
(انظر : انباء الرواة ٣ : ٢٠١ - ٢٠٨) .

(٢) توفي ببغداد سنة ٣٢٣ / ٩٨٥ او ٣٠٣ / ٩١٥ ، كان ادبياً متفنناً في الأدب
حافظاً للشعار ، وكان ضعيفاً في النحو . (انظر طبقات الزبيدي : ١٢٢ ،
وانباء الرواة ١ : ١٧٦ - ١٨٢) .

(٣) كان احد العلماء المذكورين بالادب وعلم العربية ، ومن تلامذة المبرد . من
مؤلفاته : كتاب الاشتقاق ، كتاب شرح سيبويه ، كتاب الجمل وكتب أخرى . (انظر
طبقات الزبيدي : ١٢٢ - ١٢٥ ، وانباء الرواة ٣ : ١٤٥ - ١٥٠) .

(٤) ذكره القفطي بغير تعريف (الانباء ٣ : ١٥١) ، وذكره الزبيدي في الطبقة
التاسعة من النحويين البصريين ، ضمن اصحاب المبرد وهم : ابو اسحاق الزجاج ،
ومحمد بن السراج ، ومبرمان ، وابو زرعة الغزاري ، وعلي بن سليمان الاخفش ،
وابن درستويه ، وابو بكر بن ابي الازهر ، وابن الخياط . (طبقات الزبيدي :
١٢٨) .

(٥) توفي في بغداد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ ، من تلاميذ المبرد . من مؤلفاته : كتاب
الاشتقاق ، كتاب العروض كتاب الفرق ، كتاب خلق الانسان ، كتاب خلق الفرس ،
كتاب مختصر في النحو ، كتاب فعلت وأفعلت ، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ،
كتاب شرح ابيات سيبويه ، كتاب النوادر ، كتاب الانواء . (انظر : طبقات
الزبيدي : ١٢٢ - ١٢٥ ، وانباء الرواة ١ : ١٥٩ - ١٦٦) .

ومن ابي الحسن علي بن سليمان بن الفضل الاخفش^(١)، ومن ابي بكر محمد بن ابي
الأزهر^(٢)، ومن ابي محمد عبد الله بن جعفر درستويه^(٣)، اخذت منه كتاب
سيبويه عن المبرد، ومن ابي جعفر بن ^{أحمد} عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(٤)، اخذت
منه كتاب ابيه، ومن ابي بكر احمد بن محمد بن موسى بن مجاهد المقرئ، قال:
قرأت عليه القرآن بحرف ابي عمرو بن العلاء^(٥) غير مرة، واخذت كتابه في
القراءات السبع وغير ذلك، ومن ابي عمر بن عبد الواحد المطرز^(٦) غلام ثعلب،
حدثنا عن ثعلب، ومن ابي بكر محمد بن عبد الملك التايخي^(٧)، ومن احمد بن
يحيى المنجم النديم اخذت منه كتاب الزبير بن بكار في النسب، ومن الدمشقي

-
- (١) توفي ببغداد سنة ٣١٥ / ٩٢٧، اخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما . وقد رحل
الى مصر سنة ٢٨٧ / ٩٠٠ وعاد منها سنة ٣٠٦ / ٩١٨ . ولم تعرف له
مصنفات . (انظر طبقات الزبيدي ١٢٥ - ١٢٧، وانباء الرواة ٢ : ٢٧٦ - ٢٧٨)
- (٢) توفي (٣١٣+ / ٩٢٥)، من تلاميذ المبرد . من مؤلفاته : كتاب اخبار الهجر
والهج ، وكتب اخبارية اخرى . (انظر طبقات الزبيدي : ١٢٧، فهرسة ابن
النديم : ١٤٧ - ١٤٨) .
- (٣) توفي ٣٤٧ / ٩٥٨، وهو من تلاميذ المبرد، له تفسير لكتاب الجوي، تفنن
فيه وجمع اصول العربية . وله كتاب الارشاد في النحو (طبقات الزبيدي : ١٢٧)
- (٤) ولد ببغداد، وانتقل الى مصر لتولي القضاء سنة ٣٢١ / ٩٣٣، وبقي فيها
الى ان مات سنة ٣٢٢ / ٩٣٤، وروى كتب ابيه . (انظر انباء الرواة
١ : ٤٥ - ٤٦) .
- (٥) لغوى بصرى، وكان من جلة القراء والمثوق بهم . توفي سنة ١٥٤ / ٧٧١ .
(انظر طبقات الزبيدي ٢٨ - ٣٤) .
- (٦) من تلاميذ ثعلب ويعرف بغلام ثعلب . توفي ببغداد سنة ٣٤٥ / ٩٥٦ .
(انظر طبقات الزبيدي : ٢٢٩) .
- (٧) هناك ترجمة اوردها القحطي لمحمد بن عبد الملك النحوي البغدادي . ولعله
هو الذي اخذ عنه القالي . (انظر : انباء الرواة ٣ : ١٧٠) .

أحمد بن سعيد (١) « (٢) . وهذه مجموعة ممتازة من العلماء ، استطاع القالي ان يستفيد من صحبتهم فترة طويلة من الزمن .

وفي امكاننا ان نحدد ما درسه على كل واحد من هؤلاء العلماء ، وانما اكتفي بذكر اكبر عالين أشرا فيه ووجهها دراسته وهما ابن دريد ونفطويه .

فقد أخذ عن الاول منهما كتب أبي حاتم السجستاني ككتاب لحن العامة قال : قرأته غير محبوب على أبي بكر بن دريد . وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير . ثم كتب ابن دريد نفسه كالجمره والعلاجن ، وكتب أبي زيد الانصاري ، وكتب الأصمعي ونوادير أبي زياد الكلابي والاشعار الستة الجاهلية وأشعار هذيل وشعر أعشى بكر وأراجيز العجاج ورؤفة وشمس بن غنم وشعر عمرو بن أحمد الباهلي وشعر جميل وشعر أبي النجم وشعر النابغة والشماع والمثقب وعروة بن الورد وشعر كثير والقطامي وعدى بن زيد والافسوه والمرقشين وسلامة بن هندل وقيس بن الخطيم والطرماح وامرئ القيس ودهيد بن الصمة وأبي خلدة وظفيل الغنوي (٣) .

وقرأ على نفطويه كتاب اطرغش في اللغة وال اخبار والنقائض وشعر ذى الرمة وعمرو بن قيسه وعلقمة بن عدة ، والنابغة الجعدي وأوس بن حجر والاخلط وعمرو بن أبي ربيعة وجويهر (٤) .

-
- (١) النحوى الاخبارى الفقيه . كان يؤدب اولاد المعتز . (انظر: انباء الرواة ١ : ٤٤ - ٤٥)
 (٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وانباء الرواة ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ .
 (٣) فهرسة ابن خیر : ٣٤٨ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ - ٣٩٧ .
 (٤) المصدر نفسه : ٣٧٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ - ٣٩٧ .

والقالي في هذه الفترة العراقية يدون خطواته في هذا الجهاد العلمي الذي نذر له نفسه ويقيّد كلّ ما قرأه وزمان قراءته على نحو تفصيلي دقيق فإذا تحدث عن كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد قال : " ابتدأت بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري سنة ٣١٧ / ٩٢٩ يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة في مسجده على باب داره في درب البقر بسر من رأى وأكملته يوم الثلاثاء لخمس مضيّن من ذى القعدة سنة احدى وعشرين (٩٣٣م) وكانت قراءتي عليه في الثلاثاوات وكانت مدة قراءتي ايام عليه أربعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما" (١). وإذا ذكر كتاب اللفاظ ليعقوب ابن السكيت قال : " بدأنا بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٢١ / ٩٣٣ " (٢).

وفي هذين النصين حقائق هامة ، فمنهما نعلم نظام الطلب العلمي والدراسة فهناك تعاقب وترتيب في التدريس ، وذلك أن القالي بعد انتهاء من الكتاب الاول توقف اسبوعا أو نحوه ، وابتدأ الكتاب الثاني الا انه قرأ الكتاب الاول منفردا لقوله : " قرأت " ثم أخذ يقرأ الثاني مع مجموعة من الطلبة لقوله : " قرأنا " وبدلّ النصان كذلك على أن ابن الانباري كان قد خصص يوما معيناً للتدريس في الاسبوع ، وأن الطالب لذلك كان يقضي في دراسة كتاب واحد عدة سنوات ، كما يدلنا النص الأول على أن أبا علي القالي لم ينفق كلّ وقته في بغداد ، إذ نراه يدرس أيضا في سر من رأى .

لكل هذا كانت السنوات التي قضاها في العراق هي الاعوام التي جعلت

(١) فهرسة ابن خير : ٣٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢٩ .

من القالي عالما يتميز بسعة الاطلاع والتوثيق في ما يأخذ ويدرس مثلما يتميز بروح علمية غاية في الدقة ، وستكون دقته العلمية أكبر العوامل التي امالت اليه قلوب الاندلسيين ، وأثرت في طلابه تأثيرا بعيدا ، ووضعت الأصول الصحيحة للحياة اللغوية في الاندلس . ولم يشب علمه تزيد أو ادعاء ، فاذا حمل من بعد الى الاندلس كتبها لم يقرأها على الشيخ قال انه لم يقرأها ، فقد كان أتقى لله وأشد اخلاصا لروح العلم من أن يكذب ، قال وهو يتحدث عن ديوان زهير " شعر زهير بن أبي سلمى تام في جزء رواية مجاهد عن ثعلب - فرع لا أصل له ، خلفت الأصل ولم يتسع الوقت فأقابل " (١) ، وقال : " شعر أبي نواس ولم أقرأه " (٢) ، وقال : " ومقاتل الفرسان نسخة غير مرضية ولا مسموعة " ، وجزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني الشعر للباهلي تام ، وقد كنت اشتريت هذه النسخة على أن أطلبها فقطعني عن ذلك الشغل " (٣) .

فلا عجب بعد هذا اذا أثنى المؤرخون على أبي علي فقالوا فيه " كان أحفظ أهل زمانه للغة ، وأرواهم للشعر الجاهلي ، واحفظهم له ، واعلمهم لعلل النحو على مذهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقا فيه " (٤) .

وهناك من الاخبار ما يشير الى ان ابا علي لم يقف عند حدود الاخذ فحسب ، وانما تعدى ذلك الى المشاركة الفعلية في المناقشات . ويظهر لنا ذلك واضحا في اتصاله بابن درستويه : " قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع ، واستفسره جمعه ،

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٨ .

(٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ . وانظر أيضا جذوة المقتبس ١ : ٢٠٥ ، ووفيات الاعيان

١ : ٢٠٤ ومعجم الادباء ٧ : ٣١ وبغية الوعاة : ١٩٨ .

ونأظره فيه ، ودقق النظر ، وكتب فيه تفسيره ، وعلل العلة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين ، ونصر مذهبه على من خالفه من البصريين أيضاً ، وأقام الحجة " (١) . ومن هذا الخبر يمكننا ان نستنتج ان ابا علي كان يتطلب العمق في دراسته والشمول ، وكان له الى جانب ذلك شخصيته التي تؤيد وتدحض ، وتصر مذهبها على مذهب ومالها على عالم .

وليس هناك ، بين ما عثرت عليه من أخبار ، ما يشير الى طبيعة المناقشات التي كان ابو علي يشارك بها . وليس لدينا امثلة من هذه المناقشات لنعرف مدى ما اثاره القالي من جدل ومدى ما احرز من تفوق . انما يهمنا ان نعرف ان ابا علي بعد ثلاثة وعشرين عاماً من اقامته في بغداد ودراسة الجادة هناك ، وبعد ان بلغ من العمر ستة واربعين عاماً ، وجد نفسه في موضع لا يمكن وصفه بانه موضع القعة . ويبدو انه أحس بأنه لن يبلغ القمة في بغداد أبداً . ذلك انه وجد في عصر " الجبابة " - ان صح القول - " وادرك المشايخ ببغداد كابن الانباري ، وابن درستويه ، وابن دويد ، ومن في عصرهم " ، وسمع من سائر العلماء الاعلام الذين عدت اسماءهم من قبل . ولم يكن يستطيع ان يتفوق عليهم او يبرز له اسم بينهم لو ظل مقيماً ببغداد . ولذلك كانت هجرته الى الاندلس مجالا حسناً للتفرد والشهرة .

وفي الطويق بين العراق والاندلس تقع مصر . ولنا نملك من اشارة السي مكوث ابي علي فيها سوى عبارة قصيرة وردت في انباء الرواة وهي : " . . . ابو علي القالي المعروف بالبغدادى نزيل مصر " (٢) ، ولا يمكننا بالضبط كشف ما تطوى عليه

(١) انباء الرواة ١ : ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٢٠٤ .

هذه العبارة ، وما يمكن ان تدل عليه من زمن . غير اننا اذا عرفنا ان الطريق بين العراق والاندلس استغرقت عامين ، لممكننا عندئذ ان نستنتج بان اقامته في مصر - لو تحققت - لم تستغرق اكثر من شهر قلائل .

في قرطبة :

" قال ابو علي : وخرجت عن بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (١٤٠ م) ، ثم دخلت الاندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة (١٤٢ م) ، ثم دخلت قرطبة في شعبان ثلاث بقين منه سنة ثلاثين وثلاثمائة " (١).

وقد " وفد على الاندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن " (٢). وبعد ان يذكر المقرئ تاريخ دخول القاضي لقرطبة يقول : " وهو ما يعين انه قدم في زمن الناصر ، لا في زمن إبنه الحكم ، وقد صح بذلك الصفدي في السوافي فقال : ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن " (٣). ومما مضى نرى ان خلافا نشأ حول زمن وفادة أبي القاضي إلى الاندلس منشؤه الوهم الخالص ، ذلك أن الذين ظنوه وفد أيام المستنصر لم يعلموا أن هذا الأمير كان مهتما بتشجيع العلوم والعلماء في حياة الناصر أبيه . وصح المقرئ بوجود مثل هذا الخلاف فقال : " وبعض المؤرخين يزعم ان وفادة أبي علي القاضي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس ، لا في خلافة أبيه الناصر ، والصواب ان وفادته في أيام الناصر ، لما ذكره غير واحد من حصرو وعيّه عن الخطبة يسوم احتفال

(١) طبقات الزبيدي ، انباء الرواة ١ : ٢٠٨ .

(٢) نفح الطيب ٤ : ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٧٣ .

الناصر لرسول الافرنج" (١).

ولم يكن القالي في طريقه الى الاندلس كثير التفاوض بحال اللغة فيها، فلقد عرف من امر اللغة في طريقه ما جعله يتخوف من هذه البلاد النائية، وهذا النص الذي اورده المقرئ يشير الى مثل ذلك التوقع المؤلم الذي كان القالي يعيش فيه : " وذكر ان ابا علي البغدادى صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال : لما وصلت القيروان وانا اعتبر من امر به من اهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم ، بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايضة . قال ابو علي : فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في افهامهم يتقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان" (٢). غير ان اهل الاندلس لم يكونوا كما توقع القالي ، وفي ختام القصة السابقة يقول المقرئ : " فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الأفق الاندلسي في ذكائهم ، ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ، ويقول لهم : ان علمي علم رواية ، وليس علم دراسة، فخذوا عني ما نقلت، فلم آل لكم ان صححت ، هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات ، والأخذ عن الثقات " .

واستقبل ابو علي استقبالا حافلا و " أمر ٠٠٠ الحكم - وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير - عاملهم ابن رماحس ان يجي مع ابي علي الى قوطبة ، ويتلقاه

(١) نفع الطيب ٤ : ٧١ ، وقد تقرر يقينا أن القالي وصل الاندلس عام ٣٣٠ / ٩٤٢ وكان الناصر هو الخليفة يومئذ وقد عاش القالي في ظل خلافته عشرين عاما فلا داعي لهذا الخلاف من أساسه .

(٢) نفع الطيب ٤ : ١٥٠ .

في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكربة لأبي علي ، ففعل ، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل ، فكانوا يتذكرون الادب في طريقهم ، ويتشددون الاشعار^(١).

ولعل الناصر استقبل ابا علي في احتفال خاص وأنشد الشعراء يومئذ قصائدهم . وكان في من أنشد الشاعر الرمادي قصيدته : " من حاكم بيني وبين عدولي " ، وتقدم القالي نفسه فأنشد قصيدة من نظمه في مدح الناصر^(٢) ، وكان ذلك في شعبان من عام ٣٣٠ / ٩٤٢ .

واستقر القالي بقرطبة يدرس ويؤلف وهو ينال التشجيع والاکرام ولعل من الحوادث البارزة التي عرضت له في السنوات الاولى ، موقفه يوم وفدت سفارة امبراطور القسطنطينية الى بلاط الناصر (٣٣٤ / ٩٤٦) ، وسئل القالي ان يقوم بالخطبة بين يدي الخليفة فأدركه الحصر ، ولم ينقذ الموقف يومئذ الا منذرين سعيد البلوطي^(٣) . ثم مضت به الايام من بعد في التأليف والتدريس بقرطبة والزهراء وحوله أعمال قرطبة وطلاب الثقافة فيها ، فله مجلس في الزهراء كل يوم خميس يعلي فيه النوادر ، ونراء يقرئ الغريب المصنف لطالبه عام ٣٤٣ / ٩٥٤^(٤) ، ويدرس خلق الانسان لثابت عام ٣٤٩ - ٣٥٠ / ٩٦٠ - ٩٦١^(٥) . وهو في اثناء ذلك يؤلف ، فيبدأ عمله في البارع سنة ٣٣٩ / ٩٥٠ ويظل يعمل فيه حتى سنة ٣٥٥ / ٩٦٦ ، وتدرجه منيته في العام التالي قبل ان ينقحه^(٦) - ستا وعشرين

(١) نفع الطيب ١٤ ، ٧٠ :

(٢) فهرسة ابن خير : ٤٢٢ .

(٣) انظر تاريخ قضاة الاندلس : ٦٦ وأزهار الرياض ٢ ، ٢٧٣ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٢٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٦٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٥٥ .

سنة قضائها في خدمة العلم وتخرج الطالب في الاندلس ، حتى وافته المنية ودفن بمقبرة متممة بظاهر قرطبة .

ويصعب التأكد من حقيقة السبب الذي جعل ابا علي يترك بغداد ويتوجه لقضاء بقية حياته في بلاد الاندلس . وربما كان الامر يعود الى اكثر من عامل واحد: أحد هذه العوامل رغبة القالي في ان يفتش عن آفاق جديدة لكسب المال والشهرة ، وقد كان القالي في ذلك منسجما مع الاتجاه العام الذي كان سائدا في ذلك الوقت . ويورد ياقوت ما يؤيد ذلك فيقول : " فلما تأدب بهنداد ، ورأى انه لا حظ له بالعراق ، فواناها في ايام المتقلب بالحكم المستنصر بالله ... فأكرمه صاحب الغرب ، وأفضل عليه فضلا عنه ، وانقطع هناك بقية عمره " (١) .

عامل الشهرة والمال هذا له اهميته ، ولكن ربما لم يكن العامل الاهم . فالروايات تذكر ان القالي دخل الاندلس بعد دعوة وجهها اليه الحكم المستنصر ايام ولاية ابيه الناصر . واذا صحت هذه الرواية تكون العوامل الأخرى متممة ومبرجة ولكن ليست عوامل رئيسية . ففي معرض الحديث عن الحكم جاء في الجذوة : " ويقال انه هو كان كتب اليه ورغبه في الوفود عليه " (٢) ، ونجد مثل هذه الرواية في المقرئ : " ويقال ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم " (٣) .

ومهما يكن السبب في رحلة ابي علي الى الاندلس فان وجوده فيها كان كسبا ثقافيا لتلك البلاد . وقد تجلّى هذا الكسب واضحا في :

الكتب التي جلبها والاخبار التي رواها ، وفي المؤلفات التي كتبها في الاندلس،

(١) معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

(٢) جذوة المقتبس : ١٥٥ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ - ٣١ .

(٣) نفح الطيب ٤ : ٧٥ .

وفي جمهور التلامذة الذين تخرجوا عليه . وقد عرضت للمسألة الاولى في ما تقدم وبقي
ان أقف عند أثر القالي في التأليف ، وفي المتخرجين .

مؤلفات القالي في اللغة

صرف ابو علي من عمره ستة وعشرين عاما قضاها في التعليم والرواية والتأليف ،
فاستفاد الناس منه وعولوا عليه ، واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية
التقييد ، والضبط والاتقان ^(١) . وامتدحه المؤرخون لما ألف من كتب واملى من
اخبار ، ان " الف في علمه الذي اختص به تواليف مشهورة تدل على سعة روايته ،
وكثرة اشرافه " ^(٢) .

ولقد كان القالي ، على ما يبدو ، يتمتع بذاكرة قوية للغاية فله " اوضاع كثيرة
املاها عن ظهر قلب " ^(٣) . وله " كتب كثيرة . . ارتجل جميعها واملاها عن ظهر قلب
كلها " ^(٤) . وهذه الرواية التي رددتها المراجع المختلفة توضح لنا كيف استطاع القالي
ان يؤلف التأليف الكثيرة الواسعة .

وهناك سؤال لا بد ان يرد على خاطر المرء : هل ألف القالي هذه التأليف
جميعها في الاندلس ؟ اغلب الظن انه كان قد بدأ بالتأليف قبل ذلك بكثير .
فأولا : من غير المحتمل ان يصرف الانسان ستة واربعين عاما من عمره بغير ان يحاول
التأليف ، ثم ، وبعد ان ينير البلد ، يصبح ، فجأة ، مؤلفا طويل الباع قادرا
مقتدرا . صحيح ان حاجة البلد الاندلسي اقتضت من ابي علي ان يساهم في الانتاج ،

(١) جذوة المقتبس : ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٥ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

(٤) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ .

غير ان من يساهم في ذلك يجب ان يكون مستعدا له وكفؤا قادرا على القيام بمشقاته .

وهما كان للقالى اصول تأليف وضعها أو فكر فيها قبل ان يصل الاندلس ،
انما لم يقدر لهذه التأليف ان تنتشر وان تضيع ، لأن بلاد المشرق كانت تعيش في
فيض من العلماء الانذاذ والمؤلفات العلمية العظيمة .

ومع ذلك فان هذه المحاكمة المنطقية ليست تدلنا على مؤلف واحد تنص
الروايات صراحة على انه من مؤلفات العهد المشرقي . الرواية الوحيدة التي نجدها
في الكتب تشير الى ان هناك مؤلفات وضعت في غير قرطبة ، وجاءت هذه الرواية
بصورة عارضة وبغير توضيح : " واكثر كتبه بها - اي بقرطبة - وضعها " (١) .
فاذا كان اكثر كتبه وضعها في قرطبة ، فلا بد ان القلة من الكتب وضعت في غير
قرطبة . وأغلب الظن أن تكون تلك القلة من الكتب مما ألفه بالمشرق .

وتقع مؤلفات القالي في ثلاثة أنواع : أخبار ومؤلفات أدبية ومؤلفات لغوية .

غير انه يستحسن ان نقرر منذ البداية ان مثل هذا التصنيف ليس دقيقا .
اذ لم يكن مفهوم الاختصاص واضحا في انهماك الناس . ولا يختلف القالي في هذا
عن غيره من العلماء ، بل ربما كان اكثر ايمالا من غيره في الجمع بين الخير واللغة
والادب في الكتاب الواحد . وسهنا ان نعرف هنا ان القالي جاء ليعلم ولم يجس
ليؤلف ، فاذا كانت ثقافته تشغل على اكثر من نوع من انواع المعارف فبدهي ان يظهر
مثل هذا الجمع في تأليفه . وهذه هي اهم المؤلفات التي ذكرتها المصادر :

١- المدود والمقصور (١)

"بناء على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، مستقصى في بابيه لا يشذ عنه شيء من معناه" (٢). وأشارت بعض المصادر الى الكتاب بغير ان تعلق بشيء (٣). وأشارت مراجع اخرى اليه ووصفته بأنه "لم يوضع له نظير" (٤). وقد خالف الحميدى المصادر الاخرى فسماه "المقصور والمدود والمهوز" (٥)، وقال ابن خيبر انه في عشرة أجزاء (٦).

ولم يصلنا هذا الكتاب، وانما أورد القحطي أن نسخة من نسخه شوهدت وقد كتب عليها: "قرأ جميع المقصور والمدود محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي ومحمد بن أبان بن سيد وعبد الوهاب بن أصبح ومحمد بن حسن الزبيدي" (٧).

٢- فعلت وأفعلت (٨)

"وصله لأئير المؤمنين (يعني الناصر أو الحكم) حتى جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج"، فالاساس فيه كما يبدو كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم ثم زاد القالي فيه كثيرا.

-
- (١) منه نسخة خطية بالقاهرة ثاني ٢ : ٤٠ (بروكلمان ٢ : ٢٨٠) .
 - (٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
 - (٣) الوفيات ١ : ٢٠٤ ، البغية ١٩٨ .
 - (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
 - (٥) جذوة المقتبس : ١٥٦ .
 - (٦) فهرسة ابن خيبر : ٣٥٣ .
 - (٧) انباء الرواة ١ : ٣٠ .
 - (٨) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة ١٩٨ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، وفهرسة ابن خيبر : ٣٥٢ .

٣- كتاب في الابل ونتاجها وما تصرف منها ومعها (١)

وسماه ابن خير " كتاب الابل ونتاجها وجميع أحوالها " وذكر انه في خمسة أجزاء .

٤- مقاتل الفرسان

لم يردنا من هذا الكتاب سوى اسمه (٢). وقد سماه السيوطي : " مقاتل العرب " (٣).

٥- كتاب في حلى الانسان والخيول وشياتها (٤)

٦- كتاب في تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها (٥)
وقد سماه ياقوت : " كتاب تفسير السبع الطوال " (٦). وهنا أيضا

٧- فهرسة ابي علي البغدادي ، اخباره وتسمية كتبه وتواليايفه برواية أحمد بن أبان بن سيد عن القاضي نفسه (٧).

-
- (١) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، فهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
 - (٢) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
 - (٣) بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
 - (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
 - (٥) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
 - (٦) معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
 - (٧) فهرسة ابن خير : ٤٣٤ .

٨ - البار

أ - وصف عام للكتاب والدوافع الى تأليفه

لا نستطيع ان نعرف بالضبط الدافع المباشر الى مثل هذا التأليف، وربما كان ذلك بطلب من الحكم المستنصر او بتشجيع منه على الاقل . ومثل هذا نقوله اعتمادا على اتجاه الحكم العام في تشجيع التأليف وتشجيع ابي علي بنوع خاص . ثم ان هناك من الروايات ما يشير الى مثل هذا التشجيع .

ولم يكن هذا العمل يسيرا او متيسرا ، وكان يحتاج الى مجهود عظيم . وقد " شوهد بخط ولده ما مثاله : ابتداء ابي - رحمه الله تعالى - بعمل كتاب " البار " في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (١٥٠ م) ، ثم قطعتة علل واشغال ، ثم عاود النظر فيه بأمر امير المؤمنين وتأكيده عليه ، فعمل فيه من سنة تسع واربعين وثلاثمائة (١٦٠ م) ، فأخذه بجهد واجتهاد ، وكمل له ، وابتداء بنقله فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (١٦٦ م) كتاب الهمز ، وكتاب الهاء ، وكتاب العين ، ثم اعتل في هذا الشهر " (١) .

ويصعب ، اعتمادا على هذا الكلام ، التحقق بدقة من الزمن الذي استغرقه العمل في الكتاب انما نستطيع القول انه عمل فيه ستة عشر عاما ، لم يعمل فيها بصورة متواصلة وانما قطعتة اثنا ذلك " علل واشغال " . ويبدو لنا من هذا النص ما ذكرناه قبل قليل من اهتمام الحكم المستنصر ، امير المؤمنين ، وتشجيعه للقالي في هذا المؤلف ، كما كان يشجعه في غيره من المؤلفات .

وقد عاجل المرض ابا علي ولم يعمله الوقت الذي يسمح له بنسخ ما عمل

وتهذيبه . وقد رأى بعض المؤرخين انه " الف كتاب البار في اللغة في خمسة آلاف ورقة لكن لم يتمه " (١). ويورد آخرون هذه الرواية بألفاظ مختلفة ، مع اختلاف عدد الاوراق ، اذ يرى ياقوت ، مثلاً ، انها ثلاثة آلاف ورقة فقط (٢).

وكان لا بد لمثل هذا العمل ان يخرج الى الناس . فتولاه وراقان ممن كان يساعد القالي في اماله ، واحدهما : محمد بن الحسين الفهرى ، عمل على مساعدة القالي في هذا المشروع منذ عام ٣٥٠ / ٩٦١ ، والاخر : محمد بن عمر الجباني . وقد تعاون الوراقان فاستخرجا المادة من الصكوك والرقاع ، وهذبا الاصول التي هي بخط القالي ، والاصول التي بخطيهما والتي كانا قد كتبها بين يديه . ولما تم الكتاب رفع الى الحكم المستنصر ، الذي رعى المشروع وشجعه منذ البداية (٣).

وقد امتدح الناس منذ ذلك العهد كتاب البار قال الزبيدي : " ولا تعلم احدا من المتقدمين ألف مثله " (٤). وهو " لم يصنف مثله في الاحاطة والاستيعاب " (٥).

ومع هذا الاعتراف بعظمة الكتاب فان الناس لم يعملوا اليه ولم يألفوه و " لم يعرجوا " على بارع ابي علي البغدادى " (٦). وربما كان ضيق المجال الذي انفتح امام الكتاب واحدا من الاسباب التي ساعدت على فقدان اكثره . فمن المائة المجلد التي ورد ذكرها لم يبق لنا الآن سوى قطعتين احدهما في المكتبة الاهلية ببابوس

-
- (١) شذرات الذهب ، ابن العماد ٣ : ١٨ .
 - (٢) بغية الوعاة : ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
 - (٣) فهرسة ابن خير : ٣٥٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٩ ، التكملة ، ابن الابار : ٣٧١ .
 - (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ .
 - (٥) المصدر نفسه .
 - (٦) المعجم ١ : ٤٥ .

والاخرى في المتحف البريطاني . وقد كتبت الاثنان بخط اندلسي وفي عصر يعود الى حوالي القرن بعد زمن تأليف الكتاب (١) .

والمتبقي من البارع يقع ، بحسب مخطوطة المتحف البريطاني، في مائة وثمان واربعين صفحة (٢) ، وهو ما يقارب ثلاثة امثال قطعة باريس ونصفها (٣) . والقطعتان لا تشتركان الا في ثماني صفحات من مصورة فلتن (٤) . وليست هذه الاوراق متتابعة، على اية حال ، بل هي متفرقات (٥) .

غير ان كلتا القطعتين ليست تحتوى على مقدمة للمؤلف . ولسنا نقصد من ذلك انه وجد في يوم من الايام مقدمة للمؤلف . فان مثل هذا الامر يصعب البت فيه . فأبو علي مات قبل ان يتم الكتاب كما رأينا . لذلك فان الهدف من تأليف الكتاب والخطة التي اتبعها المؤلف غير معروفين بدقة ، انما يمكن استنتاجهما استنتاجا . وقد رأينا ان القالي قام ، بتشجيع من الحكم المستنصر ، بتأليف بارعه ليضع بين ايدي اهل الاندلس معجما يماثل معجمات المشارقة او يتفوق عليها ، وقد قصد الى ان يسهل عمليات التفسير والشرح التي كان يقوم بها هو وامثاله من العلماء في تلك الفترة من حياة الاندلس اللغوية والادبية .

ب - منهج القالي في كتاب البارع

رتب القالي كتابه بحسب مخارج الحروف . وكما يستتج من

-
- (١) مقدمة فلتون (بالانكليزية) ص : ١ .
 (٢) مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٨١١ Or.
 (٣) مقدمة فلتن : ١
 (٤) المصدر نفسه
 (٥) المصدر نفسه

القطعة المتبقية من كتابه يمكن ترتيب الحروف كما يلي :

ه ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل و ن ط د ت
ص ز س ظ ذ ث ف ب م و ا ي (١).

أما الهمزة فقد كان مكانها موضع خلاف ، ويرى فلتن : " كذلك ليس لدينا
أى شاهد مخطوط عن موضع الهمزة ، ذلك الصامت الذى سبب كثيرا من المتاعب
للقدماء من النحويين واللغويين في تحديده ، ولا بد أن القالي تناوله في بداية
الانقباء أو في فصل خاص في النهاية ، وهو لا يضع الانقباض التي تحتوى على هذا
الصامت بين الأصول المعتلة من الكتاب ، كما فعلت معاجم الخليل والأزهري وابن
سيده " (٢). أما موضع الحرفين الحاء والخاء فلم يمكن القطع بموقعهما وقد وضعنا
بحسب الترتيب السابق دون الجزم بذلك ، وقال فلتن بهذا الصدد : " ولا تبين لنا
نسخة المتحف البريطاني ولا نسخة باريس من كتاب القالي الوضع الصحيح للحرفين
الساكنين ح ، خ ، والوضع الذى نسبناه لهما هنا افتراضي ، ومن المحتمل
صحته " (٣).

والأبواب في بارع القالي ستة ، هي بالترتيب : أبواب الثنائي المضعف
(الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة) ، أبواب الثلاثي الصحيح ، أبواب الثلاثي المعتل ،

(١) انظر كذلك مقدمة فلتن : ٨٠ .

(٢) مقدمة فلتن : ٨٠ ، وانظر المعجم العربي : ٢٨٩ .

(٣) مقدمة فلتن : ٨٠ .

ابواب الحواشي او الاوشاب^(١) ، ابواب الرباعي ، ابواب الخماسي .

وفي كل باب من هذه الابواب تتكرر عبارة " ومن مقلوبه " ، وهو النظام الذي يتيح للقالي ، ولغيره من اصحاب هذه المدرسة في تأليف المعجمات ، سيلا لاستقصاء تنقل كل حرف من نظامه في كل بناء من الابنية^(٢) .

ج - خصائص الكتاب ،

نستطيع ان نأخذ صورة واضحة عن خصائص الكتاب اذا حللنا مادة من موارده . لنأخذ مثلا :

الجيم والشين والنون في الثلاثي الصحيح^(٣)

" قال ابو علي قال يعقوب : يقال اتيته بعد ما مضى جوشن من الليل .

قال ابن احمد :

يضي صيرها في ذي خبي جواشن ليلها بينا فبيننا

(١) شرح القالي ابواب الحواشي او الاوشاب بقوله : " هذه ابواب تتصل بالثلاثي المعتل مما جاء على حرفين احدهما معتل ، او ثلاثة منها حرفان معتلان " (البارع ٢٦) . وقام بشرحها أيضا في مكان آخر فقال : " انما سميناه اوشابا لأننا جمعنا فيه الحكايات والزجر والاصوات والمنقوصات ، وما اعتل عينه ولامه او فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او كان فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او لامه وعينه بلفظ واحد " . (البارع ٢٦) . وقد شمل بهذا الشرح الثنائي المخفف الصحيح او المعتل بحرف واللفيف والمضاعف بحرفين غير مدغين .

(٢) الامثلة متوفرة في مواد البارع المختلفة .

(٣) البارع : ١٢١ - ١٢٢ .

اي قطعة من الارض بعد قطعة ، يعني البين والبين من البصر . قال لـ
ابو الحسن بن كيسان رحمه الله : الصير الخيم الابيض الشديد البياض . وقال
ابو عبيدة : الجوشن الصدر . قال : وقال آخر بل الجوشن الوسط بفتح
 الجيم والشين وسكون الواو وانشد لرؤبة :

ونازح الماء عريض الجوشن

قال الجوشن الوسط . وقال الخليل : الجوشن ما عرض من وسط الصدر ،
 وجوشن الجراءة ونحوها صدرها ، والجوشن من السلاح .

مقلوبه

قال ابو علي قال ابو حاتم : يقال نشج ينشج نشيجا على مثال فعل
 يفعل فميلا يفتح الفاء والعين في الماضي وكسر العين في المستقبل وفتح الفاء
 وكسر العين في المصدر . وقال ابو زيد : النشيج اشد البكاء . وقال
الاصمعي : النشيج بالحلقي ، وهو هاء تأخذ بالنفوس ، وهي ارتفاع النفس مثل
 الفؤاد . قال ابو ذؤيب :

لهن نشيج بالنشيل كأنها ضرائر حرمي تفاحش غارها

وقال الخليل : نشج الباكي ينشج نشيجا وهو اذا غص البكاء في حلقه ولما
 ينتحب . والحمار ينشج بصوته نشيجا وهو صوت في حلقه عند الفزعة . والطعنة
 تشج عند خروج الدم ، تسمع لها صوتا كالنفخة ، فاذا كان ذلك قلت نشجت الطعنة .
 والقدر تشج عند الغليان . وقال الشاعر :

وناشج عنه منهلة تكف . "

يبدو ان القالي كان يشعر بالاطمئنان حين يورد اسما العلماء الثقات ،
 ففي هذا الجزء من المادة الذي نقلناه نجد اسما يعقوب بن السكيت وابي الحسن
 بن كيسان وابي عبيدة والخليل وابي زيد والاصمعي . " وهذا احصاء بمن وردت
 اسماءهم في الصفحات العشر الاولى : ابو زيد الانصارى ، الخليل بن احمد ، يعقوب
 بن السكيت ، ابو السمع ، الاصمعي ، ابو عبيدة ، الكسائي ، الرزاحي ، ابو حاتم
 السجستاني ، ابو عمرو ، الاحمر ، ابو العباس ، الاموى ، الفراء ، ابن الاعرابي ،
 الاحرزى . وهذا الاحصاء لا يبين لنا تماما كثرة ورود اسمائهم لأنه لا يظهر
 مرات وجودهم ، وهي كثيرة ومنهم من كان يظهر اسمه في جميع المواد كالخليل ،
 ويقاربه في ذلك ابو زيد ، وليهما الاصمعي ويعقوب . وكان في بعض الاحيان يأتي
 بالمادة كلها من قول الخليل ، وابي زيد (١) . ومن الطبيعي انه لم يكن المذكورون
 آنفا جميع من رجع اليهم . فهناك غيرهم ظهرت بعد الصفحات العشر الاولى ، من
 امثال الباهلي ، والنضر بن شميل ، والليثاني ، وسلعة بن عاصم ، والرؤاسي ، وقطرب ،
 ولزاز ، وابن كيسان ، وابن قتيبة ، وثابت ، وابن دريد ، وغيرهم من اللغويين وابي
 الجراح ، وابي العطف الغنوى ، وابي خيرة ، وام الحمارس الكلبي ، وابي زياد
 الكلابي ، وابي جميل الكلابي ، وابي صاعد ، ورداد الكلابي ، وابي الغادية النيمري ،
 وابي مسمع ، وغنية ، من الاعراب والرواة " (٢) .

ومن المادة السابقة أيضا يظهر لنا بوضوح حرص القالي الشديد
 على عدم الالتباس . وهذا الحرص يتمثل في ظاهرتين ، الاولى النص على حركة الحرف
 كتابة وربما شاركه هذا الفضل الوراثان اللذان ساعدا على النسخ ورتبا وهذبا

(١) البارع : ٢٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ وغيرها من الصفحات .

(٢) المعجم العربي : ٢٩٦ - ٢٩٧ .

بارعه بعد وفاته • والثانية النص على الوزن •

ويتبين لنا كذلك حبه لرواية الشعر والاستشهاد به • وقد تجاوزني كثير من الاحيان حد الاستشهاد الى ايراد مقطوعات قصد بها الامتاع والاخبار (١). ولعل هذا اثر من آثار الامالي وروايات الاشعار والاخبار (٢).

ومن الظواهر تفسير الالفاظ التي ترد في النصوص • فاذا احسان هناك لفظة او اكثر تستغلق على الفهم عمد الى شرحها (٣).

كذلك فانه ينقل عن اللغويين بعض لغات العامة • ففي مادة ، الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح :

"مقلوبه : قال ابو حاتم : العامة يقولون الشجر بكسر الشين وهو لغة والجيد الفتح كما يقرأ في القرآن : 'والنجم والشجر يسجدان' (سورة الرحمن آية : ٦) . " (٤)

(١) فهو حين يتحدث عن مادة : الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح وعن تقاليدها يقول : (البارع ١١٩)

"... وقال ابو زيد الشوجان الخلطان وانشد لقطبة بن ارومة :

عفا الروس فاللعباء من ام عامر	فشرك فأحسى واسط ففنيهم
عفت غير حقب ترتعي اخدوبة	شوجان منها واضح وبهمهم
فهاجت عليك الدار ما لو ترومه	لعهد الصبا لم تدر كيف تروم
لعلك ان طالت حياتك ان ترى	حيائك الآتي * بهن تهمهم
اجدك ما ينسيكهن ملعة	المت ولا عهد بهن قديم ...

* ربما كان الاصح : اللائي •

(٢) ترد في بارعه روايات واخبار ليس لها صلة بالمعجم وانما يرويها لأنها من جملة الروايات المسلية • (انظر البارع ، ص : ١٠) •

(٣) انظر البارع : ٣ •

(٤) المصدر نفسه : ١١٩ - ١٢٠ •

ويعتني القالي باللغات المختلفة . " واننا نرى عنده من اللغات المنسوبة لغات الكلايين والنميريين والطائيين والقيسيين والاسديين والتميميين وبني غنى ، واهل مصر والمدينة والحجاز والجزيرة والعراق . والكلايون خاصة لهم خطرهم في كتابه ، ان يرد اسمهم في خمس صفحات من الصفحات الحشر الاولى ، ويكثر بصورة واضحة في جميع انحاء القطعة الباقية . وليس هذا وحده بل تكثر اسماء الاعراب والرواة الكلايين عنده أيضا ، مثل ام الحمارس وابي زياد وابي جميل ورداد . ومن اسباب هذه الظاهرة اكثار المؤلف الاقتباس من ابي زيد الانصاري ، الذي يروى عنهم كثيرا " (١).

وكان من نتيجة ايراده الاقوال المختلفة للفرقيين المختلفين بغير مناقشة او تشذيب ان تراكت التفسيرات المتناقضة ، واحدا الى جنب الآخر دون ادنى تعليل . والواقع ان شخصية القالي ضعيفة ولانحس بها الا من وراء ستار ، فشخصيات العلماء الآخرين اكثر وضوحا . وهذا ادى الى ان يكون معجمه أقرب الى الجمع .

والقالي يأخذ عن العلماء دون ذكر المؤلفات . وجزء من كتابه مبني على الرواية الشفوية ، غير ان لكثيرين من العلماء كتب لا بد ان القالي استفاد منها . وبرغم المجهودات الكبيرة التي قام بها القالي ، فان هناك مواطن ضعف في الكتاب . ولعل اهم هذه المواطن وابرزها صعوبة البحث عن المواد في المعجم بسبب ذلك النظام العسير القائم على المخارج والابنية والتقايب . وقد أشار الى مثل هذا الضعف اكثر من عالم ولاموا في ذلك أيضا معجمات اخرى اعتمدت نفس الاسس . قال ابن دويد " قد ألف الخليل بن احمد كتاب العين ، فأتعب من تصدي لغايته ، وعنى من سما الى نهايته . . . ولكنه رحمه الله

وقد وجهنا الى العين - ١٦٧ وهذا الكتاب الأول الذي سمى المخرج - نعمة مماثلة

الف كتابه مشاكلا لثقب فهمه ، وذلكاء فطنته " (١) . " كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه ان يعلم موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي ، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة ، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصنيفها في اللفظ على وجوه الحركات والهاقها ما تحتل من الزوائد ، ومواضع الزوائد بعد تصنيفها بلا زيادة ، ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب ، فاذا عرف هذه الاشياء ، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين " (٢) . وهذه الاتهامات ^{جميعها} تنال كتاب البارع بنسب متفاوتة . فالبارع واحد من فئة المعجمات التي اتخذت مخارج الحروف والابنية والتقاليب اساسا لها .

ومع ذلك ، فلقد شارك القالي مشاركة طيبة في المجهود اللغوي ، وقدم بهذا الكتاب اثرا عرف الناس فخله ومدحوه . ولما " كمل الكتاب وارتفع الى الحكم المستنصر بالله ، اراد ان يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين ، فبلغ ذلك الى خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة " (٣) . وقال ابن خیر : " زاد على كتاب الخليل نيفا واربعمائة ورقة مما وقع في العين مهملا فاملاه مستعملا ، ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأمل الشواهد فيه " (٤) . واطنب آخرون في مدحه ورأوا

(١) الجمهرة : ٣ .

(٢) المزهر ، السيوطي ١ : ٤٦ .

(٣) التكملة : ٣٧١ .

(٤) فهرسة ابن خیر : ٣٥٤ .

أنه " لا يعلم احد من العلماء المتقدمين والمتأخرين الف مثله في الاحاطة والاستيعاب " (١).

١ - كتاب الامالي *

(١) تقدير العلماء لكتاب الامالي

لقي الكتاب شهرة واسعة ، واثنى عليه كتاب التراجم والمؤرخون ، وكثيرا ما جرى التعريف بالقالي عن طريق القول بأنه صاحب الامالي : " ولما وفد على ابيه - ابي الحكم المستنصر - ابو علي القالي صاحب كتاب الامالي من بغداد اكرم مثواه " (٢) ، " .. ومنهم ابو علي القالي ، صاحب الامالي والنوادر " (٣) ، " .. وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب الامالي السوفد على الاندلس في زمان بني مروان قال " (٤) . وقد امتدح ابن خير الكتاب فقال : " وهو كتاب حسن يشتمل على انواع من العلم لا نظير له في معناه " (٥) . واثنى عليه الزبيدي ، تلميذ القالي وصديقه ، فقال : " وهذا الكتاب غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب " (٦) . وهذه الرواية الاخيرة رواها آخرون بألفاظ قريبة (٧) . وقد اورد الحميدى من الاخبار ما يشهد بالامالي فقال : " قال لنا ابو محمد علي بن احمد (اى ابن حزم) ، وقد ذكر كتاب ابي علي

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ .

* انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٨ في مخطوطات هذا الكتاب والطبعات التي صدرت منه ومن الذيل والتبويب .

(٢) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ٤ : ١٥٠ .

(٥) فهرسة ابن خير ٣٢٣ : ٣٢٣ .

(٦) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ .

(٧) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

المسمى بـ النوادر في الاخبار والاشعار ، فقال : وهذا الكتاب مبار للكتاب الكامل الذي جمعه ابو العباس المبرد ، ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوًا وخبرًا ، فان كتاب ابي علي لأكثر لغة وشعرًا " (١).

(ب) الداعي لتأليفه

ويقول القالي في المقدمة : " فأملت هذا الكتاب من حفظي في الاخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة " (٢). وقال الزبيدي في مثل ذلك : " وله اوضاع كثيرة امالها عن ظهر قلب ، منها كتابه في الخبر ، المعروف بالنوادر ، امالها ظاهرا ، وارتجل تفسير ما فيه " (٣).

فالداعي الى تأليف هذا الكتاب في المقام الأول هو تلك المهمة التدريسية التي انتدب لها القالي ، وتحقيق جانب من الغاية التي هاجر من أجلها الى الاندلس . على أن تأليف الكتاب تمّ في مراحل : فقد كان أبو علي يعليه أولا في الاخمسة بالزهراء على بني ملول وغيرهم ، وهذه هي المرحلة الأولى ، ثم زاد فيه حتى بلغ ستة عشر جزءا وهذه هي المرحلة الثانية ، ثم لما رفعه للمستتر جعله عشرين جزءا . وعندئذ كتب مقدمته وتحدث فيه عن طلبه العلم - تلك التجارة التي لا تبور - وعن جهوده في سبيلها ، وعن أن العلم لا يلحق الا الى مستحقه فقال : " أما بعد . . . فاني لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيسقت أن طلبه أفضل تجارة فاقتربت للرواية ولزمت العلماء للدراية ثم أعلت نفسي في جمعه وشغلت ذهني بحفظه حتى حوت خطيره وأحرزت رفيعه ورويت جليله وعرفت دقيقه وجعلت

(١) جذوة المقتبس : ١٥٦ ، معجم الأدباء ٧ : ٢٨ - ٢٩ .

(٢) الامالي ١ : ٣ .

(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، وانظر أيضا : انباء الرواة ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ومعجم الادباء

غرضي أن أودعه عند من يستحقه وأبديته لمن يسهم فضله وأجليه الى من يعرف
محلّه (١) وفي هذه المقدمة تقدير لعبد الرحمن الناصر وثناء عليه ، وهو
شيء يسير اذا قيس بما لقيه القالي من حفاوة واکرام .

(ج) طبيعة المادة في كتاب الأمالي

وقد أجمل القالي في مقدمته وصف طبيعة المادة^{التي} اشتمل عليها
كتابه فقال : " وأودعته فنونا من الاخبار وضروها من الاشعار وأنواعا من الامثال
وغرائب من اللغات على أني لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ولا ضرها من الشعر
الا اخترته ولا فنا من الخبر الا انتحلته ولا نوعا من المثل والمعاني الا استجدته ،
ثم لم اخله من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . على أني أوردت فيه
من الابدال ما لم يورده أحد وفسرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر ليكون الكتاب
الذي استببطه احسان الخليفة جامعا والديوان الذي ذكر فيه اسم الامام كاملا " (٢).
ومعنى هذا أن كتاب الامالي يمتاز بالامور الآتية :

- (١) الاشباع بالتفسيرات اللغوية .
 - (٢) المختار من الشعر الذي اعتمده ذوق القالي .
 - (٣) الخبر المنتحل .
 - (٤) الأمثال والمعاني التي استجدها القالي .
 - (٥) غريب القرآن والحديث .
 - (٦) فرعان من الكلام يرى القالي أنه مبتكر في التنويه بهما وهما :
- أ - الابدال . ب - الاتباع .

(١) مقدمة الامالي : ص ١ - ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣ .

(د) الجانب اللغوي في الأمالي :

وللغة نصيب كبير في هذا الكتاب أو كما قال ابن حزم : " ولئن كان كتاب أبي المباس أكثر نحواً وخبراً ، فإن كتاب أبي علي لأكثر لغةً وشعراً " (١).
واللغة لها مواد تكاد لا يعالج بها شيء سواها ، إلا أنها تبرز بروزاً واضحاً حتى في مواد الأخبار والأدب . ويمكن إيجاز هذه الجوانب اللغوية على الصورة التالية :

١ - معالجة كلمة واحدة :

أول مادة يعالجها الكتاب هي كلمة نساء والحديث في معانيها المختلفة (٢).
والقالي يستشهد لذلك بآيات من القرآن وكلام العرب وشعرهم ويفصل ويسهب مثلما كان أصحاب المعجمات القدامى يفعلون .

ومثل هذا الحديث عن مادة واحدة كثير (٣). وتكراره يدل على أن الكاتب يهتم بالألفاظ من حيث هي . وربما كان ذلك سبباً دفعه ، فيما بعد ، إلى تأليف معجمه " البارع " .

٢ - مترادفات الاسم الواحد :

فانه يتخذ الزوجة ، مثلاً ، ويورد الأسماء المختلفة لها مستشهداً لذلك (٤).
فمن جملة الأسماء : الحليمة ، وعرس الرجل ، والفريسة ، والطلّة ...

٣ - أسماء يربطها الموضوع الواحد :

فانه يتخذ موضوعاً ما ، أسماء الألوان وأوصافها مثلاً (٥) ، ويتحدث فيها

(١) جذوة المقتبس : ١٥٦ ، معجم الأدباء ٧ : ٢٩ .

(٢) الأمالي ١ : ٤ .

(٣) المصدر نفسه : مادة لحن ١ : ٤ - ٧ ، مادة حرد ١ : ٧ الخ ..

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٩ - ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ٣٤ - ٣٦ .

وفيها حقها .

٤ - ما يتعاقب فيه حرفان :

والقالي يورد فقرات كثيرة يتحدث فيها عن حرفين يتعاقبان ، كاللام والنون مثلا (١) ، او العين والحاء (٢) ، او الهمة والهاء (٣) ، او السين والتاء (٤) ، او الحاء والجيم (٥) ، او الهمة والعين (٦) .

والقالي في ذلك يستشهد بأقوال اللغويين ويورد الروايات بخير ان يعمل لمثل هذا التعاقب . فهو يقبله باعتباره موجودا ، دون ادنى اشارة الى اسباب مثل هذا التعاقب ، او دراسة للتطور الذي يمكن ان يكون قد طرأ على مثل هذه الالفاظ ، او للبيئات والقبائل المختلفة التي يمكن ان تكون قد صدرت عنها الكلمات . وسأقتبس مقطعا صغيرا للدلالة على مثل ذلك : " ويقال : ارقست الماء وهرقته . ويقال : اياك ان تفعل وهياك . ويقال : اتعال السنم واتمهل ، اذا انتصب . ويقال للرجل اذا كان حسن القامة : انه لمتمهل ومتمهل . ويقال : ارحت دابتي وهرحتها . ويقال : أنرت له وهرت له " (٧) .

٥ - ابدال حرف بحرف آخر :

وهذا قريب مما مضى في الفقرة "٤" ، غير انه هاهنا يستبدل حرف

-
- (١) الامالي ٢ : ٤٠ .
 (٢) المصدر نفسه ٢ : ٦٥ .
 (٣) المصدر نفسه ٢ : ٦٦ .
 (٤) المصدر نفسه .
 (٥) المصدر نفسه ٢ : ٧٦ .
 (٦) المصدر نفسه .
 (٧) المصدر نفسه ٢ : ٦٦ .

يحرف آخر ولا يستعمل ، من قبل فئة من الناس ، الآ الحرف البديل دون الحرف الأصيل . مثال ذلك " ابدال الياء جيما في لغة فقيم " (١). وفي هذا المقام يورد امثلة لبدال الياء جيما في لغة فقيم ، دون ادنى تعليق أيضا . " وقال ابو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن انت ؟ قال : فقيمج ، فقلت : من أيهم ؟ قال : مسج ، أراد : فقيمي ومرى " . وهناك امثلة اخرى لم يحين فيها فئة العرب التي تقوم بابدال حرف بآخر (٢).

٦ - الشرح والتفسير :

وهو على انواع ، فتارة يتناول الاحاديث (٣) ، وتارة يتناول غريب الحكايات ، كحكاية الفتيات (٤) ، وتارة يتناول القصائد والمقطوعات (٥) ، ويتناول أيضا الآيات (٦) ، والخطب (٧).

والواقع ان هذه الظاهرة عامة في الكتاب ، غير اننا قد نجد لها ، مثلما هي الحال في الامثلة العاضية ، منفردة في فقرات خاصة ، طلبت من أجل ذاتها . اما في المواد الاخرى فان جزءا مهما من عمل المؤلف مرتبط بشرح الغريب من الالفاظ وتفسير

(١) الامالي ٢ : ٧٥ .

(٢) انظر مثلا : " وقال ابو علي : قال ابو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف الى الياء فيقولون : تظئيت ، وانما هو تظئنت ، قال العجاج :

تقضي البازي اذا البازي كسر

وانما هو تقض من الانقضاء . (الامالي ٢ : ١٦٧)

(٣) الامالي ١ : ٧ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٦ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ٢ : ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣ : ١١٥ .

(٧) المصدر نفسه ١ : ١٤٥ .

الغامض والمستغلق من المعاني .

٧ - باب لغوى مستقل :

كتاب احرف الابدال مثلاً (١). وقد افرد مؤلفون آخرون مثل هذا الباب، منهم سيبويه في الكتاب، والزبيدي في الاستدراك على سيبويه . والقالي يورده بغير أدنى علاقة بما يسبقه من ابواب او بما يلحقه . وفي احرف الابدال يشعر القالي بسرور عظيم حين يؤلف ما بين هذه الاحرف ويجعلها في عبارة بسيطة هي : " طال يوم انجدته " ويقول بجذل : " وهذا انا علمته " (٢).

٨ - ينقل المناقشات اللغوية :

من ذلك مثلاً مطلب ما وقع في مجلس ابي عمرو بن العلاء بين شبيل بن عذرة ويونس والفرق بين الفاظ خمسة من الروية (٣). والقالي، مثلاً يفعل غالباً، يكتفي بسرد وقائع المناقشة دون ان يحبذ او يفتد . ولم نجد مثل هذا الامر عند الزبيدي، تلميذ القالي وصديقه، في كتابيه العظيمين : لحن العوام، والاستدراك على سيبويه .

(هـ) خصائص كتاب الامالي

يكون الكتاب ذخيرة لغوية هامة للمتأدب والدارس، حتى حين يتطرق الى الاخبار والموضوعات الادبية والخطب والتراجم والاشعار المختارة . ذلك انه، في اغلب الاحيان، يلجأ الى تفسير ما يحس بصعوبته على القارئ او السامع،

(١) الامالي ٢ : ١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ١ : ٤٨ - ٤٩ .

وهذه ظاهرة طبيعية بالنسبة لمن هو في وضع القالي المدرس . والقالي يفسر غريب النصوص ، سواء أكانت نصوصا دينية أو أدبية أو لغوية أو اخبارية أو غير ذلك .

وإذا كانت رواية من هذه الروايات تشتمل على بيت أو أكثر فقد يأتي القالي بباقي الايات . وقد يورد أبياتا أخرى من قصيدة أخرى للشاعر نفسه ، وقد يأتي بأبيات مشابهة لشاعر آخر ، وهكذا الى ان يحسن انه وفي الموضوع حقه .

والقالي يحرص على الدقة ، لذلك فانه في كثير من الاحيان ، يعتمد الى ذكر وزن اللفظة ، كي يتمتع الالتباس . وقد وجدناه يفعل ذلك كثيرا في معجمه " البارع " . من امثلة ذلك في الامالي : " والمَجْدَام : مَفْعَال من جَذَم ، والجَذَم : القطع . (١) " ويدل القالي على حفظ كثير وسعة في الرواية الشفوية غير انه احيانا يسجل الأخذ عن الكتب مثل " قال ابو بكر في كتاب المتناهي في اللغة : هذا اعرابي أدخل قردا الى سوق الحيرة ليبيعه فنظرت اليه امرأة فقالت : مسخ .. " (٢) .

اما ذكره للعلماء فكثير كثرة بالغة ، وهو يعتمد على اللغويين اعتمادا كبيرا في رواياته . والرواية الواحدة ، في العادة تشتمل على/لغوى واحد .

نظرة اجمالية في أثر القالي

ومهما يكن من شيء فليس من اليسر أن يحدّد المرء أثر القالي في حياة اللغة بالاندلس ولكني هنا أحاول أن أجعل اهم المظاهر التي خلفها القالي في التيار اللغوي :

-
- (١) الامالي ١ : ١٢ .
(٢) المصدر نفسه ٢ : ٤٣ .

- (١) نشر في الاندلس كتباً كثيرة جعلها معه .
- (٢) قدّم للاندرلسيين أصولاً معتمدة مقروءة على العلماء فأوجد بذلك أساس الدقة اللغوية .
- (٣) وضع كتباً هامة مثل البارع والنوادر والمقصود والممدود كانت زادا للأجيال القادمة ، تدرسها أو تشرحها أو تكمّلها .
- (٤) أثر بشخصيته الفذة في خلق طبقة من التلامذة لا يرون اماماً عداً .
- (٥) أعطى للاندرلسيين معايير من التقدير العلمي والذاتي بتواضعه وسجاجة خلقه فهو يروى - على سعة اطلاعه - كتاب " الدلائل " ، وهو يشفي على ابن القوطية فيحله هذا الشئاء مركزاً هاماً في نفوس الاندرلسيين .
- وخلاصة القول ان الاندلس عرفت في القالي " المعلم الأول " في اللغة ، وعلى منهاجه وأصوله بنت وجهتها اللغوية .

تذييل على الفصل السابق

نستطيع ان نقسم النشاط اللغوي في القرن الرابع، اذا نحن نظرناسا الى
انفواج الدارسين ، في ثلاث موجات كبيرة :

١ - موجة الدارسين الذين شهد نشاطهم الثلث الأول من القرن وكانوا تلامذة
قاسم بن أصبغ والخشني وغيرهما من المعلمين في القرن السابق . ومنهم من امتد
به العمر حتى لحق بالموجة الثانية ، وشارك في شي من نشاطها ، الا ان الموجة
الثانية طغت عليهم وجعلتهم في الظل .

٢ - موجة الاساتذة الاعلام وبرزهم القالي (- ٣٥٦ / ٩٦٧) وابن القوطية
(- ٣٦٧ / ٩٧٨) والزبيدي (- ٣٧٩ / ٩٨٩) وهذه هي الموجة الكبرى التي
تمخض عنها التأليف الواسع والتدريس الدقيق . ويمتد نشاطهم على وجه التقريب بين
٣٣٠ - ٣٨٠ / ٩٤٢ - ٩٩١ ، وفي اعقاب حركتهم جاء صاعد البغدادي فمد بعض
الشيء في عصر هذه الموجة ، ولكن جهودهم وجهود تلامذته اختلطت بنشاط الموجة
التالية .

٣ - موجة الطلاب الذين درسوا على هؤلاء الاعلام ، وعلى غيرهم من معلمي اللغة،
ومالوا بنشاطهم بقيمة القرن الرابع . ومنهم من تداخل نشاطه مع الموجة السابقة ،
ومنهم من شهد أوائل الخامس ، هؤلاء ، او كثير منهم ، يمثلون حلقة الوصل بين
هذا العصر والعصر التالي . وهم يقعون بين قعتين كبيرتين وليس من الحق ان نغفل
الدور الذي قاموا به في الدراسات اللغوية ، او على الاقل في عملية النقل من جيل الى
جيل . وليس في الامكان تمييزهم بحسب اتجاهات خاصة او بحسب الاساتذة الذين

درسوا عليهم بحيث نقول على وجه القطع : هذا تلميذ القالي وذاك تلميذ الزبيدي ، الا في حالات قليلة لان كثيرا منهم درسوا على غير واحد من أولئك الأساتذة . والواقع انني لا أستطيع ان احصر تلامذة هؤلاء العلماء لكثرة الآخذين عنهم سواء أكانوا من طلاب اللغة او طلاب العلوم الاخرى . وقد عدّ ابن خير تسعة عشر عالما رزوا كتاب النوادر وحده عن ابي علي (١) . فاذا تذكرنا ان ابا علي قضى ستا وعشرين سنة في التدريس ، وتذكرنا كيف طال العمر بابن القوطية حتى روى عنه أجيال متلاحقون ، والمدة التي قضاها الزبيدي في التدريس ، أدركنا ان الاستقصاء مهما بلغ فلن يأتي الا على أسماء قليلة . وانما أخص بالذكر في هذا المجال أولئك الذين كان لهم نصيب في النشاط اللغوي اما تأليفا او تدريسا . وبعض هؤلاء الذين اذكرهم قد نوهت بما لهم من مؤلفات فيما تقدم . فهم اذن مجموعة تكمل جانبها من الصورة اللغوية في هذا القرن ، واغفالهم يبقي هذه الصورة ناقصة . وهذا ثبت بأسمائهم مرتبا بحسب سني وفياتهم حيث يمكن ذلك .

١ - محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي (٢) (- ٣٥٤ / ٩٦٥) : وبدوانه اخو أحمد بن أبان الآتي ذكره ، غير أن هذا يكنى أبا عبد الله وذاك يكنى أبا القاسم . وكلاهما تولى الشرطة وكان مقدما عند الحكم المستنصر ، وكلاهما كان عالما في العربية وتتلمذ على القالي . فعما أخذ محمد عن أستاذه كتاب الاجناس لغلام الاصمعي (أبي نصر أحمد بن هاشم) والقلب والابدال ليعقوب ابن السكيت والفرق لطابت بن أبي ثابت وكتاب الخيل لأبي عبيدة والنقائض بين جرير والفرزدق واختيارات المفضل والاصمعي وأراجيز المعراج ورؤية (٣) .

-
- (١) فهرسة ابن خير : ٣٢٤ - ٣٢٥ .
 (٢) تاريخ ابن الفرضي : ٦٩ .
 (٣) فهرسة ابن خير : ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ .

٢ - محمد بن الحسين الفهرى^(١) (٣٥٥ / ٩٦٥) : روى عن القالي ولازمه وتقدم في حفظ الآداب والعلم باللغات ، وعنه أخذ ابن الانليلى ، ولكنه قضى اكثر نشاطه في الورقة لاستاذه القالي ، واليه والى زميله محمد بن معمر الجباني يعود الفضل في تهذيب ما لم يهذبه ابو علي من كتاب البارع - حسبما تقدمت الاشارة ، وسماه الحميدى غلام القالي وقال : " لازم أبا علي اسماعيل بن القاسم حتى نسب اليه لطول ملازمته له وانتفاعه به " .^(٢) وواضح من تاريخ وفاته أنه توفي قبل أستاذه .

٣ - محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن القرشي القرطبي المعروف بالمصنوع^(٣) (٣٧٣ / ٩٨٣) تلميذ القالي ومن ثقات أصحابه وكان الغالب عليه علم اللغة ولم يكن له في غيرها من العلوم حظ . وصف بالخط وحسن النقل .

٤ - عبد الله بن أصبح القرطبي المعروف بابن الصفّاح^(٤) (٣٧٣ / ٩٨٣) ، ~~مصحح~~ من قاسم بن أصبح وروى عن القالي كثيرا من كتب اللغة وكان ضابطا حسن النقل معدودا في ثقات أصحاب القالي .

٥ - خلف بن سليمان بن عمرو (عمرون في فهرسة ابن خير) البزاز^(٥) (٣٧٨ / ٩٨٨) : صنهاجي الاصل من استجة ، وسكن قرطبة كان نحويا لغويا كتب عن القالي وغيره . ومن الكتب التي درسها على القالي كتاب الزاهر لابن الانبارى ونوادر ابن الاعرابي ونوادر القالي والامثال للاصمعي وكتب أبي زيد الانصاري^(٦) .

(١) التكملة : ٣٧١ ، جذوة المقتبس : ٣٧٤ .

(٢) جذوة المقتبس : ٣٧٤ .

(٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ٢٧٧ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ١٦٣ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣٤١ ، ٣٧٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٧١ .

- ٦ - محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي القرطبي^(١) (٣٧٩ / ١٨٩) ، كان عالما بصنوف من العلوم كثير الكتب صحيح الضبط حسن النقل ، وقد حدث عن القالي والرياحي ، أستاذيه ، بحكايات وأخبار ونوادر .
- ٧ - أحمد بن إسمان بن سيّد^(٢) (٣٨٢ / ١٩٢) : قد مرّ ذكره وذكر مؤلفاته ، وقد اتخذته - فيما تقدم - مثالا على الثقافة اللغوية المتخصصة ، وسردت مما درسه على القالي من كتب . وهو يعدّ من أكثر تلامذة القالي تأثيرا في الجيل التالي من دارسي اللغة ، ومن أشهر من أخذوا عنه الافليبي .
- ٨ - محمد بن عاصم النحوي القرطبي المعروف بالخاصي^(٣) (٣٨٢ / ١٩٢) : نحوي مشهور امام في العربية ، أثنى عليه ابن حزم وقال انه لا يقصر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد ، وكان من كبار الادباء وعلمائهم . روى عن القالي وعن الرياحي ، وهو أستاذ ابن الافليبي .
- ٩ - عبيد الله بن فح الطوطالقي القرطبي^(٤) (٣٨٦ / ١٩٦) : روى عن القالي والرياحي وابن القوطية ونظرائهم وتحقق بالأدب واللغة . ومن مرويّاته عن القالي كتاب خلق الانسان لثابت والاشعار الستة الجاهلية ، وشعر الحطيئة وغيرها^(٥) . وقد ذكرت له فيما تقدم كتاب "اختلاف لغات العرب" .
- ١٠ - عبد الله بن شعيب بن أبي شعيب الاشوني^(٦) (٣٨٩ / ١٩٩) ، سمع

-
- (١) الصلاة : ٤٥٢ .
 (٢) الصلاة : ١٤ ، وجذوة المقتبس : ١١٠ ، ٣٨١ وإنباء الرواة ١ : ٣٠ .
 (٣) الصلاة : ٤٥٣ ، وجذوة المقتبس : ٧٤ .
 (٤) الصلاة : ٢٨٩ ، وإنباء الرواة ٢ : ١٥٣ .
 (٥) فهرسة ابن خير : ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ .
 (٦) تاريخ ابن الغرضي ١ : ٢٨٧ .

من القالي وابن القوطية ، وكان شيخا أديبا له بصر باللغة والعربية .

١١ - حسين بن وليد بن نصر القرطبي ^(١) (- ٣٩٠ / ١٠٠٠) ، كان نحويًا

عالما بالعربية متقدما فيها وهو ممن درس على ابن القوطية بقرطبة وله رحلة الى المشرق ، وبعد عودته أدب أبناء المنصور بن ابي عامر . وكان ابن الفليلي من تلامذته الاخذين عنه .

١٢ - محمد بن عطاء الله النحوي القرطبي ^(٢) (- ٣٩٤ / ١٠٠٤) : غلب عليه

النحو ، وهو أحد تلامذة الزبيدي المقربين اليه حتى انه استأذنه لبيته .

١٣ - محمد بن خطاب الأزدي القرطبي النحوي ^(٣) (- قبل ٤٠٠ / ١٠١٠) ، روى

عن القالي وابن القوطية والرياحي وعني بالعربية وتقدم في صناعتها ، وكان يدرس عليه أولاد الاكابر وخاصة بني حدير .

١٤ - عبد الملك بن طريف القرطبي مولى الهبيديين ^(٤) (- نحو ٤٠٠ / ١٠١٠) ،

أخذ عن ابن القوطية وألف في الافعال كتابا لقي قبولا حسنا بين الدارسين ، وقال الحميدى نقلا عن ابن حزم انه زاد في كتاب الافعال لابن القوطية زيادات استفيدت منه وأخذت عنه .

١٥ - أحمد بن محمد بن ربيع الأصبحي القرطبي ^(٥) (- ٣٩٩ / ١٠٠٩) : روى

عن أبي علي البغدادي ، وعني باللغة والآداب والأخبار .

(١) تاريخ ابن الفرضي ١ : ١٣٥ .

(٢) الصلاة : ٤٥٥ .

(٣) جذوة المقتبس : ٥٠ ، والتكملة : ٣٧٧ .

(٤) الصلاة : ٣٤٠ ، وانباء الرواة ٢ : ٢٠٨ ، وانظر فهرسة ابن خير : ٣٥٦

وجذوة المقتبس : ٣٨١ .

(٥) الصلاة : ٢١ .

- ١٦ - محمد بن أحمد بن عبيد الله الأموي القرطبي المعروف بابن العطار (١) :
(- ٣٩٩ / ١٠٠٩) : أحد تلامذة ابن القوطية . له رحلة حج فيها ، كان
يجمع الى معرفته باللغة تبحرا في الفقه والفرائض والحساب ومعرفة بعقد الشروط
لا يجاوزه في ذلك أحد من أهل عصره . وجمع فيها كتابا حسنا درسه للناس بالمسجد
الجامع بالزاهرة في أيام المنصور .
- ١٧ - محمد بن أحمد العقيلي القرطبي (٢) (- ٤٠٠ / ١٠١٠) : روى عن القاضي
وكان مقدما في علم العربية وقد اشتغل بتدريسها .
- ١٨ - سعيد بن عثمان البهرى اللغوى القرطبي المعروف بابن القزاز (٣) (- ٤٠٠ /
١٠١٠) : تتلمذ على اساتذة كثيرين منهم ابو علي القاضي . كان حافظا للغة
والعربية ضابطا لكتبه متقنا في نقله ، وهو الذى ذكرت من قبل رده على صاعد
في كتاب النصوص ، وذكر أنه أكثر التحامل عليه فيه (٤) . ويعد ابن القزاز من أجل
أصحاب القاضي ، وهو أحد ثلاثة صحت اللغة بالاندلس عن طريقهم بعد ابي علي ،
أما الاثنان الاخران فهما الزبيدي وابن أبي الحباب .
- ١٩ - أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب النحوى القرطبي (٥) (- ٤٠٠ / ١٠١٠) ،
روى عن القاضي ولزمه وكان أثيرا لديه وكان من جلة شيوخ الادب عالما باللغة والاخبار
حافظا ضابطا لها ، صحيح الرواية ، شديد الحفظ للغة والتفنن في علومها وكانت فيه
غفلة شديدة . وهو مؤدب المظفر بن المنصور . روى عن القاضي كتاب اصلاح المنطق
-
- (١) الصلاة : ٤٥٩ .
(٢) المصدر نفسه : ٤٦٠ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٠٤ ، وانباء الرواة ٢ : ٤٤ - ٤٧ .
(٤) انباء الرواة ٢ : ٤٧ .
(٥) الصلاة : ٢٥٠ ، وجيزة القتب ١١١

لابن السكيت وأدب الكتاب ونصح ثعلب والامثال لأبي عبيد وكتاب فعلت وأنفعلت للزجاج والمثلث لقطرب وخلق الانسان لثابت والملاحن لابن دريد ونوادر ابن الاعرابي^(١) وغير ذلك كثير .

٢٠ - ابن سيد^٢ والد اللخوى المشهور واسمه اسماعيل^(٢) ، (بعد ٤٠٠ / ١٠١٠) لقي الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين وكان من النحاة الاذكياء .

٢١ - سعيد بن محمد المعافى القرطبي المعروف بابن الحداد^(٣) (بعد ٤٠٠ / ١٠١٠) : أخذ عن ابن القوطية . وقد ذكرته فيما تقدم حين تحدثت عن بسطه لكتاب الأفعال من تأليف استاذة .

٢٢ - هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي القرطبي^(٤) (- ٤٠١ / ١٠١١) : نحوى روى عن القالي وكان من الطلبة الذين تلقوا عنه كتاب النوادر بجامعة الزهراء . وقد حكى كيف ذهب مرة الى الدرس في فصل الربيع فأخذته سحابة وابتلت ثيابه ودخل جامع الزهراء على أبي علي وحرله أعوام أهل قرطبة فأدناه القالي منه وقال له : مهلا أبا نصر لا تأسف على ما عرض لك ، ثم حكى القالي حكاية عن نفسه يسليه بها ويصور مبلغ ما كان يقاسيه أيام الطلب . قال ابن جندل : " وسلاني بما حكاه ، وهان عندي ما عرض لي من تلك الثياب واستكثرت من الاختلاف اليه ولم افارقه حتى مات رحمه الله " . وروى أيضا عن الرباحي كتاب النقائص لابن ولاد وكتابي صفحة

(١) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،

٣٦٦ ، ٣٧٢ .

(٢) الصلاة : ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٩ .

(٤) المصدر نفسه : ٦٢٠ - ٦٢١ .

الكتاب والاشتقاق لابن الفحاس^(١) وكتاب الاخبار للمازني وكتاب أبي الحسن الاخفش في النحو^(٢) ، وألف كتباً في تفسير عمون مسائل سيبويه .

٢٣ - عبد الله بن حسين بن ابراهيم ابن عاصم القرطبي المعروف بابن النربالي^(٣) (٤٠٣ / ١٠١٣) : روى عن القالي كتاب النوادر ، وهو من ابناء البيوتات ، ولي الشرطة ، وله تأليف في الانواء ، واختصار للبيان والتبيين .

٢٤ - حبيب بن أحمد المعروف بالشطيجري^(٤) (٤٠٤ / ١٠١٤) : روى عن القالي كتاب النوادر^(٥) وعن ابن القوطية ، وروى كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم ، ودون شعر الخزال الجباني على حروف المعجم ، وقد كان في الشتاين لما خرج عن قرطبة عام ٤٠٤ / ١٠١٤ . وقال الحميدى توفي قريباً من الثلاثين وأربعمئة (١٠٣٩ م) وهو مستبعد كما ترى من تحديد سنه .

٢٥ - سليمان بن خلف القرطبي المعروف بابن نفيل^(٦) (٤٠٨ / ١٠١٧) : سمع على أبي علي كتاب النوادر من تأليفه وغير ذلك وأجاز له . وروى عنه أيضاً مؤلفات أبي زيد الانصاري^(٧) . ونوادر ابن الاعرابي .

٢٦ - عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمي ساكن قرطبة (٤١٥ / ١٠٢٤) ، سمع القالي وغيره وروى عنه ابن حزم .

-
- (١) فهرسة ابن خير : ٣٨٦ .
 (٢) المصدر نفسه : ٣١٣ ، ٣١٤ .
 (٣) التكملة : ٧٩١ .
 (٤) الصلة : ١٥٢ وجذوة المقتبس : ١٨٦ .
 (٥) فهرسة ابن خير : ٣٢٥ .
 (٦) الصلة : ١٩٤ - ١٩٥ .
 (٧) فهرسة ابن خير : ٣٧١ ، ٣٧٣ .

٢٧ - حسان بن مالك بن أبي عبيدة (١) (- ٤١٦ / ١٠٢٥) : روى عن الزبيدي

والتقاز وكان من جلة الأدباء العلماء معدودا من أئمة اللغة وهو الذي كتب
للمنصور كتابا في الأسماء سماه " ربيعة وعقيل " . قرأ على الزبيدي كتاب فعلت
وأفعلت للزجاج وكتاب أبينة سيويه للزبيدي نفسه .

٢٨ - معاذ بن عبد الله بن طاهر البلدي (٢) (- ٤١٨ / ١٠٢٧) : تلميذ ابن

القوطية والرياحي وكان بارعا في اللغة العربية والأدب .

٢٩ - محمد بن خزرج بن سلمة اللخمي الاشيلي (٣) (- ٤١٩ / ١٠٢٨) : صاحب أسما

بكر الزبيدي واختص به ، وكان عمره يوم توفي إحدى وتسعين سنة وأشهرها .

٣٠ - عبادة بن ماء السماء الشاعر (٤) (- ٤١٩ / ١٠٢٨ أو ٤٢١ / ١٠٣٠) ،

غلب عليه الأدب والشعر ، وألف كتابا في أخبار شعراء الاندلس ، وهو من تلامذة
الزبيدي . روى عن الزبيدي كتابه لحن العامة ، والواضح في النحو ، ومختصر الصين ،
والمستدرک من الزيادة في كتاب البارع ، ورسالة التقويظ . ومن كتب القالي روى
كتاب البارع في اللغة وكتاب الابل ونتائجها ، وحلي الانسان والخيول وشياتها ،
ومقاتل الفرسان ، وتفسير القوائد والمعلقات . وقرأ أيضا المغفليات والاصمعيات
ومقصورة ابن دريد والاضداد لشطب (٥) .

٣١ - يوسف بن ورزم بن خيران السكوني البطلبيوسي (٦) (- ٤٢٤ / ١٠٣٣) : تتلمذ

(١) الصلة : ١٥٣ وجذوة المقتبس : ١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٨٤ .

(٤) جذوة المقتبس : ٢٧٤ ، الذخيرة ٢ / ١ : ١٢ - ١٢ ، الصلة : ٤٢٦ ،

فوات الوفيات ١ : ٤٢٥ .

(٥) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير .

(٦) الصلة : ٦٣٩ .

على الزبيدي وابن أبي الحباب وابن القزاز في قرطبة وكان عالما بالعربية ، ولما توفي كان قد قارب الثمانين .

وهناك تلامذة لم تذكر المصادر سنوات وفاتهم ومنهم :

٣٢ - محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي (١) : صحب ابا علي القالي وأخذ عنه واكثر الملازمة له ، وورق له تصانيفه .

٣٣ - عبد الله بن حمود الزبيدي (٢) صحب القالي وكان شديد الملازمة له ، ثم هاجر الى المشرق وصحب ابا علي الفارسي . ومن خبره مع ابي علي أن ابا علي غلب يوما الى الصلاة في المسجد فقام اليه عبد الله بن حمود هذا من مذود - ~~يكنى~~ وكان لدابة ابي علي خارج داره - وكان عبد الله قد بات فيه ليديج اليه قبل الطلبة ، طلبا للسبق والأخذ من علمه ، فارتاع ابو علي وقال له : ويحك ممن تكون ؟ قال انا عبد الله الاندلسي ، فقال : الى كم تتبعني ، والله ان على وجه الارض احسن منك . ولم يرجع الزبيدي هذا الى وطنه ومات مغتربا . ويقال انه توفي ببغداد سنة ٣٧٢ / ٩٨٢ .

٣٤ - يوسف بن فضالة الأديب ابو الحجاج (٣) ، من أشهر أصحاب أبي علي والآخذين عنه ، درس عليه كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت (٤) وفعلت وأفعلت

(١) انباء الرواة ٣ : ٦٣ .

(٢) التكملة : ٧٨٣ ، انباء الرواة ٢ : ١١٨ ، الذيل والتكملة ٤ : ٢٢٠ ، بغية الوعاة : ٢٨٢ .

(٣) الصلة : ٦٣٩ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ .

للقالي (١) وأفعل من كذا له (٢) وكتب الأخبار التي جلبها (٣).

وبلاحظ ان اكثر هؤلاء الذين ذكرتهم ينتمون الى قرطبة فهي مركز النشاط العلمي في ذلك العصر . وقد أغفلت ذكر فئتين في هذه القائمة :

١ - فئة من اللغويين الذين امتد بهم طلق العصر ، وكانت لهم جهود واضحة تجاوزت مطلع القرن التالي ، مثل ابن التياني وابن الافليلي وغيرهما من تلامذة هؤلاء العلماء الاعلام .

٢ - فئة من اللغويين عاصرت هؤلاء الذين ذكرتهم ولكن أثرهم كان ضعيفا في تخريج الطلبة او في الاتصال بهذه الحركة العلمية نفسها التي تزعمها القالي والزبيدي وابن القوطية .

(١) فهرسة ابن خير : ٣٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٨ - ٣٩٩ .

الكتاب الثالث

الحركة اللغوية بالاندلس

في القرن الخامس الهجري

الفصل الرابع

العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية

في القرن الخامس

١ - صورة موجزة للأحوال السياسية في هذا العصر :

قد أشرت في فصل سابق الى ما بلغتة الدولة الاموية العامرية من مجد سياسي وعمران داخلي ، ولكن هذا كله بدأ بالانتقاض بعد وفاة المنصور اذ تولّى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة (٣٩٢ - ٣٩٦ / ١٠٠٢ - ١٠٠٦) وسارت الأحوال بقوة الاستقرار سيرا مقبولا . غير ان ولد المظفر المسمى عبد الرحمن شنجول لم يقنع بأن تكون كل السلطة في يده ، بينما الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر لا حول له ولا قوة ، بل فرض على المؤيد ان يكتب عهدا بالتنازل له عن الخلافة (١) . ولم يكن الأمويون ليرضوا بهذا الذي حدث . فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار بقرطبة ، وتلقب بالمهدي ، واشاع ان هشاما المؤيد قد مات واتخذ له جندا من العامة وأطراف الناس ، وقرهم وآثرهم على العبيد العامرية وعلى الطوائف البربرية (٢) . عندئذ انشق الامويون على انفسهم وثار فوق آخر على المهدي بقيادة سليمان الذي تلقب بالمستعين . وكان اكثر الذين التفوا حول سليمان هم البربر متحالفين مع شانجة بن غرسية الذي أمدّهم بجيش عظيم من النصاري فحاصر الجيشان المتحالفان قرطبة ، وكانت مناوشات ومعارك انتصر فيها سليمان المستعين بعد ان خرب هو وجيوشه قرطبة ، وفرّ ابن عبد الجبار ثم عاد بجيش جديد يحاول

(١) راجع هذا العهد في البيان المغرب ١ : ٤٣ - ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٥١ .

استعادة المدينة . ذلك هو ما يسمى في التاريخ باسم الفتنة البربرية (٣٩٩ - ٤٠٢ / ١٠٠٩ - ١٠١٢) . وظل الأمر في قرطبة لسليمان حتى أخذها منه بنو حمود سنة ٤٠٦ . كل هذا كان يحدث حول قرطبة بينما كان أمراء العامين يهربون منها ويحتل كل منهم بلدا ويعلن استقلاله فيها . فاستولى مجاهد العامري على دانية والجزائر ، واستولى مبارك ومظفر العامين على مدينتي بلنسية وشاطبة ، واستولى خيران الصقلي العامري على مدينة المرية ، وكون زهير الفتى العامري دولة امتدت الى شاطبة وبياسة وما وراءها من أعمال طليطلة (١) .

وظهر جليا بعد اخفاق المحاولات المتكررة لارجاع الخلافة الأموية ان الفتنة البربرية قد قضت على وحدة الاندلس كما قضت على عمران قرطبة (٢) . وانتري

(١) راجع اعمال الاعلام .

(٢) اتصلت لمصلحة العمارة بقرطبة في ايام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً ، وفي عرضها فرسخين (٢٤ ميلا X ٦) كل ذلك ديار وقصور وساتين ومساجد وقيساريات وخانات وأسواق وحمامات بطول ضفة الوادي المسمى بالوادي الكبير . وكان لقرطبة واحد وعشرون رباطاً . وبلغ عدد دورها في أيام المنصور ١١٣٠٢٢ داراً ، ومن المساجد ١٣٨٢٠ مسجداً ومن الحمامات ٣٩١١ حماماً ، ومن الفنادق والخانات ١٦٠٠ لسكنى التجار والمسافرين والعزّاب والغرباء وغيرهم ، ومن الحوانيت ٨٠٤٥٢ حانوتا . فخرّب اكثر ذلك العمران في الفتنة . (راجع ذكر بلاد الاندلس الورقة ٢٤ - ٢٨ ، مخطوطة الرهاط رقم ٨٥ ج لمؤلف مجهول) . ويقول الهكري : " عقب الفتنة التي كانت على رأس اربعائة من الهجرة واستمرت الى وقتنا هذا وهو سنة ستين واربعائة من الهجرة عفت آثار هذه القرى وغيّرت رسوم ذلك العمران ، فصار اكثرها خلاء يندب ساكنيه ، وبابا يغص بمصريه وكذلك حكم الله في كل جديد ان يبلّيه ، وفي كل أهل ان يخليه " (المسالك والمعالك ، مخطوطة الرهاط ٤٨٨ ق . الورقة ٢٢٠) . وانظر حديث ابن حبان في الذخيرة عا أصاب قرطبة في هذه الفتنة ، فقد كان شاهد عيان لما يجري يومئذ (١١١ : ٢ / ١ - ١١٣) .

في كل منطقة رجل قوى اعلن استقلاله ، وهذا هو ما يسمى في تاريخ الاندلس بعصر ملوك الطوائف . ففي قرطبة بنو جهور ،^(١) وفي اشبيلية بنو عباد^(٢) ، وفي بطليوس بنو الافطس^(٣) ، وفي طليطلة بنو ذى النون^(٤) ، وفي سرقطة بنو هود^(٥) .

(١) مؤسس هذه الدولة هو الوزير ابو الحزم بن جهور . وقد تولى الأمر بعد فرار هشام بن محمد ، الملقب بالمعتد بالله ، سنة ١٠٢٢ / ١٠٣١ . وكانت حكمته تبسط سلطانها على جيان وابدة وبياسة والمدور وأرجونة واندوجسر . وعرفت حكومة ابن جهور في صف التاريخ الاسلامي " بحكومة الجماعة " . وتوفي ابن جهور ١٠٤٤ / ٤٣٥ ، وسقطت المدينة بأيدي بني عباد عام ١٠٧٠ / ٤٦٢ . (دول الطوائف ، عنان : ٢٠ - ٣٠) .

(٢) مؤسس هذه الدولة قاضي اشبيلية ابو القاسم بن عباد عام ٤١٤ / ١٠٢٣ . ثم تولى الأمر من بعده ابنه عباد بن محمد المعتض بالله ، سنة ٤٣٣ / ١٠٤٢ ، فاستولى على لبلة وامارة ولبة وجزيرة شلطيـش وامارة شنتـمـرية وباجنة واركش وسورور وزندة وقرمونة . ومات المعتض سنة ٤٦١ / ١٠٦٩ ، فتولى الأمر من بعده ابنه المعتد الذي استولى على قرطبة سنة ٤٦٣ / ١٠٧١ . وفي عهده سقطت الدولة العبادية على يد يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٤ / ١٠٩١ . (دول الطوائف : ٣١ - ٧٩) .

(٣) حكم بنو الافطس بطليوس نيفا وسبعين عاما ، وكان اول الملوك عهد الله بن محمد الملقب بالمنصور الذي استولى على الامر سنة ٤١٣ / ١٠٢٢ ، وآخرهم عمر بن محمد المتوكل ، وفي عهده سقطت بطليوس بأيدي المرابطين سنة ٤٨٨ / ١٠٩٤ . (دول الطوائف : ٨٠ - ٩٢) .

(٤) مؤسس هذه الدولة اسماعيل بن ذى النون الظاهر (٤٢٧ - ٤٣٥ / ١٠٣٦ - ١٠٤٣) ، وقد سقطت الدولة على يد الفونسو السادس سنة ٤٧٨ / ١٠٧٥ ، وذلك في عهد يحيى بن اسماعيل بن يحيى القادر . (دول الطوائف : ٩٣ - ١١٦) .

(٥) مؤسس هذه الدولة المنذر بن يحيى التجيبي ٤٠٨ - ٤١٤ / ١٠١٧ - ١٠٢٣ . وقد احتلها المرابطون سنة ٥٠٣ / ١١١٠ في عهد عبد الملك بن احمد عباد الدولة . (دول الطوائف : ٢٥٤ - ٢٨٥) .

وفي غرناطة بنو زيرى الصنهاجيون ^(١)، وفي اركش بنو خزون ^(٢)، وفي البونت بنو قاسم ^(٣)، وفي شلطيش وولبة البكريون ^(٤). ويطول الامر لو أردت تعداد كل تلك الدول، وانما ذكرت هنا أشهرها . وتعايز هذه الدول فيما بينها قوة وضعفا، وضيقا واتساعا، ولكنها تشترك معا في مظاهر محددة . فكل دولة تتفق على جيش تعدد لمواجهة الخطر من الدولة المجاورة، وبذلك تثقل الرهبة بما تفرضه من ضرائب، وكل دولة تدفع الضريبة السنوية لألفونس السادس (الافونش) لأنه اقوى من كل دولة منها على حدة وهي من جسرء التنافس فيما بينها لا تفكر في مواجهته مجتمعة . ولذلك نستطيع ان نتهين في هذا العصر ثلاث مراحل، المرحلة الاولى : مرحلة المحاولات المتكررة لانقاذ الإندلس باعادة الخلافة الاموية . وقد انتهت هذه المرحلة حوالي ٤٢١ / ١٠٣٠ . المرحلة الثانية : مرحلة البناء الداخلي في كل دولة على حدة، وبخاصة الدول الكبيرة مثل دولة بني عباد وبني الافطس وبني هود وبني جهور الخ .

(١) مؤسس هذه الدولة زاوى بن زيرى (٤٠٣ - ٤١٠ / ١٠١٣ - ١٠١٩) . واستولى عليها المرابطون سنة ٤٨٣ / ١٠٩٠ في عهد عبد الله بن بلقين . (دول الطوائف : ١١٨ - ١٤٤) .

(٢) مؤسس هذه الدولة محمد بن خزون عماد الدولة (٤٠٢ - ٤٢٠ / ١٠١١ - ١٠٢٩)، وقد استولى بنو عماد عليها سنة ٤٦١ / ١٠٦٨ في عهد محمد ابن محمد بن خزون القائم . (دول الطوائف : ١٥٠ - ١٥٣) .

(٣) مؤسس هذه الدولة عبد الله بن قاسم (٤٠٠ - ٤٣١ / ١٠٠٩ - ١٠٣٩) . وقد استولى عليها المرابطون سنة ٤٩٥ / ١١٠٢ في عهد عبد الله بن محمد جناح الدولة . (دول الطوائف : ٢٤٩ - ٢٥١) .

(٤) مؤسس هذه الدولة عبد العزيز البكرى عز الدولة (٤١٧ - ٤٣٣ / ١٠٢٦ - ١٠٤١) وقد استولى عليها المعتضد بن عباد . (دول الطوائف : ٤٠ - ٤١) .

وقد انتهت هذه المرحلة عندما سقطت طليطلة مركز بني ذي النون في يد الازفونش عام ١٠٨٥ / ٤٧٨ . المرحلة الثالثة : مرحلة الخطر وانتفاض الامر في الاندلس . فان سقوط طليطلة كان يعني ان الازفونش لن تقف به اطماعه عند هذا الحد ، لأن طليطلة هي مفتاح الاندلس من الشمال . وجبر سقوطها الى استدعاء الصحراويين (او المرابطين او الملمين) بقيادة يوسف بن تاشفين فكانت معركة الزلاقة (٤٧٩) / ١٠٨٦) كاجحة لاطماع الشماليين . ولكن ما لبث يوسف نفسه ان طمع فسي الاستيلاء على الاندلس لرغبة الرعية فيه ، وخاصة الفقهاء ، ولما رآه من شقاق وتنازع بين أمراء الطوائف ، فاستولى على تلك الدول واحدة واحدة ، ما عدا ناحيتين : دولة بني هود ، فقد أبقاها حدا فاصلا بينه وبين قوى الشمال ، وبلنسية التي استولى عليها السيد الكبيطور (٤٨٥ / ١٠٩٢) وامتدت دولته فيها حتى سنة ١١٠٢ / ٤٩٥ . (١)

تلك صورة موجزة اشدّ الاجاز لأنه ليس من هي ان ادرس الناحية السياسية الا بمقدار ما تلقي ضوءا على طبيعة الحياة اللغوية . واذا عدت الى تصور العلاقة بين هذه الأوضاع والنشاط العلمي عامة خرجت بالنتائج الآتية :

١- قضت الفتنة البربرية على كثير من العلماء بالموت او بالهجرة من الاندلس الى خارجها ، او بمغادرة قرطبة الى مدن أندلسية اكثر اطمئنانا (٢).

٢- اصبحت حياة العالم او الاديب في هذا العصر ، من ناحيتها المعاشية ،

(١) راجع : أعمال الاعمال ، تحقيق بروفنسال : ٢٤١ - ٢٤٨ ، وراجع أيضا الاستقصا ٢ : ٣٠ - ٦٠ .

(٢) راجع أثر الفتنة البربرية في الحياة الأدبية في كتاب تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٧٣ - ١٨٩ .

قائمة في الاكثر على التجوال المستمر والاحتفاء ببلاطات الأمراء .

٣- لم تمتد فترة الاستقرار في هذا العصر طويلا بحيث تسمح للفرد أن يشمر بالأمن وان يصدر انتاجه في ظله . ولذلك نستطيع ان نصف العلماء الاندلسيين انصافا حقيقيا اذا تصوّرنا أنهم أقبلوا على هذا القدر من التأليف في وقت تعمّ الفوضى ويشتد فيه اليأس من العمل الايجابي .

٤- كانت الصبغة الأدبية أغلب على هذا العصر من سواها ، لحاجة كل أمير الى بطانة من الشعراء تشيد بمناقبه وتتحل له مناقب أخرى ليست فيه . ومهما يقل عن التنافس بين أمراء الطوائف في تشجيع العلوم فانه ليس من الخطأ القول بان ما أثاره تشجيع الحكم وحده للكتب التي ألقت في مختلف الموضوعات يفوق ما أثاره أمراء الطوائف مجتمعين (١).

٢ - العوامل الجديدة التي أثرت في الحركة اللغوية :

على أي حال كان لهذا العصر خصائصه الفارقة من الناحية السياسية التي بعثت بدورها فروقا في الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية . ومن ثم وجدت عوامل محلية أثّرت في توجيه الحركة اللغوية في هذا العصر وجهتها التي سارت فيها ، بالإضافة الى ما كان هنالك من عوامل تقليدية من رحلة الى الشرق ، وهجرة للمشاركة والكتب المشرقية الى الاندلس ، وحلقات للتدريس والمناظرة ، وتشجيع على التأليف .

أ - وأول هذه العوامل الجديدة ذلك الخصب اللغوي الذي أوجده القالي وتلامذته . وكان لا بد ان يؤتي ثمراته على حسب قانون التطور الطبيعي في هذا

(١) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين : ٧٧ .

العصر الذى اتحدث عنه . فما كما لنرى رسوخ الدقة اللغوية ، والاتجاه الى شرح الامهات من كتب اللغة ، واعتماد الأصول ، واتساع مجال الثقافة اللغوية ، لولا تلك الحركة التي أثارها القالي بشخصيته ، وتعليمه ، والكتب التي هاجر بها ، والتلامذة الذين تخرجوا على يديه . ولكن هذا العامل تشكل أثره أيضا بقوة العوامل الأخرى .

ب - وثاني تلك العوامل تعدد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي ، بحيث أصبحت كل عاصمة دولة من دول الطوائف مركزا من مراكز الأدب والعلم . وقد كنا نشير في العصر السابق أكثر ما نشير الى قرطبة التي كانت كالقطب المغناطيسي في اجتذابها للعلماء من مدن الاندلس وغير الاندلس ، اما في هذا العصر فلعل قرطبة لم تكن كبرى المراكز العلمية بل أصبح ينافسها كثير من المدن . واتصل هذا العامل بطبيعة امراء الطوائف انفسهم ، فقد كان الأمير هو الراعي الأول للحركة الثقافية ، وكان لون هذه الحركة يسير حسب ميول ذلك الأمير . فكان الميل الأدبي اغلب على بلاط اشبيلية وكان الميل العلمي اغلب على بلاط بني زى النون بطليطلة . وبني هود بسرقسطة . وكانت المباحاة بجمع أكبر عدد من العلماء المشهورين في مختلف العلوم ، من فقه وحديث ولغة ، ميزة لبلاط العامريين في دانية . ومن الصعب ان نأخذ هذا القول مأخذا حاسما ان ليس معنى غلبة الميل الخاص انعدام ضروب النشاط الأخرى ، ولكني ما دمت اتحدث عن ناحية التشجيع الذي يبذله الأمير فلا بد أن ألمح صعوبة في استبانة موضع العالم اللغوى من هذا التشجيع نفسه . ويزيد الأمر صعوبة ذلك القلق السياسي الذى كانت تعيش فيه الجماعة الاندلسية وهو يؤثر بدوره على ^{الفرد} مصادره معيشتة . ولذلك لم يكن الشاعر وحده هو الذى يطلب رزقه بالتثقل بين بلاطات الأمراء ، بل وجد كذلك العالم اللغوى الذى يطلب رزقه

معلما او عضوا في حاشية الأمير بالتقل من بلد الى بلد . واحيانا تكون النقلة استدعاء من قبل الأمراء أنفسهم اعتمادا على شهرة ذلك العالم وتافسا بينهم فسي الاستئثار بالمشهورين من الأدباء والعلماء . ولنا في تقل البكرى وابن السيد وابن التياني وابن سيده وغيرهم أمثلة على التحرك المستمر في الالتحاق بأمر أو آخر . وما نزال نرى الأمراء ينهجون منهج الحكم المستنصر في اقتراح الموضوع الذي يؤلف فيه العالم اللغوى ووضع حدود لمنهج التأليف . فالأعلم يقول في مقدمة كتابه الذى شرح به ابيات كتاب سيويه : " هذا كتاب أمر بتخليصه وتهذيبه وتخليصه المعتضد بالله المنصور بفضل الله ، ابو عمرو عباد بن محمد بن عباد ، أطال الله بقاءه ، وأدام عزه وعاله ، عناية منه بالأدب وميلا اليه ، وتهمما بعلم لسان العرب وحرصا عليه ، أمر ، أدام الله عزه وأعز سلطانه ونصره ، باستخراج شواهد كتاب سيويه ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، رحمة الله عليه ، وتخليصها منه وجمعها في كتاب يخصها ويفصلها عنه ، مع تلخيص معانيها وتقريب مراميها . . . فانتهيت السى أمره العلي ، وسلكت فيه منهاج مذهبه الرفيع السني ، وأمليته على ما حد " (١) وقد نرى العالم يطرز كتابه باسم أمير تقربا اليه ، كما فعل ابو عبيد البكرى حين كتب " التبيه على اوهام أبي علي في أماليه " فانه أهداه للمعتد بن عباد . ويمثل تمام بن غالب التيماني أنموذجا ثالثا هو انموذج العالم الذى لا يستبج لنفسه تجاوز الحقيقة ، ولا يهمه ان يزين كتابه باسم عظيم من العظماء . فقد سأل ابو الجيش مجاهد العامري ان يكتب في صدر كتابه " انه مما الف لأبي الجيش ، وبعث اليه الف دينار اندلسية ، فرد الدينير ، وأبى من ذلك ، وقال : " والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب ، فاني لم أجمع له خاصة

(١) كتاب سيويه ١ : ٣ - ٥ .

ولكن لكل طالب عامة " (١). ولم تشتهر هذه الحكاية الدالة على النزاهة والتعفف وعلو الهمة الا لأن امثالها كانت قليلة، ولأنه كان من حسن حظ العالم ان يجد أميراً يرعاه فيزمن كتبه باسمه .

فتقل العلماء ظاهرة تفارق ما ألفناه في العصر السابق من استقرار العالم في بلد ، وارتحال الطلبة للأخذ عنه ، وغالبا ما يكون هذا البلد هو قرطبة . أما في هذا العصر فقد أصبح كثير من معلمي اللغة متقلين ، واستغنى الطالب ، الى حد ما ، عن الارتحال الدائب من أجل الطلب . وفي تضاعف هذا التقل نلمح شيئا من الاستقرار النسبي ، نستطيع من خلاله ان نقرن بكل بلد علماء اشتهروا فيه على وجه التقريب . فكانت قرطبة مركزا لحقتين كبيرتين من حلقات العلم اللغوي ، حلقة ابن الانبلي ، وحلقة ابن سراج . وانضاف اليهما ابن السيد الذي لم يكن لينادر قرطبة لولا خوفه على حياته من بعض وزرائها . فلما حل في بلنسية اصبحت له مقاما دائما وعاش فيها حتى ادرك العصر التالي . وفي اشبيلية جد اثان من كبار علماء اللغة هما ابو الحجاج الاعلم الشنتمري ، وابو عبيد البكري ، وهما أيضا مهاجرين الى اشبيلية وليسا من أهلها أصلا ، وقد اطمأن الثاني منهما الى المقام في اشبيلية في ظل المعتمد بن عباد وظل فيها الى ان توفي عام ٤٨٢ / ١٠٩٤ . وأما الاعلم فانه بعد ان طلب العلم في قرطبة سكن اشبيلية ، وظل فيها أيضا حتى توفي عام ٤٧٦ / ٨٨٣ . وكذلك استقر في اشبيلية ابن دحيم أستاذنا للغة والنحو (٢). ونستطيع ان نقرن ابن التهامي بمرسية ، الا انه استدعي الى المرسية ليدرس فيها بعض ابناء الوزراء (٣). وفي ظل بني

(١) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ ، جذوة المقتبس : ١٢٢ .

(٢) الصلصة : ٢١٩ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ .

صالح بالمرية أيضا ، عاش محمد بن معمر اللغوي المعروف بابن أخت غانم منتقلا اليها من مالقة . وهو شاح كتاب النبات لابي حنيفة في مجلدات عديدة (١). وفي ظل مجاهد الحامري وابنه اقبال الدولة قضى ابن سيده أكثر ايامه ، ووجد في دانية بيئة صالحة تمكنه من التفرغ للعلم والتأليف . فقد استطاع مجاهد بميلسه الى العلم والتجميع للعلماء ان يجمع حوله نخبة من العاملين في الميادين العلمية ، لا في ميدان اللغة نحسب . فقد قصد صاعد الاندلسي نفسه قبل ان يرتحل عن الاندلس الى صقلية (٢) ، وعاش في بلاطه ابن عبد البر النمرى احد كبار فقهاء المالكية في عصره (٣) . وقصد ملكه ابن حزم الاندلسي . وفي ميورقة ، وهي جزيرة تحت حكمه ، نشأت المناظرة بين ابن حزم وايي الوليد الباجي (٤) . أما من اللغويين عدا صاعد وابن سيده فقد قصد ثابت الجرجاني ، فأكرم وفادته الى مدينة دانية ، وفيها شرح ثابت كتاب الجمل للزجاجي . والى ثابت ارتحل ابو تمام النحوى من بلدة قطين بميورقة ، وسكن دانية ، ودرس عليه (٥) . وفي طليطلة استقر سعيد بن عيسى بن الاصغر يعلم اللغة وهو مؤلف شرح كتاب الجمل (٦) . كما كان أبو الوليد الوقشي يدرس فيها اللغة الى جانب تدريسه للهندسة والعدد وعلوم الأوائل . ومن معلمي اللغة الذين استقروا في طليطلة ابراهيم بن لسب بن ادريس التجيبي وأصله من قلعة أيوب ، سكن طليطلة وأدب بالعربية في سقفة الجامع بتلك المدينة مدة من الزمن ثم ذكر لأبي الوليد الوقشي أن ابراهيم حرم على تعلم الهندسة فقال له : خذ فيه ، فقرأ

(١) انظر ترجمة ابن أخت غانم في المغرب ١ : ٤٣٣ ، ونخبة الوعاة ، ١٠٦ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ١٨١ .

(٣) الصلوة ، ٦٤٢ .

(٤) التكملة : ٣٩١ ، وانظر نفح الطيب ٢ : ٢٨٢ .

(٥) الصلوة : ٤٤٩ .

(٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .

عليه كتاب اقليدس وأحكمه وتدج منه الى قراءة غيره حتى برع في هذا العلم وأخذ يقرئه للناس وتخلي عن تدريس العربية (١).

ج - الاهتمام بإنشاء المكتبات :

كان من أثر الفتنة البربرية ان بيع ما كان بمكتبة الحكم من كتب ومخطوطات بأوكس الأشمان (٢) فانتشرت تلك الكتب في مدن الاندلس المختلفة ، وزاد اقبال الناس على القراءة بعد ان كانت فائدة هذه الكتب مقصورة على قرطبة او على العلم والدارسين المقربين من الحكم . وقد حكى ابن سعيد انه رأى كتباً منها في طليطلة (٣) ، اي بعد ما يقرب من قرنين ونصف من خراب هذه المكتبة . وقضت الفتنة أيضا ببيع تلك المكتبة الكبيرة التي كانت تنافس مكتبة الحكم في ما احتوته من أصول اعني مكتبة القاضي عبد الرحمن بن فطيس . ودام اخراج الكتب وبيعها منها مدة عام كامل . وأخذ ورثة ابن فطيس ثمنها لما باعوه اربعين الف دينار تاسمية (٤) . واندفع كثير من المثقفين الى اقتناء الكتب وإنشاء مكتبات خاصة بهم في المدن الاندلسية . فكان من اصحاب المكتبات في قرطبة محمد بن يحيى الخافقي المعروف بابن الموصل (- ٤٣٣ / ١٠٤٢) . قال فيه ابن البار " كان جماعاً لدفاتر العلم من لدن صباه منتقياً لكرايمها بصيراً بخيارها عارفاً بخطوطها يحتكم اليه في ذلك ، مؤثراً لها على كل لذة ، حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالاندلس بعد الحكم الخليفة . وكان عنده اصلاح المنطق بخط ابي علي القاسي ،

(١) التكملة : ١٦٦ .

(٢) طبقات صاعد : ٦٢ .

(٣) مقالة ربييرا : ٩٦ (مجلد معهد المخطوطات المجلد الخامس ١٩٥٦)

(٤) الصلوة : ٢٩٩ .

والنوب المصنف اصل ابي علي ، ونوادير ابن الاعرابي بخط ابي موسى الحامض ، وتاريخ ابي جعفر الطبري بصلته الفرغاني بخط ابن ملسول الوشقي . بيع هذا كله في تركته وأغلي فيها حتى لقّومت الورقة في بعضها بربع مثقال^(١). ومن هؤلاء القرطبيين جعفر بن محمد بن مكّي القيسي اللخوي تلميذ ابي مروان عبد الملك بن سراج ، فقد جمع عددا كبيرا من الكتب^(٢). كذلك أسس الامير هشام حفيد عبد الرحمن الثالث مكتبة عظيمة اشتراها الخليفة سليمان المستعين من بعده^(٣). واهتم مسلمة بن سعيد الانصاري بجمع الكتب في رحلته ، وكان كلما اجتمع له منها مقدار صالح نهض به الى مصر ، فأدخل الاندلس ثمانية عشر حملا من الكتب في كل فن من فنون العلم^(٤). وهناك أمثلة أخرى كثيرة عن القرطبيين الذين كونوا مكتهات خاصة ذكر منها وببيرا أمثلة في مقالاته ، وأشار الى كثرة عدد النساخ ، وصيرورة الورقة حرفة معتمدة .

اما في اشيلية فلعل اكبر اثنين من جماعي الكتب هما : الفقيه ابن حزم ، والعالم ابو عبيد البكري ، وسأحدث عند الكلام على ابي عبيد عن مدى اهتمامه بالكتب وحرصه عليها .

ولم تكن مدينة المروية تقل عن قرطبة في الاهتمام بجمع الكتب وأشهر من نال صيتا في هذه الناحية وزير الفتى زهير العامري أعني أبا احمد جعفر بن عباس ، فقد عرف هذا الرجل بأنه بذّ اهل زمانه في اربعة اشياء : المال والعجب والبخل والمهارة في الكتابة . وزعموا انه لم يجتمع عند أحد من نظرائه

(١) التكلية : ٣٨٧ .

(٢) الصلوة : ١٢٩ .

(٣) مقالة ربيبنا : ٧٦ .

(٤) المصدر نفسه

من المال والكتب والآنية والاثاث ما اجتمع عنده (١). وقد اجتمع في مكتبته ما يربو على اربعمائة الف مجلد عدا الاوراق والكراسات التي ملأت قصره (٢). وقال لسان الدين : كان جامعاً للدواوين العلمية معقياً بها مغالياً لها نفاعاً بها من خصه لا يستخرج منها شيئاً لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد أثر كثيراً من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك (٣).

وفي بطليموس عرف المظفر بن الافطس صاحبها باقتناء مكتبة عظيمة ، اعتمد عليها هذا الامير في تأليف كتابه " المظفر " في خمسين مجلداً ، تناول فيها الأدب والتاريخ (٤).

وليس حظ ظليظة بأقل من حظ غيرها في العناية بالكتب فقد كان اصحابها بنو ذى النون من الحريصين على جمعها يقول ربيبها : " دفعهم حبهم للكتب الى الاستيلاء عنوة على مكاتب خاصة فنهبوا مكتبة العروشي حيث أتيح للناس ان يشهدوا أسراً عجيباً عندما شبت النار في حي الفرائين ولم يهتم احد بأن ينقذ منها سوى حجرات ابن ميمون ، جماع الكتب ، حيث كان يحفظ مكتبته التي اشتهرت باحتوائها على الكتب الصحيحة " (٥). وهذه أمثلة فحسب ، ومن تتبع الأخبار عن جمع الكتب في مدن أندلسية أخرى وجدها متناثرة في كتب التراجم .

وكلما كبرت هذه الصورة عن انشاء المكتبات الخاصة زادت في تصورنا للجو الثقافي في المدن الاندلسية ، اذ ان الاندلس لم تعرف المكتبات العامة الا

(١) انظر ، الذخيرة ٢/١ : ١٥١ وما بعدها .

(٢) مقالة ربيبها : ٨٠ .

(٣) الاحاطة ١ : ١٢٩ .

(٤) انظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٦ ، ويقول ابن سعيد في المغرب ١ : ٣٦٤ : " انه كان في نحو مائة مجلد " .

(٥) مقالة ربيبها ٤ : ٨٢ .

مجموعات يسيرة من الكتب التي كانت توقف على المساجد ليفيد منها الطلبة فسي دراستهم^(١). وفي هذا الجو الثقافي كان للغة والكتب اللغوية مقامها الذي لا ينكروا خاصة لاهتمام الاندلسيين باللغة وعلومها اهتماما يفوق ما كانوا يولونه من عناية لغير ذلك من العلوم^(٢).

د - التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملوك الطوائف بالنسبة لدراسة العلوم القديمة . وقد يكون من المستغرب ان نجعل هذا العامل واحدا من العوامل الفعالة في الحركة اللغوية . ولكن الاستقرار يدلفنا على أنه أثر بطريقة غير مباشرة في الحركة اللغوية عندئذ . ونستطيع ان نتصور هذا التسامح من قول القاضي صاعد عند حديثه عن خراب مكتبة الحكم : " وانتشرت تلك الكتب بأقطار الاندلس . ووجد في خلالها أعلاق من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدي الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر ، وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرعية شيئا منها ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم شيئا فشيئا " ^(٣). كما نستطيع ان نلمحها من أسماء تلك الاعلام التي عملت في الحقل الفلسفي والعلمي في هذا العصر . وآية هذا الذي اعتقده من أثر لانتشار هذه العلوم في الحركة اللغوية أن أبرز العاملين في حقل اللغة في هذا العصر كانوا من المشتغلين بالفلسفة والمنطق . فقد كان ابن سيدة ، اكبر عقلية اندلسية عملت في فن المعاجم ، ممن عني بعلوم المنطق عناية طويلة . قال القاضي صاعد : " وألف فيها تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه الى مذهب متى بن يونس ، وهو بعد هذا أعلم

(١) مقالة وبييرا : ٧٧ .

(٢) انظر هذه الرسالة ، المقدمة :

(٣) طبقات الامم : ٦٧ .

أهل الاندلس قاطبة بالنحو واللغة والاشعار ، وأحفظهم لذلك حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات فيها ، كغريب المصنف ، واصلاح المنطق السخ .٠٠" (١) . ويتحدث ابن سيده في معرض الفخر بما يحسنه من العلوم فيقول : " وذلك اني اجد علم اللغة اقل بضائعي وايسر صنائعي اذا اضفته الى ما انا به من علم حقيق النحو وحوشي العروض وخفي القافية وتصوير الاشكال المنطقية والنظر في سائر العلوم الجدلية التي يمنعني من الاخبار بها نبو طباع أهل الوقت ، وما هم عليه من رداءة الاوضاع والمقت " (٢) . وكان ابن السَّيِّد ذا ثقافة فلسفية الى جانب ثقافته اللغوية النحوية . وقد أَلَفَ في هذا الباب كتابه " الحقائق في المطالب العالية الفلسفية " (٣) . وذكرت له المصادر أيضا كتاب " شرح الخمسة مقالات الفلسفية " (٤) . ولما تناول أدب الكتاب لابن قتيبة بالشح لم يستطع ان يتصور كيف ان عالما لغويا يعيب على الاديب في عصره دراسة الفلسفة والمنطق فقال : " وقد روى ان الذي دعاه الى الطعن عليهم في كتابه هذا انه كان متبهما بالميل الى مذاهبهم واعتقادهم ، فاراد ، رحمه الله ، ان ينفي الظنة عن نفسه بثلبهم والطعن عليهم " (٥) . وكان ابو الوليد القشيري الطليطلي " من المتفنيين في العلوم المتوسمين في ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقّق بصناعة الهندسة والمنطق " (٦) . وكانت لسعيد بن الاصفر أحد علماء اللغة مشاركة في المنطق (٧) . اما ابن حزم فانه وان لم تصلنا تصنيفاته الوافرة

(١) طبقات الامم : ٧٧ .

(٢) المحكم ١ : ١٦ .

(٣) طبع بمصر عام ١٩٤٦ .

(٤) انظر بروكلمان (ط ليون) ، الملحق ١ : ٧٥٨ ، والمخطوط موجود في فهرست بريل ٤٦٤ .

(٥) الاقتضاب : ١٨ .

(٦) طبقات الامم : ٧٤ .

(٧) الصلة : ٢١٨ .

التي أشار إليها صاعد في " علم النحو واللغة " فإن ما تناثر في كتبه من آراء نافذة في اللغة يجعله ، فيما أرى ، من علمائها المقدمين . وقد كان ابن حزم من اشد الناس اهتماما بالمنطق في عصره ، متحملا في ذلك اتهام الفقهاء له بقراءة كتب تؤدي الى الالحاد . وقد ألف في المنطق كتابه " التقريب لحد المنطق والمدخل اليه " واراد ان يبسطه لغة وأمثالا كي يقربه من الدارسين ، وبذلك يضع في أيديهم ميزانا صحيحا للفهم والبرهان . ولا ننس أبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني فانه كان عالما في اللغة مشغلا بعلم الاوائل وخاصة المنطق ، وكانت تجرى بينه وبين ابن حزم مناظرات في بعض الموضوعات الفلسفية وعليه أطلق ابن حزم صفة " الملحد " (٢) ولا تحدثنا المصادر بشيء عن ثقافة ابن الافليلي المنطقية الفلسفية ، ولكنها تقول ان ابن الافليلي لحقته تهمة في دينه مع آخرين من الأطباء . وسأبين عند الحديث عن هذا العالم اللغوي ان هذه التهمة في الدين ربما لم تكن شيئا سوى اتهامه بدراسة المنطق والفلسفة . كذلك لا تحدثنا المصادر بشيء عن تحصيل البكرى لثقافة فلسفية ، ولكنها ان وسعنا مدلول هذا المصطلح قليلا وجدنا البكرى عالما يدرس المصادر القديمة فيعتمد على بطليموس في المجسطي والجغرافيا ويستمد أخبارا من كتاب هروشيوش (اوروسيوس) (٣).

فنحن اننا نراه ظاهرة لافتة للنظر هي هذا الترابط بين الثقافة العلمية

(١) طبقات الامم : ٧٧ ، " ولأبي محمد بن حزم بعدها تصنيف وافر في علم النحو واللغة " .

(٢) الفصل ١ : ١٧ .

(٣) مقالة الدكتور مؤنس الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس ، العدد ٨٧ من صحيفة معهد الدراسات : ٣٢٩ ، ٣٣١ .

والفلسفية ، وبين الاتجاه اللغوي (١) . وليس من اليسير ان نتبين مدى التأثير المتبادل بين هذين الاتجاهين ، ولكن من المسلم به ان الدراسة المنطقية والعلمية قد منحت الاتجاه اللغوي دقة وشمولا وهيأت الجو للبحث النظري في اللغة . ولكن عوامل جديدة حالت أولا دون الامعان في هذا اللون من الدراسات ، وحالت أيضا دون التوفر على النظرية اللغوية . فلم يكن للاندلس في هذا المجال الا التعاطات جزئية . وقد أشار صاعد الى هذه العوامل مجتمعة تحت مفهوم القلق السياسي الذي كانت تتعرض له الاندلس فقال : " الى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها ، لكن (٢) اشتغال الخواطر بما دهم الثغور . . . قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالاندلس " (٣) . وكلام صاعد معناه تعرض ملوك الطوائف للاخطار الخارجية ثم انشغالهم عن تشجيع العلم والأدب بمحاولة رد العدوان داخليا كان او خارجيا ، ثم عدم اطمئنان العلماء واضطرابهم الى الجلاء المستمر ، وكل ذلك لا ينطبق على العلوم العقلية فحسب ، بل يصيب انواع الدراسات جميعها التي تردهر في ظل الاستقرار والأمن .

٣ - الظاهرة النظرية في حياة اللغة :

ولهذا اكتفى الاندلسيون بما يسد الحاجة العملية في دراسة اللغة ، ولم يلتفتوا كثيرا الى المحاكمات النظرية الا ما كان من بعض الآراء

(١) لم يكن هذا وفقا في الاندلس على المشتغلين بالعربية بل كان بعض العلماء اليهود كذلك ومنهم مروان بن جفاح بسرقة وكان من أهل العناية بصناعة المنطق مسع التوسع في علم لساني العرب واليهود (طبقات الامم : ٨١) واسحاق بن قسطنطين (١٠٥٦/٤٤٨) الذي خدم مجاهد العامري وابنه اقبال الدولة فكان بصيرا بالمنطق متقدما في علم اللغة العبرانية (المصدر نفسه) والعلة بين النحو والمنطق في المشرق أمر لا يحتاج الى برهان .

(٢) لعل الأصوب أن نقرأ " فان " .

(٣) طبقات الامم : ٦٢ .

التي عرض لها ابن حزم في سياق حديثه في الفواحي الشرعية والجدلية الدينية .
 وكان لمذهبه الظاهري وأصول المنطق أثرهما في كلّ ما جاء به من نظريات ، ذلك
 أن الظاهرية يعتمدون اعتمادا كبيرا على الدقة اللفظية في استخراج الاحكام كما ان
 اللغة لدى ابن حزم ذات منطق خاص لا بد من ادراكه تماما للوصول الى البرهان الصحيح .
 أ - البحث في أصل اللغة ،

واول المشكلات التي تعرض لها هي مشكلة كيفية ظهور اللغات : أعن توقيف
 ام عن الاصطلاح . وقد ذهب ابن حزم الى انها توقيف ، وأدلته على ذلك ان الكلام
 لو كان اصطلاحا لما جاز ان يصطلح عليه الا قوم قد كملت اذهانهم وتمت علومهم ،
 وليست هذه هي صفة الانسان في دوره الاول ان يحتاج الى سنوات طويلة حتى يبلغ
 هذا المستوى . ولو ان الناس اصطالحوا على لغة لمضى عليهم وقت قبل ان يصطلحوا
 عليها ، فكيف كانوا يتفاهمون اثناء ذلك الوقت ؟ ثم لو انهم شاءوا أن يصطلحوا
 على لغة ، لكان هذا مستديها لغة يتفاهمون بها على وضع ذلك الاصطلاح . ولكن اللغة
 الاولى كانت توقيفية في رأى ابن حزم ثم اصطلح الناس بعد ذلك على اصطلاح لغات
 شتى من هذه اللغة . فما هي تلك اللغة الاصلية ؟ قال قوم : هي السريانية ،
 وقال آخرون : هي اليونانية ، وقال فريق ثالث : هي العبرانية ، وقال آخرون :
 هي العربية . ويرجح ابن حزم ان تكون السريانية اصلا للعبرانية والعربية ولكنه
 لا يقطع ان تكون هي اللغة التوقيفية الاولى .

ومن هذه المشكلة تطرق ابن حزم الى السؤال ، اى اللغات افضل ؟ فقال :
 ان كل قوم ذهبوا الى تفضيل لغتهم وهذا لا معنى له لان الله قد كلم كل انسان
 بلغتهم ، فليس هناك تفاضل بين لغة وأخرى (١) .

(١) فيما يتعلق بأراء ابن حزم هذه انظر ، الاحكام ١ : ٢٩ - ٣٥ .

ب - مشكلة الاشتقاق :

وتصدى ابن حزم ايضاً لمشكلة الاشتقاق ، وانما دعاء الى التصدى الى هذه المشكلة انه رأى بعض اللغويين يتحدث عن اشتقاق اسماء الله تعالى مثل ابي جعفر النحاس الذى ألف كتابها في ذلك ، ووجد بعضهم يتمحل في تبيان دلالات اللفظ فيقول ان الجن مأخوذ من الاجتنان اى الستر ، ويقول الزجاجي : العشقة نبت يخضر ثم يصفر ثم يهيج ، ومنه سمي العاشق عاشقاً . وهذا الموقف أدى بابن حزم الى ان يقول : " ان الاشتقاق كله باطل ، حاشا اسماء الفاعلين من أفعالهم فقط واسماء الموصوفين المأخوذة من صفاتهم الجسمية والنفسانية ، وهذا ايضاً لا ندرى هل اخذت الاسماء من الصفات او اخذت الصفات من الاسماء ، الا اننا نوقن ان احدهما اخذ من صاحبه ، مثل ضارب من الضرب ، ومثل آكل من الاكل ، ومثل ابيض من البياض ، وغضبان من الغضب ، وما اشبه ذلك . واما سائر الاسماء الواقعة على الاجناس والانواع كلها ، فلا اشتقاق لها أصلاً ، وليس بعضها قبل بعض بل كلها معاً . وقد كنت أجرى في هذا مع شيخنا ابي عبدة حسان بن مالك ، رحمه الله ، وكان اذكر من لقينا للغة ، مع شدة عنايته بها وثقته وتحريمه في نقلها ، فكان يقول لي : قد قال بهذا الذى تذهب اليه كبير من اهل اللغة قديم ، وسماه لي ، وشككت الآن في اسمه لبعد العهد ، واظن انه نطويعه " (١) .

ج - بطلان العلل النحوية :

ولعل أجراً الآراء التي جاء بها ابن حزم بابطال العلل النحوية . فقد قال في كتاب " التقريب " : " واما علم النحو فالى مقدمات محفوظة عن العرب الذين

(١) الاحكام ٤ : ١٣ ، ٨ : ٩٣ .

تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم ، واما العلل فيه ففسادة جدا" (١). فقلوبه
بفساد العلل لمحة تقضي على اكثر أجزاء النحو ، ولكنه لم يفسر كيف يمكن ان يكون
هناك نحو دون تلك العلل . وما كان ابن حزم في هذا الا متأثرا بموقفه الظاهري
من أهل القياس وابطاله لأحكام العلية جميعها في الشرائع (٢). اما الحملة على
العلل النحوية والقياس فسوف تغدو موضوع ابن مضاء في كتابه " الرد على النحويين "
لكن ابن مضاء يمثل عصرا آخر غير هذا الذي اتحدث عنه (٣).

د - الحملة بين اللغة والشرعة :

واهتم ابن حزم ، خضوعا لمذهبه الظاهري ، بتحديد معاني الالفاظ ،
وخاصة الالفاظ التي تدور بين اهل النظر كالفاظ الحد والرسم والعلم والاعتقاد
والبرهان والدليل والاتساع والصدق والحق والقياس والعلية وما الى ذلك ، لأن هذه
الالفاظ تدور في المناظرة ، وعدم الوضوح في تحديدها يورط المتناظرين في اللجاج .
وخضوعا لمذهبه ايضا ، رأى ان الالفاظ انما تحمل على العموم ، وناقش
القائلين بان الالفاظ لا تحمل الا على الخصوص ، اى حملها على بعض ما يقتضيه
الاسم في اللغة دون بعض ، الا اذا قام الدليل على انها مخصوصة (٤). فاذا
قرأنا قوله تعالى " فكاتبوهم انا علمتم فيهم خيرا " (النور : ٣٣) وجدنا ان لفظة
الخير في اللغة تنسج على الصالح في الدين وعلى المال ، فلا يجوز ان نخص بهذا

(١) التقريب : ٢٠٢ .

(٢) الاحكام ٨ : ٧٦ وما بعدها .

(٣) الرد على النحويين ، نشره الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٧ .

(٤) قال : الواجب حمل كل لفظ على عموميه وكبل ما يقتضيه اسمه دون توقف ولا نظر
لكن ان جاءنا دليل يوجب أن نخرج عن عموميه بعض ما يقتضيه لفظه صرنا اليه
حينئذ . وهذا قول جميع أصحاب الظاهر وهذا نأخذ وهو الذي لا يجوز
غيره . (الاحكام ٣ : ١٧) .

النص بعض ما يقع عليه دون بعض الآخر ، فلما قال تعالى " فيهم " ولم يقل " معهم " ولا قال تعالى " عندهم " علمنا انه اراد اهل الدين فقط ، فلذلك قلنا انه لا يجوز مكاتبة كافر لانه لا خير فيه البتة (١) .

فاذا نظرنا الى الكلام من زاوية العموم والخصوص وجدناه اقساماً ثلاثة

(أ) خصوص يراد به الخصوص مثل زيد وعمر .

(ب) عموم يراد به العموم أى يحمل على كل ما يقتضيه لفظه كاسم الجنس مثل الخيل والبغال .

(ج) عموم دلّ نص القرآن والسنة على أنه قد استثنى منه شيء فكان ذلك المستثنى مخصوصاً من الحكم الوارد .

وزاد آخرون قسماً رابعاً وهو " خصوص يراد به العموم " وخطأهم ابن حزم وقال ان هذا غير موجود في اللغة (٢) .

وقد بين ابن حزم أيضاً وجوه نقل الأسماء عن مسمياتها التي وضعت لها أصلاً ، وقال ان ذلك يتم بأربعة أوجه :

١ - نقل الاسم عن بعض معناه الذي يقع عليه دون بعض وهذا هو العموم الذي استثنى منه شيء ما كتبه تعالى " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم " (آل عمران : ١٧٣) . فكلمة "الناس" الثانية تدل على بعض الناس .

٢ - نقل الاسم عما وضع له في اللغة بالكلية وتعليقه على شيء آخر كلفظ

(١) الاحكام ٣ : ١٥٩ .

(٢) انظر الاحكام ٣ : ١٢٧ - ١٣١ .

" الصلاة " فقد نقل من معنى الدعاء وحده الى حركات محدودة من قيام وركوع وسجود الخ . . . وكذلك هي ألفاظ " الزكاة " و " الكفر " ومن هذا الباب الاستعارة والمجاز في الشعر والكلام عامة .

٣ - نقل خبر عن شي' ما الى شي' آخر اكتفاء بفهم المخاطب كقوله تعالى " واسأل القرية " (يوسف : ٨٢) والمراد : أهل القرية .

٤ - نقل لفظ عن كونه حقاً موجباً لمعناه الى كونه باطلاً محرفاً وهو النسخ (١).

وقد تنبه ابن حزم الى ان التخليط في فهم هذه الوجوه هو أصل كل خطأ وقع في الشرائع وهو من أقوى اسباب الاختلاف بين الناس . ومعنى هذا أنه قرّر الأصول اللغوية التي أدت الى الخلاف في بناء الاحكام .

وتناول ابن السيد هذا الموضوع نفسه في رسالته : " الانصاف في التبيين على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم " (٢). ولكن ابن السيد لم يطلع فيما يبدو على ما كتبه ابن حزم ، اذ كان يتصور وهو يكتب رسالته أنه قد جاء بشي' " يشبه المخترع وان كان غير مخترع ، ينتمي الى الدين بأدنى سبب ويتعلق من اللسان العربي بأقوى سبب ويخبر من تأمل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقهية مفتقرة الى علم الأدب ، مؤسسة على أصول كلام العرب " (٣) وقد

(١) الاحكام ٣ : ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) ذكر اسم هذا الكتاب في صور مختلفة فهو التبيين على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين (كشف الظنون : ٤٨٨) والتبيين على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة (الصلة : ٢٨٢) والديهاج المذهب : ١٤١ وشذرات الذهب ٤ : ٦٥ وانباء الرواة ٢ : ١٤٢) والتبيين على السبب الموجب لاختلاف العلماء (أزهار الرياض : ٣ : ١٠٧) وسبب اختلاف الفقهاء (بغية الوعاة : ٢٨٨) .

(٣) الانصاف : ٨ .

جصر ابن السيد الأسباب الموجبة للخلاف في ثمانية أمور :

- (١) اشتراك الألفاظ والمعاني
- (٢) الحقيقة والمجاز
- (٣) الانفراد والتركيب
- (٤) الخصوص والعموم
- (٥) الرواية والنقل
- (٦) الاجتهاد فيما لا نص فيه
- (٧) الناسخ والمنسوخ
- (٨) الإباحة والتوسيع

وواضح أن أكثر هذه الأوجه يمكن ردها إلى ما ذكره ابن حزم من قبل ، وبعضها من قبيل التوسع في مدلولات التركيب ، أو في عملية الاستدلال نفسها ، أو في الخطأ المترتب على جهل بالأعراب ، أو على التصحيف وما أشبه ، ولنمثل على بعض هذه الوجوه لتوضيح الموقف اللغوي الذي يقفه المؤلف :

فمن أمثلة الخلاف العارض بسبب وقوع اللفظة على أكثر من معنى كلمة "القرء" وهي تعني الحيض كما تعني الطهر ، وكلمة "أعفوا" في قوله "وأعفوا اللحن" فهي تعني وفروا وكثروا كما تعني انقصوا وقصروا ، ولتعدد الدلالة فسي اللفظة الواحدة يكون الحكم المبني موضعاً للاختلاف بين الفقهاء . ومن أمثلة هذا في التركيب قول عليّ "أيها الناس ترمعونني قتل عثمان ! ألا وإن الله قتله وأنا معه" أراد أن الله قتله وسيقتلني معه ، وفهم قوم منها أنه شارك في قتله (١).

(١) الانصاف : ٢٤

ولست أريد أن أتبع أمثلة ابن السيد على كل وجه من الوجوه الشانية ،
وانما اكتفي بهذا القدر لأدلّ على هذا الباب من الاتجاه اللغويّ الذي فتحه ابن
حزم وارتبطت فيه اللغة بالتشريع ارتباطا وثيقا .

٤ - صلة اللغة بالواقع العملي :

فإذا تركنا هذه المناقشات النظرية في طبيعة اللغة والاشتقاق وما
الى ذلك ، وجدنا مشكلات عميقة جديدة تواجه وضع معلم اللغة في ميدان التعليم ،
ووضع اللغة بين العلوم من ناحية ، وصلتها بالحياة العملية من ناحية أخرى .

أ - أما من حيث وضع معلم اللغة في ميدان التعليم فانا اذا تأملنا ما كان
يتم في العصر السابق ، وجدنا ان معلم العربية ، مثل القالي وغيره ، كان يدرس
الشعر والأدب ، ويعلق عليهما الى جانب تدريسه للغة والغريب . ولم يكن استمرار هذا
الحال طبيعيا ، فان معلم اللغة قد يحسن الاطلاع بتفسير المعاني القويمة ولكنه ربما
لم يحسن عمليّة النقد او الكشف عن النواحي البلاغية في النص الذي يدرسه . وهنا
نشأت مشكلة جديدة ، هي : هل يحسن معلمو العربية تعليم البيان ؟ وتفرع عن هذه
المشكلة مسألة أخرى ، هي : هل البيان شيء يمكن تعليمه ؟ وحمل لواء هذه المشكلة
من الناحية الادبية ابن شهيد ، فهاجم جماعة النحويين ومعلمي اللغة هجوما عنيفا
فقال : " وقوم من المعلمين بقرطبتا ممن اتى على أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات
من اللغة ، يحنون على اكباد غليظة وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن
حمّة ، وانهان صدئة لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في انوار البيان ،
سقطت اليهم كتب في البديع والنقد ، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص
على الايقاع ، والزمر على الالحان ... " (١) . وقد تكون هذه الظاهرة في اول

امرها وليدة الخصومة الشخصية بين ابن شهيد وابن الافليبي وغيره من معلمي اللغة ، ولكنها ، على اى حال ، أثارَت التساؤل حول العلاقة بين تعليم اللغة والنقد الادبي . وكان من شأن هذه الحركة ان تحدد للنقد وجهة مستقلة أوجزها ابن شهيد بقوله " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو ، بل بالطبع مع وزنه من هذين " . غير ان ابن شهيد امعن في اعطاء المشكلة طابعا " ذاتيا " واكثر من التهمك بطريقة المعلمين عامة ، وابن الافليبي خاصة .

وقد زادت هذه المشكلة وضوحا من وجهتها العملية عندما عين ابن الافليبي ، شيخ معلمي اللغة ، كاتبا لدى محمد بن عبد الرحمن المستكفي " فوقع كالمه جانبيا من البلاغة لانه كان على طريقة المعلمين المتكلفين ، فلم يجر في اساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه " .

ب - وأما من حيث وضع اللغة بين العلوم فقد رأينا رأينا كيف ان العصر السابق عرف معنى التخصص الدقيق في ميدان اللغة . فلما حلّ القرن الخامس جدّت ظروف معاشية وغيرها استدعت اثاره هذا السؤال : ما هو القدر من اللغة الذى ينفع غير المتخصص ؟ وكان الباعث الأول على تحديد نطاق الدراسة اللغوية هو الاشفاق من ان تطفى على ما عداها من علوم ، وبخاصة العلوم الدينية . وكان ابن حزم من أول المباديين للاجابة على هذا السؤال . وبما أنه كان يعتقد أن العلوم جميعا ليست الا عناصر مساعدة في سبيل فهم الشريعة فاننا نراه يحدد القدر اللازم من اللغة والنحو لطلاب هذين العلمين بقوله : " واقل ما يجزى " من النحو كتاب الواضح للزبيدي ، او مكح نحوه كالموجز لابن السراج وما أشبه هذه الاوضاع الحقيقية . وأما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم فمن يزيد في هذا العلم الى احكام كتاب سيبويه فحسن ،

الا ان الاشتغال بغير هذا اولى وافضل لانه لا منفعة للتزهد على المقدار الذي ذكرنا .
 الا لمن أراد ان يجعله معاشا ، فهذا وجه فاضل لانه باب من العلم على كل
 حال . والذي يجزى من علم اللغة كتابان : أحدهما الغريب المصنف لأبي عبيد ،
 والثاني مختصر العين للزبيدي ، ليقف على المستعمل بها وليكون ما عدا المستعمل منهما
 عدة لحاجة ان غنت يوما ما في لفظ مستغلق فيما يقرأ من الكتب . فان اوغل
 في علوم اللغة ، حتى يحكم خلق الانسان لطابت ، والفرق له ، والمذكر والمؤنث
 لاهن الانبارى ، والمدود والمقصور والمهموز لابي علي القالي ، والنبات لابي حنيفة
 احمد بن داود الدينورى ، وما أشبه ذلك ، فحسن ، بخلاف ما قلنا في علل النحو ،
 لان اللغة كلها حقيقة وذات اوضاع صحاح ومبارات عن المعاني . ولو كانت اللغة اوسع
 حتى يكون لكل معنى في العالم اسم مختص ، لكان ابلغ للفهم وأجلى للشك وأقرب
 للبيان (١) .

وينحو من هذا تحدث ابن السيد عما يحتاجه أصناف الكتاب من ثقافة
 نحوية ولغوية فقال : " يحتاج كل واحد منهم الى أن يتبحر في علم اللسان حتى
 يعلم الاعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصور والمدود والمقطوع والموصول والمذكر والمؤنث
 ويكون له بصر بالهجاء فان الخطأ في الهجاء كالخطأ في الكلام وليس على واحد منهم
 أن يعمى في معرفة النحو امعان المعلمين الذين اتخذوا هذا الشأن صناعة وصيروه
 بضاعة ولا امعان الفقهاء الذين ارادوا بالاغراق فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله وكيف
 تستبطن الاحكام والحدود والعقائد بمقاييس كلام العرب ومجازاتها (٢) . وبيننا نجد
 ابن السيد يسمي عمل الفقهاء امعانا ، نجد ابن حزم يدعو الى القصد ، والى حد
 ادنى من المعرفة اللغوية .

(١) رسائل ابن حزم : ٦٤ - ٦٥ .

(٢) الاقتصاب : ٦٦ - ٦٧ .

ج - وأما من حيث صلة اللغة بالحياة العملية فإن الاشفاق من قلة التحصيل هو الذى نبه الى تفهم تلك العلاقة وقد كانت هناك شواهد واقعية من تشور الجهال على المعرنة وانتصابهم للقراء او التدريس وهم يجهلون ابسط الاصول التي لا بد منها لمثل من يعتنق مهنتهم . فقد روى لنا ابن حزم كيف ان احد القراء الثلاثة الذين كانوا يقرأون للعامة بقرطبة لم يكن يحسن النحو ، وكان ذات يوم يقرئ احدهم : " وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد " ولم يخطئ التلميذ في القراءة فرد عليه معلمه قائلا : " تحيد " بالتثوين ^(١) . وروى أيضا كيف ان خطيبا قال يوم الجمعة : " لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم " (التوبة : ١٢٨) ^(٢) ولذا ألح على ان الفقيه لا بد ان يتعلم اللغة والنحو لكي يتمكن من فهم القرآن والحديث والفقه عامة . فقال : " نفرض على الفقيه ان يكون عالما بلسان العرب ليفهم عن الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون عالما بالنحو الذى هو ترتيب العرب لكلامهم الذى نزل به القرآن ، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الالفاظ . فمن جهل اللغة وهي الالفاظ الواقعة على المسميات ، وجعل النحو ، الذى هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني ، فلم يعرف اللسان الذى به خاطبنا الله تعالى ونبيننا عليه السلام ، ومن لم يعرف ذلك اللسان ، لم يحل له الفتيا فيه ، لانه يفتي بما لا يدري " ^(٣) .

وما كان في امكان احد أن يكبح جماح تلك الموجة الطاغية من الخطأ والبعد باللغة عن صفائها وشدة التحرر فيها بالدعوة الى النقاء الدقيق الذى دعا اليه

-
- (١) الاحكام ٤ : ١٦٣ .
 (٢) المصدر نفسه ٤ : ١٦٤ .
 (٣) المصدر نفسه ٥ : ١٢٦ .

الزبيدي من قبل في " لحن العوام " ، فمع الزمن أخذت تنفش الأخطاء في الكتابة ، حتى عند المدققين الذين يتحرون وجه الصواب ، وما ذلك^١ لأن العامية الاندلسية كانت تراحم الفصحى مزاحمة شديدة ، من حيث هي لغة محكية ، وتضطر الكاتب أو الاديب الى أن يفتحل وضعا جديدا حين يكتب أو يؤلف ، وأن ينتقل من منزلة الى منزلة ، وحسبنا مثلا على ذلك أن نرجع الى تعقب الفقيه ابن العربي لأخطاء ابن السيد في شرحه على سقط الزند ، فنجده يقول : في بعض ردوده : " المعلم أن (الخافقان) جانبها الأرض من الهواء " فيتصدى ابن السيد له قائلا " رفعت الخافقين وهما منصوبان بأن " ثم صححت عليهما فكان تصحيحك على اللحن أشد من اللحن " (١) . ويقول في موضع آخر : " وهو قول مقدم الاعراض أو مجاز لا يعدم (انتقاض) " فيرد ابن السيد بقوله : " وهذا كلام أول ما ننتقد فيه فساد الاعراب بترك نصب الانتقاض ووجهه الانتصاب " (٢) . وقد تقول ان هذا كله نوع من التعسف بين عالمين يحمل أحدهما على الآخر ، ومن طلب وجه التخيوج وجده ، ولكن دلالة على هذه الظاهرة الخطيرة واضحة . ولو قد تتبعنا هذا النوع في مستعمل الكلام وضروب الترسل لوجدنا الجانب اللغوى فيه أبين من الجانب النحوى ، وإن كانت قدرتنا فيه على الحكم أصعب لبعدها نحن اليوم عن تلك السلامة اللغوية التي كان يتشبه بها علماء اللغة المحافظون على نقائهم .

وكان مما يزيد الموقف حدة منح اللغة العامية الاندلسية مكانة أدبية .
صحيح ان هذه اللغة كانت موجودة - بقدر أو بآخر من البعد عن الاصول العربية الصحيحة مختلطة ببعض الالفاظ الاعجمية - ولكنها انما كانت تمثل نشاطا شعبيا

(١) الانتصار : ٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٤١ .

لا يتعدى الشئون اليومية وبعض الاغاني الشعبية ، فيما أقدر ، أما في هذا القرن الخامس فانها اتخذت من الزجل نداء للشعر ، واعترف الاندلسيون بهذه الأجزاء واستمعوا اليها ولحنوها وأجازوا ناطقيا . في هذا القرن ظهر ابن نمارة وابن راشد وغيرهما ممن يسميهم ابن قزمان - وارث طريقتهم وامام الزجل في عصره - باسم "المتقدمين" ويشي من بينهم على ابن نمارة بقوله : " ولم أر أسلس طبعا وأخصب ريعا ومن حجوا اليه وطاقوا به سبعا أحق بالرياسة في ذلك والامارة من الشيخ أخطل بن نمارة فانه نهج الطريق وطرق فأحسن التطويق . . . " (١). أما ابن راشد فقد ذكره صفي الدين الحلبي وسماه " يخلف " وقال : " وكان هو امام الزجل قبل أبي بكر بن قزمان وكان ينظم الزجل القوي من الكلام فلما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق مال الناس اليه وصار هو الامام بعده ، ونظم ينكر عليه قوة النظم زجلا مطلقه :

زجلك يا ابن راشد قوى متين وان كان هو للقوة فالحمايين

يريد ان كان النظم بالقوة فالحمايين أولى به من أهل الأدب " (٢). اما تقدير الناس لهذه الاجال واعتناؤهم بها فقد أشار اليه ابن قزمان أيضا في مقدمته وهو يتحدث عما عرفه في نشأته أواخر هذا القرن فقال : " ولقد كنت أرى الناس يلتهجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يحلونهم في السماك اعزل ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجل " (٣) والعيب الكبير لقدامى الزجالين - في رأى ابن قزمان - هو تورطهم فسي " الاعراب " ، فكان الطريق باللغة أصبحت طريقين فاما اعراب تام واما بعد عنه الى أقصى حد .

(١) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر أيضا الزجل في الاندلس : ٥٣ .

(٢) المعامل الحالي : ١٦ .

(٣) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر الزجل في الاندلس : ٥٢ .

ولم تكن هذه المكانة الادبية التي بلغتها العامية قاصرة على المزجل وحده ، بل ارتفعت درجة أخرى حين تدخلت في صميم بناء الموشح . وقد حدثنا ابن بسام أن الوشاح " يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة " (١) ولا يعني " اللفظ " هنا استعمال لفظة واحدة بل استعمال قتل كامل أصبح يسمى " الخرجة " ، وهذا هو الذي جعل ابن سناء الملك يشترط حين تحدث - من بعد - عن أصول نظم الموشح : أن تكون الخرجة عامية حادة ظرفية (٢) ، وقد كان الاندلسيون يؤثرون البعد عن الموشح الشعري ويأخذون في تجزئة أقوال الموشح وغصونه الى وحدات صغيرة ، وقد لاحظ الدكتور عباس هذه الناحية في الموشح وعلق عليها بقوله : " اننا نقول حقا ان الموشح معرب ولكن الاسكان بالوقف في التجزئات القصيرة واختيار الالفاظ التي لا تظهر حركات الاعراب في أواخرها أمران يجعلان العلاقات الاعرابية ضعيفة ويحيلان الموشح الى مستوى قريب من مستوى الكلام الدارج " (٣) ، ولم تجد كثيرا محافظة المحافظين الذين أحبوا الازجال والموشحات في مظهرها الشفوي وأبوا أن يدونوها في كتبهم ، فان حركة التساهل غلبت من بعد ، وأصبحت هذه أدبا معترنا به قراءة وتدوينا .

وعلى الطرف الآخر تقوم حركة مضادة تعتمد الدقة اللغوية الخالصة وتعد شجرة من ثمرات ذلك الجو العلمي الذي هيأه القالي وتلامذته ورسخوا أصوله بعون من الحكم المستنصر ، ودار هذه الحركة على التحري الشديد والضبط والمقارنة بين النسخ واعتماد الأصوب . وقد كان القالي نفسه / ^{وصر} المعلم الاول " ^{للأجيال} للمزجل اللغوية بالاندلس أول هدف لسهام هذه الحركة . وليس في هذا نكران لجميل القالي أو

(١) الذخيرة ٢/١ : ١ .

(٢) دار الطراز : ٣٣ .

(٣) تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرايين : ٢٤٤ .

تتكسر لفضله ولكن يشبه أن يكون القالي نفسه هو الذي دفع الى ذلك ، فقد زود الاندلسيين بمصادر متباينة المنزع وأطلعهم على الكتب الأمهات ووضع بين أيديهم الأصول الموثقة ، وكان هو بصري المنزع في الرواية ، ولم يكن الخيجون من بعد يحفلون بالتمسك برواية دون أخرى فجمعوا بين أقوال العلماء جمعا وأحلّوها مقاماً واحداً من الاعتبار ، وكان في ذلك ردّ ضمني على القالي أو ان شئت فقل كان ذلك توسيعاً للأخذ لم يقف دونه ايثار لمدروسة لنهية على أخرى . وشيء آخر دعا الى ذلك التعقب وخاصة في كتاب " النوادر " وهو مما أملاه القالي من حفظه ، والحفظ يتفاوت ، والوهم فيه أمر غير بعيد ، فهذان عاملان أوجدا للغنيين مجالا لتصحيح القالي نفسه .

أما العامل الأول وهو انفتاح الدارس اللغوي على مختلف الروايات وأخذها جميعاً بمقدار واحد من التقدير فيظهر على وجهه الواضح في كتاب الاقتضاب لابن السيد البطليوسي . فالقسم الثاني من هذا الكتاب^(١) ارشاد وتبويب لما وقع من خطأ ، وفي هذا القسم " مواضع وقعت غلطا في رواية أبي علي البغدادي المنقولة اليه فلا أعلم أي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه " ^(٢) . وقد كان ابن السيد في هذا الكتاب اما متشبها من الرواية بالعودة الى أصلها في النص المنقول واما عارضا لروايات علماء آخرين ، روضح أنه في الكشف عن أخطاء ابن قتيبة انما يخطئ جوانب من رواية القالي ، فكانه يرد على أبي علي في أكثر المواطن ، تضييها أو تصحيحها . ومن أمثلة ذلك :

(١) القسم الأول منه شرح لخطبة أدب الكاتب والقسم الثالث : دراسة وتخرّيج للشواهد التي وردت في كتاب ابن قتيبة .
(٢) الاقتضاب : ١٠٦ .

(أ) أنشد ابن قتيبة :

يقلن لقد بكيت فقلت كالا وهل يبكي من الطرب الجليد

قال : " هكذا نقل الينس عن أبي نصر هارون بن موسى عن أبي علي البغدادي رحمة الله عليهما والصواب فقلن بالفاء لأن قبله : " كتمت عواذلي ... " وأنشده ابنه علي في النوادر : " فقالوا " - بتذكير الضمير وهو غير صحيح أيضا لان الضمير عائد على العواذل ، والمراد بهن النساء ... " (١).

(ب) قال ابن قتيبة : ومن ذلك الارى ، يذهب الناس الى أنه المعلف قال المفسر : هكذا رواه أبو علي - بكسر الهم وفتح اللام - وجعله بمنزلة الآلات وقال هو شي " منسوج من صوف يمدونه بين أيدي خيلهم " ووجدته مقيدا عن علي بن حمزة والسكري " معلف " - يفتح الهم وكسر اللام - لأنه مكان للاعتلاف ، وكل فعل على وزن فعل يفعل - يفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل - فان اسم المكان والزمان منه مفعل - بكسر الحين - كالضرب والمغرس (٢).

(ج) وقولهم أسود مثل حلك الغراب ، قال الاصمعي : سواده ، وقال غيره ، أسود مثل حنك الغراب وقال : يعني منقار . قال المفسر : وقع في كتاب أبي علي البغدادي أسود من حنك الغراب وهو غلط ، لأن هذا يجرى مجرى التعجب ، فكما لا يقال : ما أسود ، فكذلك لا يقال هو أسود من كذا ، وقال أبو العباس ثعلب : هو أشد سوادا من حلك الغراب وحنك الغراب ، وهذا صحيح على ما يوجب القياس (٣) .

(١) الاقتصاب : ١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٠ .

الى أمثال ذلك في غير موضع من كتابه ، وهذا لا يمنع أن يستأنس ابن
السيد برأى القالي في الردّ على غيره من العلماء وخاصة على مؤلف الكتاب ، ابن تقيّة .
وأما الحامل الثاني وهو عامل الوهم الناشئ عن الحفظ فقد أثمر كتاباً
سمّاه مؤلفه أبو عبيد البكرى " التبيين على أوهام أبي علي في أماليه " . ويمكن أن
نردّ الوهم لدى القالي - فيما يرى البكرى - الى مظاهر عدة منها :

١ - الخطأ في التفسير : فقد أنشد القالي

ان الذئب قد اخضرت براثها والناس كلهم بكر اذا شعبوا
فقال : يريد أن الناس كلهم عدو لكم اذا شعبوا كبكر بن وائل : قال البكرى :
لم يرد الشاعر هذا المعنى لأن الناس كلهم لم يكونوا عدوا لبني تميم ولا أقتلهم وانما
يريد أن الناس اذا شعبوا هاجت أضغاثهم وطلبوا الطوائف والترا في أعدائهم
فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني تميم (١) .

٢ - خطأ في الرواية : أنشد أبو علي " وأهلك مهر أليك " - بفتح الكاف -
وانما هو بكسرها لأن الحديث موجه الى أسماء في البيت السابق :

الأسماء لم تسألني عن أليك والقوم قد كان فيهم خطوب (٢) .

٣ - حين يجهل قائل الشعر ، ينسبه الى أعرابي ، من ذلك أبيات للأحوص
الذي لم يدخل البادية أبداً (٣) .

٤ - خلط شعر بشعر آخر لاتحادهما في الوزن والروي (٤) .

(١) التبيين : ١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١ .

٥ - نسبة الشعر الى غير قائله الاصل (١).

٦ - الخطأ في بعض اسماء الاعالم والأماكن كأن يقول سلمى في من اسمه سلمي ،
والثدي - بكسر الدال - في ما اسمه الثدي - بفتحها - (٢). أو في النسبة : كقوله
مالك بن الرب المزني وهو المازني (٣).

٧ - خطأ في تفسير اللفظة ، مثل قوله في تفسير " جافل " من قول الشاعر :

كهم اذا لاقته مبيثسا واما تولس أشعث الرأس جافله

الجافل ، الزاهب ، قال البكري : وهذا تفسير لا يسوغ في هذا البيت ولا يجوز
وأى مدخل للذهاب ما هنا وانما الجافل هنا من الجفال وهو الشعر الكثير (٤).

وقد تتبع البكري هذه الأخطاء وأمثالها حيثما وردت حسب ترتيب

" النوادر " ولم يعن بتصنيفها تحت موضوعات محددة .

ولكن هذا التعقب لا يعني أن منزلة القالي قد نزلت في نفوس الاندلسيين ،

فهناك دائما مجال للاعتذار عن الخطأ بالسهو والوهم والنسيان ، وهذه هي طريقة أبي

علي في الدقة العلمية ، ولو ظهرت هذه الكتب في الرد عليه وهو حي لسر من

نتائج توجيهه وتدريبه . يقول البكري في مقدمته معتذرا عن التعقب على القالي :

" وأبو علي - رحمه الله - من الحفظ وسعة العلم والنهل ومن الثقة في الضبط

والنقل بالمحل الذي لا يجهل ، وحيث يتصرعه من الشاء الأحفل ولكن البشر

غير معصومين عن الزلل ولا مبرئين من الوهم والخل ، والعالم من عدت هفواته

(١) التبييه : ٣٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٩ ، ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .

وأصبحت سقطاته (١) .

٥ - العوامل التقليدية وأثرها في الحركة اللغوية :

قد عرضت في كل ما تقدم العوامل الجديدة التي اثرت في حياة اللغة ، وما تمخض عنها من مظاهر ومواقف تلبية للحاجتين النظرية والعملية . وتشكل هذه المظاهر والمواقف قضايا ثارت وتطلبت أجوبة . فإذا كان نصيب العوامل التقليدية من هجرة من الاندلس واليهما ، ومن حلقات تدريسية ، ومن نشاط في التأليف ، اعني الشرة العملية لكل تلك العوامل مجتمعة ، جديدة كانت او قديمة ؟

أ - لست أبعد عن الصواب حين أقرر أن الهجرة الى الاندلس في هذا العصر قد ازدادت عن ذي قبل رغم ما كانت تمنى به البلاد من قلق ومخاوف من الناحية السياسية . فقد تدخلت عوامل جديدة غير الحوافز المألوفة للهجرة والارتحال فجعلت الاندلس هدفا لطوائف مختلفة من المهاجرين . وفي مقدمة هذه العوامل الأحداث المياسية التي حلت بمناطق أخرى من العالم الاسلامي يومئذ . فقد هاجمت قبائل العرب الهالكية مدينة القيروان عام ١٠٤١ / ١٠٤٩ وقضت على عمرانها في أيام المعز بن باديس من بني زيري الصنهاجيين . وتشتت القيروانيون وطلبوا الملجأ حيث وجدوه ، ومنهم من لجأ الى صقلية ومنهم من هاجر الى الاندلس . ومن مشهورى المهاجرين الى الاندلس ابو الحسن الحصرى وابن شرف القيرواني . وفي عام ١٠٦٤ / ١٠٧٢ أخذ النورمان يهاجمون جزيرة صقلية فطلب كثير من اهلها النجاة بأنفسهم ولجأ العدد الأكبر منهم الى الاسكندرية . غير ان بعضهم توجه الى الاندلس ، ومن مشهورى هؤلاء الشاعران ابن حمديس وابو العرب . ونلاحظ أن هؤلاء المهاجرين الذين لمعت

(١) التقييه : ١٥ .

اسماؤهم في الاندلس انما كانوا أشدّ اهتماما بالشعر والأدب والنقد منهم باللغة .
ولسكتّا لا نعدم ان نجد بين المهاجرين جماعة اولوا اللغة وتدرّس المعاني اهتماما
ملحوظا . وهؤلاء أهم من نعرفهم من المهاجرين :

١ - اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي القيرواني (١) صاحب شرح المختار من
شعر بشار . نراه في مالقة عام ٤٠٦/١١٠هـ، وقد ألم به مرض تركه طويحا مدة من
الزمن يعرضه اثنان من رفاقه ، واذ جن الليل خفتت من حوله في احياء مالقة
اوتار العيذان والطناير والمعازف من كل ناحية (٢) . ويبدو انه أقام متقلا نسي
البلدان الاندلسية مدة من الزمن وقرأ عليه بعض أهلها كتاب " أدب الكتاب " لابن
قتيبة . ولكن صفحات شرح المختار تدل بما اقتبس من أشعار لأهل الاندلس على
ان الاندلس أثرت فيه أكثر مما أثر فيها .

٢ - عثمان بن ابي بكر الصديقي السفاقي (٣) . دخل الاندلس سنة ست وثلاثين
واربعماية (١٠٤٥ م) ، وفي هذا التاريخ نفسه دخل قرطبة وأسمع الناس بها ، ثم
تجول في بلاد الاندلس مدة سنتين وعاد الى قرطبة . قال ابن بشكوال : " وكان
حافظا للحديث وطرقه ، واسماء رجاله ورواته منسوبا الى معرفته وفهمه . وكان
يعلي الحديث من حفظه ويتكلم على اسانيده ومعانيه ، وكان عارفا باللغة والاعراب ،
ذاكرا للغريب والآداب ، ممن عني بالرواية وشهر بالفهم والدراية بجمع الى ذلك
حسن الخلق ، وأدب النفس ، وحلاوة الكلام ، ورقة الطبع " (٤) . وهذا الصديقي
هو أول من أدخل كتاب غريب الحديث للخطابي الى الاندلس . وكان في رحلته في

(١) ترجمته في التكملة : ١٨٩ .

(٢) المختار من شعر بشار : ١٤ - ١٥ .

(٣) الصلة : ٣٨٢ ، جذوة العقبين : ٢٨٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٨٨ .

المشرق قد لقي ابا العلاء المعري وروى عنه خطبة الفصح (١).

٣ - علي بن ابراهيم التبريزي المعروف بابن الخازن (٢). دخل الاندلس سنة

١٠٣٠/٤٢١ وبلغ طليطلة في السنة التالية . وكان من أهل العلم بالآداب واللغات ،
سمع منه جماعة من علماء الاندلس .

٤ - محمد بن الحسن الحضرمي المرادي (٣). دخل قرطبة سنة ١٠٩٤/٤٨٧ ،

وروى عنه بعضهم كتاب " فقه اللثة " لابي منصور الثعالبي مشافهة .

٥ - ابو الفضل الوزير محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي (٤). خرج من بغداد

رسولا عن الخليفة القائم بأمر الله الى المعز بن باديس وفي طريقه مرّ بأبي العلاء ،
وروى عنه السقط . ويسميه ابن السيد " شيخنا في شعرا أبي العلاء " (٥). وقد

دخل الاندلس بعد اختلال الحال في القيروان ويقول الحميدى انه حظي عند ملوك
الاندلس بأدبه وعلمه واستقر بطليطلة (٦).

٦ - احمد بن الصنديد الحراقي . روى عن المعري شعره ، وشرحه ودخل الاندلس

ومدح الرؤساء والاكابر وكان اكثر مقامه عند بني طاهر (٧).

(١) الجامع في اخبار ابي العلاء ١ : ٤٦٦ .

(٢) ترجمته في الصلة : ٤٠٦ .

(٣) ترجمته في الصلة : ٥٧٢ .

(٤) ترجمته في جذوة المقتبس : ٦٨٠ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ ، نفح الطيب ٤ : ١٠٨ ،

وانظر : الجامع في اخبار ابي العلاء للجندی : ٤٦١ ، الذخيرة ٤/١ : ٦٧ ،

(٥) ~~الانصار~~ ^{الانتصار} ٣١٠ ، وابو العلاء وما اليه لعبد العزيز اليميني : ٢٠٤ .

(٦) جذوة المقتبس : ٦٩ .

(٧) ارشاد الاديب ٣ : ٨٦ ، بغية الوعاة : ١٣٥ .

٧ - عبد الدائم بن مرزوق بن جبر القيرواني ، ابو القاسم^(١) . وهو الشيخ الثاني لابن السيد في رواية شعر المعري . وقد توفي عبد الدائم بظليطة سنة ٤٢٢ / ١٠٨٠ .

٨ - ولعل ابعده هؤلاء المهاجرين أثرا في الاندلس أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني^(٢) . فقد دخلها مبكرا عام ٤٠٦ / ١٠١٥ ، وكان يوم دخلها عالما ناشجا قد درس على مشاهير الشيخ المشاركة كابن جني والربيعي وابن السيراني ، مشاركا في عدة علوم أبرزها بعد اللغة الفلسفة والمنطق كما كان حاذقا في حمل السلاح وأنواع الجندية والفروسية^(٣) ، واتصل بأبي الجيش مجاهد الحامري ، وخرج معه في غزوة الى سردينيا ، ثم عاد يطوف البلاد ويدرس العربية ، فأملى في دانية كتابا في شرح الجمل للزجاجي ، كما درس أيضا اختيار فصيح الكلام لشعرب ، أخذ عنه محمد بن هشام المصحفي . وكان الكتاب الذي يستعمله في التدريس بخط ابن خالويه . قال ابو الفتح ، " تأملت كتابي هذا من الفصح بخط ابن الكوفي وكان نسخ كتابه من خط ابن الانباري وقابلته به"^(٤) . وروى المصحفي عنه أيضا شرح ابيات اصلاح المنطق لابن السيراني ، وشرح ابيات اللفاظ له أيضا ، وشرح ابيات الغريب المصنف ، وكل هذه الكتب رواها ابو الفتح عن ابن السيراني ، وكان يقول : انه اعلم من اييه باللغة والفقه والشعر والنحو^(٥) . وكذلك قرأ عليه كتاب الجمهرة لابن دريد^(٦) . وقرأ أيضا عليه شعر

(١) انظر ، بغية الملتقى : ٣٨٦ ، والانتصار : ٢٣ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ .
(٢) ترجمته في جذوة المقتبس : ١٧٣ ، الصلة : ١٢٧ - ١٢٨ ، والذخيرة ١/٤ : ٩٦ وبغية الوعاة : ٢١٠ ، والاحاطة ١ : ٢٨٥ ، معجم الادباء ٧ : ١٤٥ - ١٤٨ ، كشف الظنون : ٦٠٤ .

(٣) الاجنبياطة ١ : ٢٨٥ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٣٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٤٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٤٩ .

أبي الطيب المتبّي (١). وقد أخذ عن ثابت كثير من الاندلسيين وشهد له علماءها ومؤرخوها بالتقدم فيما كان يحسنه من علوم فقال فيه أبو مروان بن حيان : " ولم يدخل الاندلس أكمل من أبي الفتح في علمه وأدبه " (٢). وقال ابن زيدون : " لقيته بغرناطة فأخذت عنه أخبار المشاركة وحكايات كثيرة وكان غزير الأدب قوى الحفظ للغة نازعا إلى علم الاوائل من المنطق والنجوم والحكمة له بذلك قوة ظاهرة " (٣) وما قرأه عليه ابن زيدون نفسه الحماسة في أشعار العرب رواية لها عن عبد السلام البصري (٤).

غير أن طموح ثابت جعله ينفص في حياة الأندلس السياسية وكانت نهايته أن قتله باديس صاحب غرناطة سنة ٤٣١ / ١٠٤٠ (٥) فتكون اقامته بالاندلس قرابة سبع قرن) .

ولم تكن الاندلس قبلية المعلمين وحدهم بل أصبحت مطمح الدارسين ممن أقطار أخرى. فنجد بعض المهاجرين إلى الاندلس يتعلمون على علماء الاندلس في اللغة ، من ذلك : العزّين محمد (٦) (١٠٩٥ / ٤٨٨) ، وأصله من العدوّة . فانه اخذ كثيرا من كتب اللغة والآداب عن أبي القاسم بن الافليي . كذلك المبارك بن سعيد البغدادي المعروف بابن الخشاب (٧) (بعد ١٠٩٢ / ٤٩٠) فانه بعد ان قدم الاندلس تاجرا سنة ١٠٩٠ / ٤٨٣ جلس يسمع كتاب النوادر للقاللي من أبي مروان بن سراج .

(١) فهرسة ابن خير : ٢٠٤ .

(٢) الاحاطة ١ : ٢٨٥ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه ١ : ٢٨٦ .

(٥) جاء خبر مقتله مفصلا في الاحاطة ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٦) العلية : ٤٢٩ .

(٧) المصدر نفسه : ٥٩٩ .

ب- أما في الهجرة من الاندلس، فان اللغويين الذين ذكرتهم المصادر قلما قوت بهم خبرا عن الرحلة الا في النادر، وربما دل هذا على الاكتفاء الذاتي في علم اللغة، وسهولة وصول الكتاب المهاجر بدلا من الرحلة في لقاء العلماء . ولعل ابرز ما نقف عنده من أخبار رحلة الاندلسيين الى المشرق ذلك الاهتمام الذي ابداه الاندلسيون بابي العلاء المعري ومؤلفاته فقد كان كثير من يرحل حريصا على لقاءه والرواية عنه (١). ومؤلفات المعري مصدر هام للغة مثلما هي زاد ادبي أيضا . وقد سرد ابن عسود الغفور الكلاعي اسماء كتب ابي العلاء التي هاجرت في هذا العصر الى الاندلس في كتابه " احكام صنعة الكلام "، فعدها منها كتاب الطائف والظاهر والشاحج وشرحه ، والفصول والغايات ، والسجع السلطاني ، ورسالة الغفران ، ورسالة الفلاحة ، ورسالة الاغريض ، وسقط الزند ، واللزوميات ، وكتاب الاستغفار النسخ (٢). وقد اصبحت هذه الكتب نموذجا أدبيا رفيعا مثلما غدت مجالا للدراسة والشح والتعليق .

ج- وانا نأرنا بين هذا العصر والعصر السابق وجدنا ان المظاهر الثلاثة الكبرى التي تحدثنا عنها ، أعني : التدريس والمناظرة والتأليف قد تضائل فيها المظهر الثاني ، وكانت أبرز نشاطات هذا العصر زاهية في تباين ههنا التدريس والتأليف . ولعل انشغال الأذهان بنشوء دعوة ابن حزم الظاهرية ووفود بعض المذاهب الكلامية ، كالمذهب الأشعري ، بقوة الى الاندلس قد قويا المناظرات المذهبية والكلامية ، وحجبا عنا ، أو أضعفا ، المناظرات اللغوية .

وقد رأينا كيف تعددت المراكز العلمية فكثرت عدد المدرسين وظهر بوضوح

المدرس المتجول مثل : ابراهيم بن ابي الفضل بن صواب (- ٥٠٦ / ١١١٢) تلميذ

(١) راجع اسماء بعض هؤلاء الاندلسيين في : جامع اخبار ابي العلاء : ٤٥٨ وما بعدها
(٢) انظر احكام صنعة الكلام ١٣٨ - ١٣٩ ، وتعريف القدماء : ٤٥٣ .

ابن سيده ، الذى كان يتجول في البلاد معلما بها (١) ومثل كثيرين غيره .

واذا كنا نميز بعض العلماء بالشهرة في التأليف على الرغم من علمهم في التدريس مثل : ابن سيده وابن السيد فان من الحق ان نميز كبار الاساتذة المدرسين الذين تخرج على ايديهم اكبر عدد من طلاب هذا العصر . ولعل الذين ذهبوا بأكثر الشهرة في هذا الميدان أربعة هم : ١- ابن الافليلي ، ٢- ابن سراج ، ٣- ابو الوليد القشبي ، ٤- والأعلم الشنترى .

١- اما ابن الافليلي فهو ابراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفرج بن يحيى بن زياد ابن عبد الله بن خالد بن سعد بن ابي وقاص القرشي الزهرى (٢) . ويبدو من هذا ان ابراهيم بن محمد يعود في نسبه الى أصل عربي صريح وأن جده الصحابي القائد سعد ابن أبي وقاص .

ويرى بعض المؤرخين ان لقبه هذا ، ابن الافليلي ، قد ورثه عن بلدة في الشام يرجع أصله اليها (٣) . ولا يذكر المؤرخون من هو الجد الذى انتسب اليه ، والذى كان يسكن افليل .

وابن الافليلي من أهل قرطبة ، ولم يذكر واحد من المؤرخين ، الذين

(١) التكملة : ١٤٠ .

(٢) انظر ترجمته في : الصلة : ٩٤ - ٩٥ ، بغية الملتبس : ١٩٩ ، انباء الرواة : ١ : ١٨٣ - ١٨٤ ، وفيات الاعيان : ١ : ٣٣ - ٣٤ ، بغية الوعاة : ١٨٦ ، معجم البلدان : ١ : ٢٣٢ ، معجم الادباء : ٢ : ٤ - ٩ ، شذرات الذهب : ٣ : ٢٦٦ (حوادث سنة ٤٤١ / ١٠٤٩) .

(٣) والافليلي - بكسر الهمزة ، وسكون الفاء ، وكسر اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وي بعدها لام ثانية - هذه النسبة الى الافليل ، وهي قرية بالشام كان أصله منها . انظر : وفيات الاعيان : ١ : ٣٤ ، وانظر أيضا : الصلة : ١٤٠ ، ١ : ٩٤ ، شذرات الذهب : ٣ : ٢٦٦ .

راجعت أخبارهم ، صراحة ان ابن الاقليلي ولد في قرطبة ، ولكن ذلك يفهم من
اجماعهم على انه " قرطبي " وانه كان متصدرا للعلم ببلده ، أى قرطبة . فقد
ولد فيها عام ٣٥٢/٩٦٧ وطلب العلم على مشايخ الشيوخ فيها ، فكان تلميذا للزبيدي
وابن ابي الحباب واحمد بن أبان بن سيّد ، وهم أبرز تلاميذ القاضي . فدرس عليهم
وعلى غيرهم من العلماء يومئذ ، فأخذ كتاب معاني الحروف واقسامها عن الحسين بن
الوليد النحوى المعروف بابن العريف ، وكتاب الكامل وكتاب الغريب المصنف وكتاب
اللفاظ ليعقوب بن ابن سيّد ، وكتاب ادب الكتاب وكتاب فائت المصيح عن ابن
ابي الحباب ، وكتاب لحن العامة عن الزبيدي (١) . واستكثر من الدراسة على هؤلاء
الاعلام حتى غدا حجة فيما وقف له جهده ، وحتى قال فيه ابن بسام : " بذّ
اهل قرطبة في علم اللسان العربي والضمط لغريب اللغة في ألفاظ الاشعار الجاهلية
والاسلامية ، والمشاركة في بعض معانيها . وكان غيورا على ما يحمل من ذلك الفن
كثير اللسد فيه ، راكبا رأسه في الخطأ البين اذا تقلده او نشب فيه ، يجادل
عليه ، ولا يصرفه عنه صارف " (٢) . ومع هذا الاطلاع الواسع ، ظلّ مفتقرا الى علم
كان بحكم مهنته في اشد الحاجة اليه ، وذلك هو علم العروض (٣) . وكان يزهد
من حاجته الى هذا العلم أنّه لم يكتب بتدريس اللغة ، بل تصدّى للنقد والكلام في
أقسام البلاغة ، اى تصدّى لتعليم البيان (٤) . وهذا هو الذى أثار ثائرة ابن
شهيد وجعله يتخذ من ابن الاقليلي محظا لسخريته ، بل يصوره بصورة مضحكة نسي
رسالة التواضع والزواجع . ولا ريب في ان ابن شهيد لم ينصف ابن الاقليلي في هذه

(١) فهرسة ابن خير : صفحات متفرقة .

(٢) الذخيرة - ١/١ : ٢٤٠ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) بغية الملتبس : ١٩٩ ، انباء الرواة ١ : ١٨٣ .

الحملة ، فقد شهد له بعض معاصريه بأنه كان عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي الطيب المتبي ، وأنه كان اشدّ الناس انتقاء للكلام ومعرفة برائعه (١) . وحسبك بهذا شهادة على ان الرجل لم يكن يحسن تدوين اللغة فحسب وانما كان يجمع الى ذلك ذوقا أدبيا مسعفا على النقد .

وقد ظل ابن الافلح قطبا لحلقة تجمع كثيرا من الطلبة في قرطبة الى ان حدث الفتنة البربرية فقتل على كثير من العلماء بالتشرد ، وعلى مجالس العلم بالكساد . ويبدو أن شيئا من هذا أصاب ابن الافلح فأخذ يبحث عن رزقه بالتقرب لامراء بني حمود في قرطبة ، او كما يقول ابن بسام : " فازولف الى الامراء الى ان نال الجاء " (٢) . ثم عادت الى قرطبة الخلافة الاموية في شخص المستنكي فاتخذ ابن الافلح كاتباً عنده . وكانت هذه الحادثة امتحانا عليها لما كان يدرسه ابن الافلح نظريا ، فسقط في الامتحان " لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين " (٣) .

وبعد المستنكي تولّى أمر قرطبة في هذه الفترة القلقة هشام المعتد . ويبدو ان هشاما هذا تقرب الى قلوب العامة بمطالبة بعض المفكرين مثل ابن عاصم والبسباسي والحمار ، وكان ابن الافلح واحدا من هؤلاء المطلوبين فأخذ وسجن . ويدل نص ابن بسام حين يقول : " ولحقته تهمة في دينه " ، على ان الأمر كان متصلا بشي من دراسة الفلسفة او المنطق . وهؤلاء الذين يسميهم ابن بسام " الاطباء " لا يمكن ان نفهم سبب تتبعهم الا ان فهمنا ان اللفظة تعني الفلاسفة او المشتغلين

(١) الصلوة : ٩٤ .

(٢) الذخيرة ١/١ : ٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه ، ومعجم الادباء ٢ : ٧ .

بعلوم الاوائل ، ان لم يحدث ابدا ان كان الاطباء محط تهمة ، او هدفا لاضطهاد الحكام . ولا بد ان تكون هذه التهمة كذلك ، اعني ذات صلة بالدراسات الفلسفية ، والا لما استطعنا ان نوفق بين معنى التهمة في الدين وبين قول فقيه محدث مثل ابن بشكوال في الثناء على ابن الافليلي : " وكان صادق اللهجة حسن الغيب صافي الغمير حسن المحاضرة مكرما لجليسه " (١).

تناول العمر بابن الافليلي فتجاوز به فترة القلق في حياة قرطبة ، وعاش حتى شهد بلده يعيش في ظل الحكومة الشورية التي أوجدها الجمهوريون ، وتوفي عام ١٠٤٩ / ٤٤١ .

هل تجاوز نشاط ابن الافليلي ميدان التدريس ؟ يبدو ان ابن شهيد اتخذ ابن الافليلي نموذجا لمعلمي اللغة ، فاتهمهم جميعا بانهم يعجزون عن التأليف فقال : " ومن دليل تقصير عصابة المعلمين انهم لا يقدمون ان يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفا ، ولا تغزر مادتهم ان ينشئوها تأليفا " (٢). ورسخت هذه التهمة في ذهن ابن بسام فتأتى اليها بقوله : " وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة الا كتابه في شعر المتنبى لا غير " (٣). والحق ان شرح ابن الافليلي لديوان المتنبى هو أشهر ما عرف له ، وقد اثنى عليه الذين ترجموا له بالجودة (٤).

وتخرج على يدى ابن الافليلي تلامذة كثيرون منهم : ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي ، والعلاء بن ابي الغيرة بن حزم ، وابن سراج (٥).

(١) الصلوة : ٩٤ .

(٢) الذخيرة ١ / ١ : ٢٠٩ .

(٣) الذخيرة ١ / ١ : ٢٤١ .

(٤) انظر : انباء الرواة ١ : ١٨٣ ، معجم الادباء ٢ : ٥٠ .

(٥) بغية الملتبس : ١٩٩ ، الصلوة ١ : ٩٥ .

٢ - ابو مروان عبد الملك بن سراج (١) (١٠٩٦/٤٨٩) . شهر عن بني سراج انهم من موالي الأمويين ، ولكن ابا مروان كان ينكر ذلك ويقول انهم من العرب صليبة ، من كلب بن وبرة . وقال ابن بسام : من كلاب بن ريعة ، وانما أصابهم سبأ في القديم . وكانت عائلتهم متصلة الشهرة والنباهة في الاندلس على الرغم من ابتعادهم عن خدمة الدولة ، واقتصرهم على سياسة ضياعهم المخلّة . وربما تضعفت حالهم بعض الشيء في الفتنة البربرية فعادوا بعدها الى التماسك . وفي عهد الفتنة نفسها ولد عبد الملك ونشأ في قرطبة فلم يشهد من عرائنها السابق ولم يعلم عنه الا ما كان يحدثه به أهله ، فانصرف الى العلم على بقية الشيخ يومئذ كاهن الافليلي والمؤرخ ابي مروان بن حيان . وأطاعته ملكته في ميدان اللغة فتفوق فيها تفوقا ملك اعجاب معاصريه . وكان يجمع الى هله متانة في دينه ، وسماحة في خلقه ، وبعدا عن العجب والخيلاء ، وقدرة على الفهم . وبذلك اجتذب اليه الدارسين من كل صوب . وعاش تسعا وثمانين سنة ، وظل الى آخر حياته حسن البنية ، سليم الحواس ، متوقد الذهن ، سريخ الخاطر ، يقرأ دقيق الخط ، ويظهر على المطالعة (٢) . وقال فيه احد تلامذته : " كان بحر علم ، عالما بالتفسير ومعاني القرآن ومعاني الحديث ، أحفظ الناس للسان العرب ، وصدقهم فيما يحمله ، واقومهم بالمريسة والاشعار والاخبار والانساب والايام ، عنده يسقط حفظ الحفاظ ، ودونه يكون علم العلماء ، فاق الناس في وقته ، وكان حسنة من حسنات الزمان ، ومقبة من الأشراف والاعيان " (٣) .

(١) ترجمته في : الذخيرة ١ / ٢ : ٣٠٧ ، الصلاة : ٣٤٦ ، المغرب ١ : ١١٥ ،

الديباج المذهب : ١٥٧ ، انباء الرواة ٢ : ٢٠٧ .

(٢) الذخيرة ٢ / ١ : ٣١٠ .

(٣) الصلاة : ٣٤٦ .

واذا كما قد وجدنا لابن الاثيلي نشاطا في التأليف يسيرا فان المصادر تسكت عن ذكر اى مؤلف لابن سراج . وكل ما نعرفه من جهوده ، سوى التدريس، قول ابن بسام : " واحيي كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة . . . واستدرك فيها اشياء من سقط واضعها ، ووهم مؤلفيها ككتاب البارع لابي علي البغدادي ، وشرح غريب الحديث للخطابي وقاسم بن ثابت السرقسطي وكتاب أبيات المعاني للقتبي ، وكتاب النبات لابي حنيفة ، وغير ذلك من الكتب مما لم يحضرني ذكره ، ولم يمكن حصره ، اذ كانت قبل فتحها عليه ، واصلاحها بين يديه ، طامسة الاعلام ، مختلة النظام ، وقد سدت التصحيف طرقها ، وعورر التبديل نسقها ، ففتح مستغلقها ونظم مفترقها ، وعانى خللها ، وأزاح غللها ، وقيد مهملها " (١).

ووضح ان ابن بسام يذهب في كلامه مذهب التهويل ، والا فان هذه الكتب قد تداولها العلماء ودرسها الطلبة قبل ابن سراج ، ولم تكن طامسة الاعلام ، او مختلة النظام ، وانما الذى يهملنا في هذا النص دلالة على أن ابن سراج كان مهتما بالاستدراك على كتب من سبقه . وأيا كان الأمر فان أمثال ابن سراج انما يؤثرون في مجال العلم بعناصر شخصياتهم اكثر مما يؤثرون بمؤلفاتهم . وقد شهد له عارفوه بأنه كان " وقور المجلس مهيبا متواضعا على اتساع علمه " (٢) ، فكانت الرحلة في ذلك الوقت اليه حتى عدّ امام اللغة في الاندلس غير مدافع (٣) ، وقد سرد لنا ابن خير قائمة طويلة بالكتب التي أخذها ابن سراج عن أستاذه أبي سهل السحراني وقائمة أخرى بالكتب التي درسها عليه تلميذه أبو علي الغساني (٤) ، وكلها من كتب الشعر .

(١) الذخيرة ٢/١ : ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢) الصلاة : ٣٤٦ ، انباء الرواة ٢ : ٢٨٠ .

(٣) الصلاة : ٣٤٦ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٩٧ .

٣- أبو الوليد هشام بن أحمد الوقشي^(١) (٤٨٩ / ١٠٩٦) ينسب إلى وقش ، وهي قرية بخارج طليطلة ، بينهما اثنا عشر ميلاً . ولم تكن معارفه قاصرة على اللغة والنحو بل كان واسع الاطلاع على فنون المعارف والعلوم في عصره . فهو كما وصفته المصادر من أعلم الناس بالنحو واللغة ، ومعاني الاشعار ، وعلم العروض ، وصناعة البلاغة ، بصير بأصول الاعتقادات وأصول الفقه ، نافذ في علم الشروط والفرائض ، متحقق بعلم الحساب والهندسة والمنطق ، مشرف على آراء الحكماء . ويجمع إلى هذا الاطلاع الواسع حسن المعاشرة ولين الكف وصدق اللهجة . وفي دولة المأمون بن ذى النون أصبح قاضياً لمدينة طليطلة ، من شغور طليطلة . ذلك هو ما تحدثنا به المصادر ، دون ان تنيف أي شيء يتصل بوجهته في التأليف او بتلامذته الآخذين عنه .

٤- أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعمى الشنتمرى^(٢) (٤٧٦ / ١٠٨٣) ، وهو منسوب إلى شنتمرية الغرب ، هاجر من بلده إلى قرطبة عام ٤٣٣ / ١٠٤٢ فدرس فيها على ابن الافليلي وعلى أبي سهل الحراني : درس على هذا الثاني الاشعار الستة الجاهلية وأخذ عنه أيضاً شعر السليك وقصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة لقيط بن معمر الأيادي وشعر الاسود بن يعفر وشعر حاتم وشعر زيد الخيل^(٣) ، حتى أحكم اللغة وأقبل بالاهتمام على معاني الشعر الخاصة ، ثم استدعاء المعتضد إلى اشبيلية وفي ظله ألف أكثر المؤلفات ، فهو يذكر في مقدمة شرحه لأبيات سيبيويه أنه ألف بطلب من المعتضد ، كذلك يذكر ابن عذارى أنه ألف له شرح الحماسة

(١) ترجمته في الصلة : ٦١٢ ، المطرب : ٢٢٣ ، بغية الملتص : ٤٧٠ ، طبقات الأسم : ٧٤ .

(٢) ترجمته في الصلة : ٦٤٣ - ٦٤٤ ، وبغية الوعاة : ٤٢٢ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٩٨ .

وشرح الأشعار الستة (١)، وكانت الرحلة في وقته اليه ، ويبدو أنه ظل مقيما
 باشبيلية الى آخر أيام حياته ، وكف بصره في آخر عمره وكانت سنه يوم
 توفي تتاهز الثالثة والستين ، ومن أشهر تلامذته وهم عديدون ، أبو علي
 النسائي .

(١) البيان المغرب ٣ : ٢٨٤ ، وانظر أيضا فهرسة ابن خير ٣١٤ - ٣١٥ ،
 الذي أضاف : المختصر في النحو ، وكتاب المسألة الرشيدة والمسألة الزنبورية ،
 وجزء فيه مختصر الانواء .

الفصل الخامس

حركة التأليف اللغوي ووجهاته في هذا العصر

أولا - صورة عامة :

لا يقل هذا العصر عن العصر السابق غنى في المؤلفات، وإن كانت هذه أقل تنوعاً . وفي سبيل أن نرسم صورة تصلح للمقارنة بالعصر السابق أدرج هنا ثبثاً بأسماء المؤلفين ومؤلفاتهم في هذا العصر :

١ - ابن الأنليبي^(١) (- ١٠٤٩ / ٤٤١)

١ - شرح ديوان المتنبي^(٢) . وصفه بعضهم بأنه حسن أو مشهور أو جيد .

٢ - الحسن بن محمد بن عليم البطليوسي^(٣)

٢ - شرح كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة .

٣ - الحسن بن علي بن محمد الطائي المرسي^(٤) (- ١١٠٥ / ٤٩٨)

٣ - المقنع في شرح كتاب ابن جني .

٤ - سعيد بن عيسى الأصغر^(٥) (- حوالي ١٠٦٨ / ٤٦٠)

٤ - شرح كتاب الجمل للزجاجي .

(١) انظر ما سبق من هذه الرسالة ص : ٤٤٩

(٢) مخطوطة برلين ٧٥٦٩ ، مكتبة القرويين بفاس ١٣٤٨ ، المتحف البريطاني ثاني ١٠٤١ هـ الهابط ٣٢٤ ، قطعة منه بمكتبة داود بالموصل ٢٣ رقم ٠٩ (انظر بروكلمان ٨٩ : ٢) .

(٣) درس ببلدة بطليوس على ابن الخراب وغيره ، وكان مقدماً في علم اللغة والأدب والشعر (الصلة : ١٣٧) .

(٤) مرسي عرف بالفقيه الشاعر (الصلة : ١٣٧) .

(٥) من ساكني طليطلة ، كان عالماً بالنحو واللغة والشعر (الصلة : ٢١٨)

٥- ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (١) - (١٠٩٤/٤٨٧)

٥- اللآلي في شج الأمالي (٢) .

٦- فصل المقال في شج كتاب الامثال (٣) .

٧- التبيه على أوهام ابي علي في أماليه (٤) .

٨- صلة المفصول في شج ابيات الغريب المصنف لأبي عبيد (٥) .

٩- اشتقاق الاسماء (٦) .

١٠- شفاء عليل العربية (٧) .

٦- عبد الله بن محمد بن السيد (٨) .

١١- شرح سقط الزند .

١٢- الاقتضاب في شج ادب الكتاب .

١٣- اصلاح الخلل الواقع في الجمل (٩) ، " وهو كبير في مجلد ضخمة ..

ذكر فيه ان الزجاجي قد نزع فيه المنزع الجميل فانه حذف الفصول (١٠)

واختصر الطويل ، غير انه قد افترط في الايجاز فتجده في كثير من

كلامه بعيد الاشارة ، فرأى ان ينبه على أغلاطه ، والمختل من

(١) انظر ثبت تراجمه في ما يلي من هذه الرسالة (اتجاهان كبيران في التأليف)

(٢) نشره عبد العزيز اليميني - القاهرة ١٩٣٦ .

(٣) حققه الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين - الخرطوم ١٩٥٨ .

(٤) طبع في مصر ١٩٢٦ ، ط . دار الكتب المصرية .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٤٣ .

(٦) بغية الوعاة : ٢٨٤ .

(٧) كشف الظنون : ١٠٥٠ .

(٨) انظر ثبت تراجمه فيما يلي من هذه الرسالة (اتجاهان كبيران في التأليف)

(٩) منه نسخة في برلين : ٦٤٦٣ ، ليدن ١٤٢ ، القاهرة ثاني ٢ : ٧٦ (انظر ،

بروكلمان ٢ : ١٧٤٤) .

(١٠) لعلمها الفصول .

كلامه ، ثم انثنى بالكلام في آيائه وما يحضره من اسماء تأليفيها
 وذكر ما يتصل بالشاهد من بعده أو من قبله " (١) ، وسماء :

١٤- الحلل في شرح أبيات الجمل (٢) .

١٥- شرح ديوان الشعراء المست (٣) .

١٦- شرح ديوان المتبي (٤) .

١٧- المسائل المنثورة في النحو (٥) .

١٨- كتاب في الحروف الخمسة : السين والصاد والضاد والطاء والدال ،
 جمع فيه كل غريب (٦) .

١٩- المثلث في اللغة ، " في مجلدين اتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع
 عظيم . فان مثلث قطرب في كراسة واحدة ، واستعمل فيه
 الضرورة وما لا يجوز ، وغلط في بعضه " (٧) .

(١) كشف الظنون : ٦٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ومن الكتاب نسخة في ، القاهرة ثاني ٢ : ١٠٤ ، راغب

١٣١٩ (انظر ، بروكلمان ٢ : ١٧٤) .

(٣) مخطوطة فيض الله رقم ١٤٠ (بروكلمان ، ١ : ٨٨) .

(٤) بغية الوعاة : ٢٨٨ .

(٥) المصدر نفسه

(٦) شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، ومنه نسخة في مكتبة راغب ١٤٣١ (بروكلمان ،

ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

(٧) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، وانظر شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، وفهرسة ابن

خير : ٣٦٢ . ومن الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة عاطف افندي :

٢٧٥٤ ، ولاللي : ٣٦١٦ ، والقاهرة ثاني : ٣٤٠ ، (انظر بروكلمان ،

ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

٢٠- كتاب المسائل والاجوبة^(١). وهو يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد

سئل عنها فكتب اجوبته وألف من مجموع الاجوبة كتابا ضخما يتناول ما
ينيف على مائة مسألة . ويبدو ان الكتاب كان مجموعة لمسائل قليلة
عرضت لابن السيد في مناقشاته ومجالسه ، ثم لما اخذت هذه
المسائل تعظم وتكثر فكر في جمعها وجعلها في كتاب ، غير انه ادرك
ان هناك مزيدا من المسائل ستبرز مع الايام فقال : " وهذا التأليف
معرض للزيادة فيه ، اذ كان السؤال يوجب ذلك ويتقضىه ولا تمام
له ولا انقضاء حتى يشارف العمر الانتهاء " (٢).

وتغلب على الكتاب الناحية اللغوية ، وطريقته فيه لا تختلف عما
اخذ به كتابيه شرح سقط الزند والاقطاب . والحكم الدقيق غير
متيسر ، اذ ان المنشور ثلاث مسائل فقط من بين مائة مسألة .

٢١- الاسم والمسمى (٣) .

٢٢- ابيات المعاني (٤) .

٢٣- التثنية على الاسباب الموجبة لاختلاف الأمة (٥) . وفي هذا الكتاب

-
- (١) نشر جزء من المسائل مع رسائل اخرى لمؤلفين آخرين بتحقيق الدكتور ابراهيم
السامرائي (بغداد ١٩٦٤) ومنه نسخة بالاسكوريال رقم : ١٥١٨ ونسخة أخرى
بعنوان " الاسئلة " في القرويين رقم : ١٢٤٠ (بروكلمان : الملحق ٢٥٨١١) .
- (٢) رسائل في اللغة : ١١٤ .
- (٣) منه نسخة مخطوطة في مكتبة فيض الله : ٢١٦١ (انظر بروكلمان ، ط ليدن
الملحق ١ : ٢٥٨) .
- (٤) انظر خزانة الادب ١ : ٩ ، (وقد ذكره بروكلمان ، ط ليدن الملحق ١ : ٢٥٨)
- (٥) الصلة ١ : ٢٨٢ ، الديهاج المذهب : ١٤١ . وقد طبع الكتاب في القاهرة
سنة ١٣١٩ / ١٩٠٢ ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة شهيد علي : ١١١٤ ،
وفيض الله : ٢١٦١ ، (انظر بروكلمان ط ليدن ، الملحق ١ : ٢٥٨) .

ان ركبا من رجال المشرق قادمهم الاعترا ب نحو المغرب . وسئلوا
عن اسمائهم ، وآبائهم ، وقبائلهم ، واخوانهم ، وبلدانهم ، ومراكبهم ،
ومعادن قسائمهم ، وسهامهم ، وما يقتتصون من الوحش والطير ، وما
يأكلون منها ، وما يهدون الى حبايئهم ، واسم حبيبة كل منهم ،
والبيت الذى يقال لها عند الاهداء ، وما كانت تشده هي في
الجواب . كل ذلك بألفاظ مبدوءة بنفس الحرف الذى تداوله من
حروف المعجم كل رجل منهم في دوره " (١) .

٨ - احمد بن محمد المرسي^(٢) (- حوالي ٤٦٠ / ١٠٦٨)

٣٣ - شرح الخريب المصنف لأبي عبيد .

٣٤ - شرح اصالح المنطق لابن السكيت .

٩ - اسحق بن الحسن الزيات^(٣) (- بعد ٤٤٨ / ١٠٥٦)

٣٥ - شرح كتاب الجمل للزجاجي .

٣٦ - كتاب في المبني والمعرب .

١٠ - خلف بن فتح المعروف بابن ابي الموتى^(٤) (- بعد ٤٣٣ / ١٠٤٢)

٣٧ - كتاب الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي .

(١) المشرق : ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) كان عالما بالنحو واللغة والآداب ، وكان يقرئ العربية (التكملة : ٢٠) .

(٣) قرطبي الأصل ، هاجر من بلده مضطرا اثناء الفتنة البربرية ، فأقرأ العربية
بمقرسطة (التكملة : ١٩٢) ، وقد ذكره بروكلمان (ط ليدن ، الملحق ٢ : ١٠٢٦)

(٤) خلف بن فتحون الجودى القيسي . من أهل يابرة وسكن قرطبة . اتخذ من
داره في قرطبة مكانا يعارس فيه مهنة التعليم (التكملة : ٢٩٦) .

١١ - ابن التيانى ، تمام بن غالب (١) (- ٤٣٦ / ١٠٤٥)

٣٨ - تليح العين في اللغة (٢) .

١٢ - يوسف بن سليمان الشنترى المعروف بالاعلم (٣) (- ٤٧٦ / ١٠٨٣)

٣٩ - شرح الاشعار الستة الجاهلية (٤) .

٤٠ - شرح اشعار الحماسة (٥) .

٤١ - شرح ابيات كتاب سيبويه ، وقد سماه : تحصيل عين الذهب من

معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب (٦) .

٤٢ - النكت في كتاب سيبويه (٧) .

٤٣ - المختصر في النحو (٨) .

(١) كان اماما في اللغة ثقة في ايرادها ، مذكورا بالديانة والعفة والسورع ، وله كتاب تليح العين في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا او اكثارا . قال عنه ابن بسام (الذخيرة ١/٤ : ١١) انه كان أحد أعضاء ديوان الندماء في زمن المنصور بن ابي عامر . وانظر ترجمته في : جذوة المقتبس : ١٧٢ ، بغية المقتبس : ٢٣٦ ، الصلة : ١٢٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وفيات الاعيان ١ : ٩٧ ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، رياض الجنات : ١٤٠ - ١٤١ ، معجم الادباء ٧ : ١٣٥ - ١٣٨ ، كشف الظنون : ٤٨١ .

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) انظر ثبتا بتراجم الاعلم ص : ٢٧٥ من هذه الرسالة .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ ، ويوجد منه نسخة في الرباط : ٣١٣ ، (انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢) .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

(٦) منه نسخة في القاهرة ثالث : ٤٤ ، ورامبور ١ : ٥٨٠ (انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢) .

(٧) فهرسة ابن خير : ٣١٤ - ٣١٥ .

(٨) المصدر نفسه

- ٤٤- المسألة الرشيدة (١) .
- ٤٥- جزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب (٢) .
- ٤٦- المسألة الزنبورية (٣) .
- ٤٧- جزء فيه مختصر الانواء (٤) .
- ٤٨- شرح ديوان زهير (٥) .
- ٤٩- شرح ديوان علقمة الفحل (٦) .
- ٥٠- شرح ديوان الفايضة (٧) .
- ٥١- شرح ابيات الجمل (٨) .
- ١٣- ابو الفتح ثابت الجرجاني (٩) .
- ٥٢- شرح كتاب الحماسة (١٠) .

-
- (١) فهرسة ابن خير : ٣١٤ - ٣١٥ .
- (٢) المصدر نفسه
- (٣) المصدر نفسه
- (٤) المصدر نفسه
- (٥) نشره لندبرغ - ليدن ١٨٨٩ ، وطبع بالقاهرة ١٣٢٣ / ١٩٠٦ ،
(انظر بروكلمان ١ : ٩٦) .
- (٦) نشر بالقاهرة ١٢٩٣ / ١٨٧٦ ، ١٣٢٤ / ١٩٠٧ ، ونشر ابن شنب
في الجزائر ١٩٢٥ (انظر بروكلمان ١ : ٩٧) .
- (٧) مخطوطة الامبروزيانا ثاني : ١٣٢ (انظر بروكلمان ١ : ٨٩) .
- (٨) يوجد منه نسخة في مكتبة لاللي : ٣٢٥٥ (انظر بروكلمان ٢ : ١٧٤) .
- (٩) انظر ثبوتا بتراجم ابي الفتح في ص ٢٢٦ من هذه الرسالة .
- (١٠) مخطوطة الاسكوريال ثاني : ٢٨٩ (انظر بروكلمان ١ : ٧٩) .

١٤ - أبو بكر عاصم بن أيوب البلوي (١) - (٤٩٤ / ١١٠٠)

٥٣ - شرح أشعار الحماسة (٢) .

٥٤ - شرح كتاب الأشعار الستة الجاهلية (٣) .

٥٥ - شرح ديوان امرئ القيس (٤) .

١٥ - أبو علي الحسن بن علي النعماني .

٥٦ - شرح كتاب معاني أليات الحماسة (٥) .

ثانيا - اتجاهان في التأليف كبيران :

هذا عدد من الكتب يتحدث عن طبيعة التأليف الغالبة على

اللغة والنحو في هذا العصر . وإذا استثنينا بعض المؤلفات الصغيرة وجدنا هذا التأليف يمثل اتجاهين كبيرين : اتجاه لشرح الكتب التي أصبحت عدة دارجي النحو واللغة ، وهي ثلاثة أنواع : ١ - شرح لداوين شعرية ، كديوان المتنبّي والمعري ، ٢ - شرح لمجاميع ، كديوان الحماسة والأشعار الستة ، ٣ - شرح " للمقررات " النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والفتاوى للقيلي وأدب الكتاب والنويب

(١) كان من أهل المعرفة بالآداب واللغات ضابطا لهما . وعليه درس ابن السيد البطليوسي (الصلة : ٤٢٧ ، وانظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٣ ، ويسميه البطليوسي) .

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨٩ ، ومن الكتاب نسخة في مكتبة فيض الله : ١٦٤٠ ، (انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٣) .

(٤) طبع بمصر ١٢٨٢ / ١٨٦٥ ، ١٣٠٧ / ١٨٩٠ ، ١٣٢٤ / ١٩٠٧ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

المصنف واصلاح المنطق . اما الاتجاه الثاني فهو التأليف المعجمي . وهو من حيث الكم أقل بكثير من الاتجاه الأول . واذا كان ابو عبيد البكري وابن السيد ابرز من يمثل الاتجاه الاول ، فان ابن سيده يعتبر اكبر من يمثل الاتجاه الثاني وان شارك بعض مشاركة في الاول . وهذا موضع التوجه الى دراسة معثلي هذين الاتجاهين ودراسة اهم مؤلفاتهم .

(١) الاتجاه الى الشرح :

١ - أبو عبيد البكري وكتابه " فصل المقال " و " اللآلي " .

أ - شيء من سيرة البكري :

ينتسب عبد الله بن عبد العزيز (١) أبو عبيد الى اسرة من الامراء كانت تحكم ولبة وشلطيش واونبة ولبلة في عصر ملوك الطوائف ، الى ان تغلب عليها المعتضد ابن عباد من يد والد ابي عبيد اي عبد العزيز البكري فلحق الاب بقرطبة ومعه عائلته جميعا ، ويصف ابن حيان هذا الحادث بقوله : " وبشر منه رجلا سوريا عاقلا غنيما أدبيا يفوق صاحبه ابن يحيى حالا وخلاا الى زيادة عليه بيت السرو والشرف ، وابن له بذ الاقران جمالا ومهارة وسروا وأدبا ومعرفة يكنى ابا عبيد " (٢) . وعاش ابو عبيد في قرطبة بعد لجوء اهله اليها . ويقول الدكتور حسين مؤنس : " ولا ندرى كم اقام ابو عبيد في قرطبة ،

(١) ترجمته في : الذخيرة للقسم الثاني : ٩٢ مخطوطة بغداد ، والصلة : ٢٧٧ ، والجلسة ٢ : ١٨٠ ، القلائد : ١٩١ ، الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ . وانظر ما جمعه الاستاذ اليمني من تراجمه في صدر سبط اللآلي .
(٢) الذخيرة ، القسم الثاني الورقة : ٩٢ - ٩٨ ، مخطوطة بغداد ، الجلسة السراء ٢ : ١٨٢ .

ولكن الثابت انه لم ينفادها الا بعد ان ذاع صيته بالعلم ورغب بعض أمراء النواحي في ان ينتقل الى بلادهم " (١). وفي هذه الفترة اتصلت الاسباب بينه وبين بعض شعراء قرطبة فنراه يمدح الوزير المعروف بابن السقاء ولكن شعره لا يدل كثيرا على تمكن في الشاعرية . ويرى الدكتور مؤنس انه الف في هذه الفترة كتابه التبيين على اوهام ابي علي في أماليه ، لأن الكتاب يحمل طابع الشباب والرغبة في الظهور عن طريق تعقب شيخ من شيخ الادب كابي علي القالي (٢). ولكن اعتقد ان هذا الاستنتاج غير صحيح ، ان تدل مقدمة الكتاب على انه الفه للمعتد بن عباد ، وهذا يعني انه متصل بفترة اقامته في اشبيلية لا في قرطبة . وأيضا كان الامر فان ابا عبيد أخذ ينتقل معرجا على أمراء الطوائف . ويذكر ابن البار في الحلة انه صار الى محمد بن معن صاحب المروة ، فاصطفاه لصحبته وآثر مجالسته والأنس به ورفح مرتبته ووفر طعامه (٣). وكان ابن صماح هو صاحب المروة ، ويبدو ان ابا عبيد لم يظل الاقامة في كنفه ، وانما آثر الارتحال الى اشبيلية في كشف المعتد بن عباد ، وظل فيها الى ادركته منيته سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ . ويورد له النويري شعرا يهنيء به المعتد بفتح تم سنة ٤٧٧ / ١٠٨٤ (٤).

وتظن المصادر في سرد الفضائل العلمية لدى ابي عبيد فتقول انه " كان من اهل اللغة والآداب الواسعة ، والمعرفة بمعاني الاشعار والغريب والانساب والاخبار، متقنا لما قيده ضابطا لما كتبه ، جميل الكتب متبهما فيها ، كان يمسكها في

(١) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مجلد ٧ ، ٨ ص : ٣١١ .

(٢) المقالة السابقة : ٣١٢ .

(٣) الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ ، وانظر الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .

(٤) نهاية الارب ١ : ٤٣ .

سباني الشرب وغيرها اكراما لها وصيانة" (١). ويقول فيه ابن بسام : " كان بأنقا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، واولهم بالبراعة والاحسان ، وابعدهم في العلوم طلقا . . . ولولا تأخر ولادته وعهدة ني زيادته ، لأنسى ذكر كنيه المتقدم الأوان (ابن عبيد بن سالم) " (٢). وبلغ من الشهرة حدا ان كان ملوك الاندلس يشهدون مصنفاته (٣) .

وقد تحدثت المصادر عن ولعه بالخمر ، واتهمه الفتح في القلائد بأنه " كان مباركا للراح لا يصحو من خمارها ولا يحو رسم امانه من مضارها " (٤). ولكني أؤيد الدكتور مؤنس في ما ذهب اليه من شك في هذه المبالغة ، اذ ان من الف هذا القدر من الكتب لا يمكن ان يكون مدسسا . وكل ما نستطيع ان نقوله ان ابا عبيد كان يشرب الخمر متأثرا بضياع ملك ابيه ، وبالوضع الذي كانت عليه الاندلس ، فكان شربه لها ضرا من التسلية والتعاسا للمسلوان (٥) .

ولما توفي ابو عبيد كان قد نيف على الثمانين . وقد رآه الفتح وهو في سنّ كبيرة ، ووصفه بقوله " رأيت ، وانا غلام ما اقصر هلالا ولا نبع في الذكاء كثرى ولا زلالي ، في مجلس ابن منظور ، وهو في هيئة كأنما كسيت بالبهاء والنور ، وله سبلة يروق العيون ايماضها ، وفوق السواد يماضها وقد بلغ سنّ ابن محلم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم " (٦) .

(١) الصلة : ٢٧٢ .

(٢) الذخيرة القسم الثاني الورقة : ٩٧ مخطوطة بغداد .

(٣) الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .

(٤) قلائد الحقيان : ١٩١ .

(٥) انظر مقالة الدكتور مؤنس : ٣١٥ .

(٦) القلائد : ١٩١ ، والاشارة الى عوف ابن محلم ، الذي يقول : ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

وقد درس ابو عبيد كثيرا من الأصول اللغوية التي جلبها القالي الى الاندلس .
وقد تقدم الخبر عن شدة غرامه باقتناء الكتب ، لذلك كانت ثقافته شديدة التصوع .
وقد عدّ له الاستاذ اليميني اثني عشر مؤلفا ، بعضها في الجغرافيا وبعضها في
النبات وفي اعلام النبوة . ومن الحريف ان تكون ثقافته اللغوية أساسا هاما في
الاتجاه المعجمي الذي سار فيه . فكتابه "معجم ما استعجم" هو استخراج لأسماء
الأماكن من الاخبار والحديث والتواريخ والاشعار . وكتابه في النبات ذو صلة وثيقة
أيضا باللغة . وكان ابو عبيد من القادرين على ان يوجه جهوده في الاتجاه المعجمي
للغوى لما اوتي من سعة في الاطلاع ، ولكنه آثر الشرح والتعقب لأمّهات الكتب
المشرقية . ولعل ذلك انما يعود الى اكتفائه بالعين والبارع واضرابهما في الناحية
المعجمية . فمن كتبه التي تمثل الاتجاه الى الشرح :

ب - فصل المقال في شرح كتاب الامثال لأبي عبيد القاسم بن

سالم

لقي كتاب ابي عبيد اهتماما في المشرق والمغرب

واعتنى به الاندلسيون أنفسهم في دور مبكر فلخصه ابن عبد ربه في كتاب العقد .
ثم كان من جملة الكتب التي ادخلها القالي أيضا الى الاندلس ، وتلقاه عنه
تلاميذه . وبعد كتاب "فصل المقال" من أهم الشرح والتعليقات الاندلسية عليه .
وكتاب ابي عبيد البكري معرض لسعة اطلاع مؤلفه ، فقد اشار فيه الى ما يقرب من
ثلاثين كتابا نقل عنها (١) . ورجع الى مؤلفين في الامثال ممن لم يشر اليهم ابو عبيد
القاسم في كتابه ومن هؤلاء :

(١) مقدمة فصل المقال : ك

عبيد بن شوية ، وعلاقة بن كرشم الكلابي وأبو عمرو بن السلاء ،
 (- حوالي ١٥٤ / ٧٧١) ، واللحياني : علي بن حازم ، كما ان هناك مصنفات
 أخرى هامة استفاد منها البكري ، صفت بعد وفاة ابي عبيد القاسم ، ومن اصحابها :
 ابن الاعرابي : (- ٢٣١ / ٨٤٦) الذي الف كتابا عنوانه " تفسير الامثال " ؛ ويحتوب
 ابن السكيت ، (- ٢٤٤ / ٨٥٨) ، وله كتاب في الامثال ، والجاحظ (- ٢٥٥ /
 ٨٧٠) وله كتاب في الامثال . وقد اورد الجاحظ كذلك مجموعة من الامثال في
 كتابيه الحيوان والبيان والتبيين ، من المحتمل ان يكون البكري قد استفاد منها ، وابو
 محمد عبد الله بن قتيبة (- ٢٧٦ / ٨٨٩) ، وله كتاب " حكم الامثال " . غير ان
 البكري لم يورد اسم الكتاب بل اورد اسم الكاتب فقط ، والمنفصل بن سلمة
 المتوفى (- حوالي ٢٩٠ / ٩٠٣) ، وكتاب " الفاخر في الامثال " من الكتب التي وصلت^١ ،
 واحمد بن يحيى ثعلب (- ٢٩١ / ٩٠٤) وله كذلك كتاب في الامثال (٢) .

وقد أوجز البكري منهجه في الكتاب وغايته منه في المقدمة حيث قال :
 " فاني تصفحت كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سالم فرأيت أنه قد أغفل تفسير كثير من
 تلك الامثال ، فجاء بها مهملة ، واعرض أيضا عن ذكر كثير من اخبارها ، فأوردها
 مرسله . فذكرت من تلك المعاني ما أشكل ، وصلت من تلك الامثال بأخبارها ما فصل ،
 وبينت ما أهمل ، ونهيت على ما ربما أجمل ، الى ابيات كثيرة غير منسوبة نسبتهما ،
 وامثال جملة غير مذكورة ذكرتها ، والفاظ عدة من الغريب فسرتها " (٣) .

وانما قام البكري بهذا العمل لأن الكتاب المشرح اعتمد الايجاز اسلوبا

(١) طبع بليدن عام ١٩١٥ ومصر عام ١٩٦٠ .

(٢) انظر مقدمة المحققين على كتاب فصل المقال .

(٣) مقدمة البكري ، ٣ .

له ، ووقع مؤلفه في الوهم أحيانا ، وهذا أتاح للبكرى ان يشن هجوما قويا على بعض الهنات في مواضع كثيرة من الكتاب ، مثلما فعل في باب " صيانة الرجل الحر نفسه عن خسيس المكاسب " (١) :

" قال ابو عبيد : وقال الشاعر :

ففى كان يدينه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

قال : وهذا البيت يقول بعضهم انه لعثمان بن عفان . . " فيثور البكرى قائلا : " كيف جهل أبو عبيد ان هذا البيت من شعر الايرد اليربوعي ، وهو أشهر في الناس من ان يجهله احد . . وانما روي عن عثمان . . انه قال البيت متعلا . " وقد تتبع البكرى ابا عبيد القاسم في غير ذلك من الاوهام ، في النسب وفي صحة الاسماء وفي الشج والتوجيهات اللغوية .

غير ان البكرى ليس دائما منصفاً في احكامه ، وهو في مرات كثيرة يجانب الصواب في تعسفه . فقد فسر ابو عبيد القاسم المثل " عند فلان من المال عائرة عين " بان لديه من كثرة المال ما يملأ العين حتى يكاد يعورها ، فقال البكرى : " قبح الله كل مال يكاد يفقأ العين حين النظر " . والواقع ان علماء آخوين قبلوا هذا التفسير ، وان البكرى لم يزد على ان اختار توجيه ابي عبيدة في فهم المثل (٢) . كما ان البكرى وقع في كثير من الاحيان فيما لام فيه ابا القاسم . فهو يورد اشعارا دون نسبتها الى اصحابها (٣) .

ولا ريب في أن الكتاب قسم من الناحية اللغوية أولا بما احتواه من

(١) فصل المقال : ٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٢٧ والتعليقات .

(٣) المصدر نفسه : ٢١٢ .

تحقيق في الأصول والأخبار وتدقيق في الروايات الشعرية وثانيا فيها اعتمد ابو عبيد شرحه من الالفاظ اللغوية وهو يمثل مع "الآلسي" جهدا علميا في استكمال أصلين من أصول اللغة، فهما أشبه شي" بتذييل ملحق عليهما للتوسيع والتصويب، ولا يحسن مثل هذا العمل الا لغوى واسع الاطلاع كالبكري .

جـ - الآلسي في شرح امالي القالي :

قال البكري في مقدمة كتابه : " هذا كتاب شرحت

فيه من النوادر التي املاها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي ما اغفل، وبينت من معاني منظومها ومنشورها ما اشكل، ووصلت من شواهدا وسائر اشعارها ما قطع، ونسبت من ذلك الى قائله ما اهل، وكثيرا ما يرد البيت المفرد، والشعر الغفل المجرد . . وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ابو علي ذكر مرجح ناقد، ونسبت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند، محتج على ذلك بالدليل والشاهد . . " (١).

وأول ما نلاحظه في هذه المقدمة ذلك التقارب بينها وبين خطبته في

فصل المقال . فكلتاهما ترسم منهج البكري رسما واضحا للحدود والسمات .

لقد كان الاستقصاء ميزة مهمة من ميزات البكري ساعدته على هذا النوع

من التأليف . وهذا الاستقصاء لا يتمثل بتتبع الاخطاء فحسب، وانما يظهر واضحا أيضا بالبحث في الصحيح أيضا وإيراد الروايات المختلفة فيه وشرح جوانبه الغامضة، سواء أكانت نثرا أم شعرا .

ونستطيع ان نجد مثلا على شرح البكري في حديثه عن المهلهل . فلقد

جاء في الكتاب (٢) :

(١) الآلسي في شرح الامالي، المقدمة : ٤ .

(٢) الآلسي : ١١١ .

"وانشد ابو علي المهمل :"

فلو نبش المقابر عن كليب"

يبدأ البكرى شرحه بنسب المهمل فيقول :

"مهمل اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث من بني تغلب بن وائل وقد
أورد النسب ولاحظ ان هناك اكثر من رواية في اسمه فقال : " وقيل اسمه عدى ."
وكان لا بد ان يورد الشاهد على هذا الاسم الاخير ، والشاهد قول المهمل نفسه ،

ضربت صدرها الي وقالت يا عديا لقد وقتك الاواني

ولكنه يورد ايضا شاهدا تأييدا لقول من قال ان اسم المهمل امرؤ القيس :

ضربت صدرها الي وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق

ثم يفسر البكرى سبب تسمية امرؤ القيس بالمهمل فيقول :

" وانما لقب مهمل لأنّه اول من همل الشعر اى رقه " . ثم يورد قول الطوسي :
سُمي مهملًا ببيت قال لزهير بن جناب ،

لما تعرّ في الكراع هجينهم هملت أثار جابرا او صنبلا "

ثم يورد الابيات نفسها شارحا اللفاظ الغريبة منها :

" شاعر جاهلي ، وهذا الشعر يقوله لما ادرك بثار اخيه كليب ، واسم كليب
وائل وكنيته ابو العاجدة ، وانما لقب كليب بالجرى الذى اتخذه ، قال مهمل :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب اى زير

بيوم الشعثين لقر عينا وكيف ايباب من تحت القبور

باني قد تركت بواردات بجيرا في دم مثل العير

وهما بن مرة قد تركا عليه القشعان من النور "

والبكى يأخذ على القالي أحيانا انه لا يدقق فيما يرويه . من ذلك،
مثلا ، حين ينقل عن القالي البيت التالي (١) :

فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق
فيخلق الهوى قائلًا :

" هكذا رواء ابو علي ، وما يجمع بين الاروى والنعمام ، كيف يقر على نفسه
بالهجران وهو يدعي من شدة الوجد وزفرات الحب ما يدعيه . والرواية الصحيحة :
فما ذقت طعم النوم منذ نأيتم ... "

ومن ذلك ايضا : " وقال ابو علي ان أصل المثل في قولهم : سبق
السيف العذل ، للحارث بن ظالم ، وهذا وهم ، وانما أصله لخبثه بمن أد
والمقتول الحارث بن كعب " (٢) .

غير ان البكرى لم يكن دائم التوفيق في استقصائه واعتراضاته ويؤخذ عليه
في هذا المجال ملاحظات منها :

انه اخذ على القالي في كثير من الاحيان وقوعه في اوهام يعود " اكثرها ..
على اشياخ القالي كابن دهر وغيره " (٣) .

وهناك امثلة كثيرة على خلاف البكرى مع القالي ، في غير موضع
للخلاف ، حين يختار البكرى رواية ما ويرفض الرواية التي اختارها القالي مع ورود
الروایتين وجوازهما .

-
- (١) اللآلي : ١٣٠ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٢٤ .
(٣) مقدمة اليميني : س .

والبكرى يتهم القالي في مواضع كثيرة بالخلط بين شعريين مختلفين أو بتركيب بيت من شطرين متباعدين أو خلاف ذلك من الاوهام التي مرت بنا حين تحدثنا عن كتاب البكرى الذي جعله بعنوان " التنبية على أوهام أبي علي في أماليه " . وقد اعترضت البكرى آيات لم يستطع تخرجها وردّها الى أصحابها ، أو لم يستطع تفسيرها وذكر مناسباتها . وكان في مثل هذه الاحوال يترك فراغا ليدل به على ان هناك خلافا لم يستطع ان يصلحه اولم يتسن له ذلك . ومثل هذا نجده في النسخة المطبوعة حيث نجد العبارة التالية : " بقي كلام المؤلف هنا قدر سطرين ميمض في الأم " (١) .

ورغم ما قد يؤخذ على البكرى من حماسة ومن شطط احيانا في معالجته لعمل القالي ، ورغم ما قد يكون في شرحه من غرور ونقص وخطأ احيانا ، فانه قد بذل مجهودا عظيما وتقصّى واعطانا فوائد كثيرة ، بما بين من غوامض الاحداث ، وما شرح من شتى المناسبات . وكان على الغالب امينا في عمله ، صابرا في تتبع شوارد العلم والادب والتاريخ واللغة .

٢ - ابن السيد البطليوسي (٢) وكتابه " شرح السقط " و " الاقتضاب "

١ - سيرة ابن السيد :

هو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي نسبة الى

بطليوس . ولد فيها سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١٠٤٨ م) .

(١) السالكى : ٤٤٨ .

(٢) انظر ترجمته في الصلة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، قلائد العقيان :

١٩٣ ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجوزى ١ : ٤٤٩ ، معجم البلدان

٢ : ٤٤٢ ، بنية الوعاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ٤٨ ، شذرات الذهب

٤ : ٦٤ ، الديباج المذهب : ١٤٠ ، ازهار الياض ٣ : ١٠١ - ١٠٢ .

ومع ان بطليوس هي المدينة التي ولد فيها وانتسب اليها ، الا انها لم تكن أساسا مقاما للأسرة فان " شلب ييمته ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ، وفيها كان قرارهم ، ومنها نسم آسهم وعرارهم ، ونسب الى بطليوس ، لمولده بها " (١) .
على أية حال ، لسنا نملك من الاخبار ما يعيننا على استكشاف نشأة ابن السيد ، لذلك لا نستطيع ان نحدد متى ترك بطليوس ، ولماذا تركها . وقد توجه أول الأمر الى مدينة قرطبة وسكنها لفترة من الزمن أيام محمد بن الحاج (٢) . غير انه ورط نفسه بهوى ثلاثة صبيان من اولاد أحد المعتقدين ، وخاف على نفسه منه ففر من قرطبة وخرج الى بلنسية (٣) . ويبدو ان المقام في بلنسية كان اكثر هدوءا واستقرارا ، فلم يضطر الى الانتقال الى بلد جديد ، بل مكث هناك ، " وألف بها تواليفه الى ان توفي " (٤) . وكانت وفاته سنة احدى وعشرين وخمسمائة (١١٢٧ م) .

ودرس ابن السيد في اول الامر على أخيه علي بن محمد (٥) . غير انه كان له اساتذة آخرون فقد روي عن ابي بكر عاصم بن ايوب الأديب ، وعن ابي سعيد الوراق ، وابي علي الغساني وغيرهم (٦) . وقرأ على عبد الله بن محمد بن خلف الداني (٧) .

وقد درس عليه تلامذة كثيرون وعرف بانه " كان حسن التعليم جيد

-
- (١) أزهار الرياض ٣ : ١٠٥ .
 - (٢) انباء الرواة ٢ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .
 - (٣) انباء الرواة ٢ : ١٤٢ - ١٤٣ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .
 - (٤) انباء الرواة ٢ : ١٤٣ .
 - (٥) الصلوة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ .
 - (٦) الصلوة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ - ١٤١ .
 - (٧) غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ١ : ٤٤٩ .

التلقين ثقة ضابطا ، أخذ الناس منه وانتفعوا به " (١) وشهر بالاستاذية في النحو والعربية فكان الناس يقصدونه " ويقرأون عليه ويقتبسون منه " (٢) .

وقد امتدحه كثيرون وقالوا عنه انه " النحوى اللغوى صاحب التصانيف والشعر " (٣) ، وانه " الامام المشهور في اللغة والعربية " (٤) وانه " كان عالما بالآداب واللغات مستبحرا فيهما ، مقدما في معرفتهما واتقانها " (٥) . غير ان آخرين بالغوا في المدح واطنبوا في الثناء فجاء في كتاب المقرئ التلمساني انه " الفقيه الحافظ ، الامام الاوحد " (٦) ، وانه " من حيث كان فقد طبق الأرض علما ، وملاها ذكرا " (٧) . وقال عنه ابن خاتان : " شيخ المعارف وامامها ومن في يديه زمامها ، لديه تشدد ضوَال الاعراب وتوجد شوارد اللغة والاعراب الى مقطع دمث ومنزع في النفاسة غير منكث وقد نصب نفسه لاقرأ علوم النحو وقع بتخييم جوه بعد الصحو . وله تحقق في العلوم الحديثة والقديمة وتصرف في طرقها القويمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرح ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع " (٨) . وواضح ان ابن خاتان يخلط هنا بين علم ابن السيد وأخلاقه ، ويحاول ان يبرز معرفته بالعلوم الحديثة دون ان يورطه بتهمة التكبر عن الدين . ومن اقتباسنا السابقة نستطيع ان ندرك ان اللغة والدراسات اللغوية هي التي استأثرت باهتمام ابن السيد .

(١) الديباج المذهب : ١٤١ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ .

(٣) معجم البلدان ٢ : ٤٤٧ .

(٤) غاية النهاية ، ابن الجزرى ١ : ٤٤٩ .

(٥) الصلاة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤١ ، انباء

الرواة ٢ : ١٤١ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٤ - ٦٥ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .

(٦) ازهار الرياض ٣ : ١٠٥ .

(٧) المصدر نفسه

(٨) قلائد العقيان : ١٩٤ .

ولكنه كان مكثرا من الشعر والترسل . ودراسة هذا القدر الكثير الذى تبقى من أدبه يخرجنا الى غير ما قصدنا له في هذه الرسالة .

ب - شرح سقط الزند : *

ذكرت فئة من المترجمين هذا الكتاب^(١) ، وامتدحه بعضهم وقالوا ان ابن السيد " شرح سقط الزند لابي العلاء المعرى شرحا استوفى فيه المقاصد . وهو أجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان الذى سماه ضوء السقط "^(٢) . وقد رتب ابن السيد قصائد المعرى حسب ترتيب المغاربة لحروف الابدية^(٣) .

وهذا الترتيب الذى اتبعه ابن السيد أخرجه أحيانا عن ديوان السقط لعدم توفر القوافي التي تسد الحروف كلها . وفي ذلك يقول : " فاحتجت لذلك ان أزيد فيه ما يفي بالعرض "^(٤) ، وكان لا بد لكي يفي بالعرض ان يزيد القوافي التالية :
الطاء ، الخاء ، الذال ، الشين ، الضاد ، الظاء ، الخين ، الهاء ، من غير سقط الزند . ومع ذلك فانه لم يشرح كل ما شرحه الآخرون من ديوان السقط بل ترك أحيانا مقطوعات دون شرح كما هو الحال في المقطوعة التي مطلعها^(٥) :

أعاض مزن اورد البحر زوده فلما تروّت سار شوفا الى نجد

* انظر تعليق الاستاذ محمد سليم الجندى على هذا الشرح : الجامع في اخبار ابي العلاء المعرى وآثاره : ٧٢٠ ، ط ١٩٦٣ .

(١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، انباء الرواة ٢ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ٩٩٢ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ . وانظر أيضا : كشف الظنون : ٩٩٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ .

(٣) ان نشر هذا الشرح مع شركين آخرين آخروا اقتضى من المحققين اعتماد أقدم الشرح وبذلك اضطرب الترتيب الذى اختاره المؤلف (انظر مقدمة التحقيق ص : ل)

(٤) شرح سقط الزند ١ : ١٥ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ٣٩٠ - ٣٩١ .

ويضحى والحديد عليه شاك وتكفيه مهابة النزالا

فانه يقول : " يقال رجل شاك في السلاح ، منقوص على وزن قاض ، وشاك بضم الكاف والتخفيف ، وشاك بضم الكاف والتشديد . فمن كسر الكاف وجعله منقوصا مثل قاض فيه وجهان : أحدهما ان يكون مقلوبا من شاك كما قالوا جرف هار ، وأصله هائر . والثاني ان يراد به شاك ، وهو فاعل من الشكة ، فأبدلت الكاف الثانية ياء ، ثم أعلّ كما أعلّ قاض ... " (١).

ومن الطبيعي ان يعتمد كل شاح على الاستشهاد بما يقوى رأيه او موقفه ولذا فان شرح السقط كخيره من كتب الشرح مملوء بالشواهد الموضحة من آيات واحاديث وامثال وتفسيرات لفظية واختلاف في الآراء حول اللفظة الواحدة أحيانا ، مع ذكر لصاحب الرأي المعتمد . الا أن نسبة الآراء الى قائلها قليلة لديه ومن هذه المواضع النادرة قوله : " . . . والبرود الثياب . وقال ابو حاتم : لا يقال لها برود حتى يكون فيها وشي " (٢) ، وقوله : " والمرصم : الجيش الكثير ، في قول الاصمعي ، والشديد ، في قول ابي عبيدة ... " (٣) .

ج - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب :

ذكر اكثر الذين ترجعوا لابن السيد كتابه " الاقتضاب فسي

شرح أدب الكتاب " ، وقالوا عنه انه " شرح مفيد جدا " (٤) . وقد عرفه بعضهم

(١) شرح سقط الزند ١ : ٦٦ . وانظر كذلك : ١ : ١٣٤ ، ١٦٤ ، ٢١٢ ، ٢٦٠ ،

٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٣٣٠ السخ ...

(٢) شرح سقط الزند ١ : ٣٠٥ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ٣٣١ ، وانظر ١ : ٣٤١ ومواضع أخرى .

(٤) كشف الظنون : ٤٧ .

باسم " الاقتصاب في شرح آداب الكتاب " (١) او " شرح أدب الكاتب " (٢). وقد كان ابن السيد أحد شراح اندلسيين كثيرين تناولوا كتاب ابن قتيبة بالشرح ولا ندري كم أفاد من شرح من سبقه ولكن ابا عبد الله بن خبطة النحوي كتب رسالة ناقض فيها البطليوسي واتهمه بأنه أغار على شرح لابن بلال المرسي وانتحل له لنفسه وسماه بالاقتصاب (٣)، ولا ندري مبلغ الانصاف في هذا القول ولكن يبدو أنه من قبيل المغايرة بين المتعاصرين . ويظهر الغاية من تأليف الكتاب واضحة في الجزء الثاني منه . فابن السيد في هذا الجزء يتتبع ابن قتيبة في أكثر من نوع من أنواع الخطأ فقد جعله " في التبيين على ما غلط فيه واضع الكتاب .. " (٤) . فالفكرة الرئيسية في الكتاب هي تتبع اغلاط ابن قتيبة وأوهامه ومتناقضاته . غير ان هناك القسم الأول في شرح خطبة ابن قتيبة ، والقسم الأخير في شرح ابيات كتابه . وهذا يعني أن الكتاب يقع في ثلاثة اقسام :

١ - " تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب وذكر اصناف الكتب ومراتبهم وجل ما يحتاجون اليه في صناعتهم " (٥) .

٢ - " والجزء الثاني في التبيين على ما غلط فيه واضع الكتاب او الناقلون عنه وما منع منه وهو جائز " (٦). وفي هذا الجزء يتحدث في " نكت من هذا الديوان يجب التبيين عليها والارشاد اليها " (٧) .

-
- (١) الديباج المذهب : ١٤١ .
 (٢) بغية الوعاة : ٢٨٨ .
 (٣) التكملة : ٢٠ .
 (٤) الاقتصاب : ٢ .
 (٥) المصدر نفسه : ٢ . (٢ - ١٠٥)
 (٦) المصدر نفسه : ٩٠ . (٦٦ - ٢٨٦)
 (٧) المصدر نفسه

٣- والجزء الثالث في شرح أبياته . وهو ما هنا يتحدث في " مشكل اعراب أبياته ومعانيها وذكر ما يحضر . . . من أسماء قائلها " (١).

ويبدو واضحاً في هذا التقسيم الهدف التعليمي للمؤلف، لكنه أيضاً معلم عالم فهو لا يكتفي بالشرح وإنما يتتبع الخطأ حيث وجده ويحاول الوصول الى وجه الصحيح . وهذه هي ضروب الخطأ التي تعقبها :

١- المواضع التي غلط فيها ابن قتيبة فنبه ابن السيد عليها . ففي باب " ومن المصادر التي لا أفعال لها " (٢) يقول ابن السيد : " ترجمة هذا الباب مخالفة للكثير مما تضمنه لأنه ذكر فيه مصادر لها أفعال مستعملة . فمنها قوله : رجل غمر أى لم يجرب الأمور بين الغارة من قوم أغمار . وهذا له فعل مستعمل ، يقال : غمر الرجل غمارة على مثال قبح قباحة " (٣) . ومنها قوله كلبة صارف بيّنة الصريف وناقصة صروف بيّنة الصريف ، فهذا له فعل مستعمل أيضاً ، يقال : صرفت الكلبة " (٤) . مثال آخر على ذلك نجده حين يتتبع تفسير ابن قتيبة لبیت عمرو بن قميئة :

" بودك ما قومي علي ان تركتهم سليمان اذا هبت شمال وريحها وقال معناه على ودك " (٥) يقول ابن السيد : " كذا قال يعقوب في كتاب المعاني ومنه نقل أكثر هذه الابواب . وقد غلط يعقوب في معنى البيت واتبعه ابن قتيبة على غلطه . وليس في هذا البيت حرف ابدل من حرف ، ولا ما فيه

(١) الاقتضاب : ٢٠٢ (٢٨٢ - ٤٧٧)

(٢) المصدر نفسه : ١٨٢ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

زائدة على ما قال . انما الباء ها هنا بمعنى القسم وما استفهام في موضع رفع على الابتداء ، وقوي خبره . والمعنى بحق العودة التي بيني وبينك اى شي " تومي في الكرم والجود عند هبوب الشمال ، يريد زمان الشتاء .. " (١).

٢- تتبع اضطراب ابن قتيبة حين يجيز في موضع من كتابه ما منه في موضع آخر . مثال ذلك : " وقال في هذا الباب : أغامت السماء وأغيغت وتغيغت ، ولم يجز غامت . قال المفسر : قد أجاز في باب فعلت وأنعلت باتفاق المعنى : غامت السماء وأغامت ، ونسي ها هنا ما قاله هناك " (٢). مثال ذلك أيضا : " وقال في هذا الباب وهو بثق السيل وهو ملك يميني . قال المفسر : قد ذكر في باب ابنية الاسماء من كتابه هذا انه يقال بثق وبثق وبثق وبثق ، ونسي ها هنا ما قاله هناك " (٣).

٣- أشياء جعلها من لحن العامة " وعول في ذلك على ما رواه ابو حاتم عن الاصمعي وأجازها غير الاصمعي من اللغويين كابن الاعرابي وابي عمر الشيباني ويونس وابي زيد وغيرهم . وكان ينبغي له ان يقول ان ما ذكره هو المختار او الافصح ، او يقول هذا قول فلان ، وان لا يجحد شيئا وهو جائز من أجل انكار بعض اللغويين له ، فيقول ذلك رأى غير صحيح ومذهب ليس بسديد " (٤). ومن امثلة هذا النوع من انواع التتبع : " وقال في هذا الباب - باب ملايهمز والمعوام وتهمزه - علقت الدابة ولم يجز أعلفتها . قال المفسر : قد حكى ابواسحاق

(١) الاقتضاب : ٢٥٢ . وانظر : ٢٣٠ ومواضع اخرى كثيرة .

(٢) المصدر نفسه : ١٩٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٥ ، وانظر أيضا : ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

السخ ..

(٤) المصدر نفسه : ١٠٦ .

الزجاج ، علفت الدابة وأعلفتها " (١). مثال ذلك أيضا في " باب ما جاء بالصاد وهم - اى العامة - يقولونه بالسين " : " وقال في هذا الباب بخصت عينه بالصاد ولا يقال بخستها ، انما البخش النقصان . وذكر صنعة الميزان والصابغ والصندوق وصق الرجل وبزق ، ولم يجز السين في شيء من ذلك . قال المفسر : هذه الاشياء كلها تقال بالصاد والسين . حكى ذلك الخليل وغيره . فاما البخش الذى يراد به النقصان ، والسنجة التى يراد بها مشاقة الكتان فبالسين لا غير " (٢). ويلاحظ ان ابن السيد في هذا المثل الأخير ، وفي امثلة اخرى كثيرة ، يتجنى على ابن قتيبة ويحتج عليه بروايات شاذة . وابن السيد نفسه يعترف بذلك في مواضع أخرى ، ففي " باب ما جاء بالسين وهم - اى العوام - يقولونه بالصاد " : " قال في هذا الباب : اخذته قسرا ولا يقال قصرا . وقد قصره اى حبسه . ومنه : حور مقصورات في الخيام ، فاما القسر فهو القهر . قال المفسر : هذا الذى قاله هو المشهور . وقد حكى يعقوب اخذته قسرا وقصرا بالسين والصاد بمعنى القهر " (٣). فالذى ذكره ابن قتيبة ، انن ، هو ، باعتراف ابن السيد ، المشهور .

٤- النوع الرابع والاخير من انواع الخطأ التى يتبعها ابن السيد تلك المواضع التى وقعت غلطا في رواية ابي علي البغدادي " فلا أعلم اهي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه " (٤) ، وقد اشرت اليها في الفصل السابق ومن امثلتها أيضا ، ما جاء في " باب النبات " (٥) ، " وقال في هذا الباب : الزرجون الكرم ،

(١) الاقتصاب : ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ . وانظر كذلك في هذا المجال : ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، السخ ...

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه : ١٢٨ .

وقال الاصمعي : هو الخمر ، وهو بالفارسية زرگون ، أى لون الذهب . قال
المفسر : كذا روى ابو علي الهندادى زرگون بتشديد الراء . وقال كذا اقرانيه
ابو جعفر ابن قتيبة . والصواب تسكينها ، ومعنى زر : ذهب ، ومعنى كون :
لون ، كأنه قال : لون الذهب " (١).

وهو في كل هذا يسير وفق ترتيب ابن قتيبة فيتبعه بابا بابا : " وانا
شارع في تبين جميع ذلك وترتيبه على ابواب الكتاب ، بحسب ما أحاط به علمي
وانتهى اليه فهمي " (٢).

وأتى ابن السيد بالمبارة التي يعترض عليها ، ثم يشفعها بعبارة " قال
المفسر " - كما شاهدنا في الامثلة السابقة - موردا موضع الاعتراض .

وابن السيد يرد الاقوال والآراء الى أصحابها . لذلك فان الاسماء تتردد
كثيرا : " .. هذا الذى قاله ابن قتيبة هو المشهور عن الاصمعي وغيره ممن
اللخويين . وقد حكى ابو زيد الانصارى وذكر تاسم بن أصبح عنه يقال : تصدق
اذا سأل . وحكى نحو ذلك ابو الفتح بن جني وانشد :

ولو أنهم رزقوا على اقدارهم الفيت اكثر من ترى يتصدق

وذكر ابن الانبارى أيضا في كتاب الاضداد ان المتصدق يكون المعطي ويكون السائل،
وحكى نحو ذلك صاحب كتاب العين " (٣) . وهذا الحشد من اسماء اللخويين
يصحبه ، ولكن في أحيان قليلة نسيا ، ذكر لاسماء المؤلفات ، كما وجدنا في المثل
السابق ، وكما يمكن ان نجد في مواضع اخرى . (٤)

(١) الاقتضاب : ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١١٠ .

(٤) انظر مثلا : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، الخ ..

وتتردد عبارة " بعض اللغويين " (١) ، او " غيره من اللغويين " (٢).

وربما كانت اهم ظاهرة تنظم هذا الكتاب تلك التي تتعلق بالتحقيقات اللغوية والنحوية والصرفية . فابن السيد لا يترك فرصة تمر دون ان يسجل ملاحظة نحوية او صرفية ، او يسجل او يشرح ظاهرة لغوية . وتبدو لنا هذه الناحية في أول كلمة يقولها : " قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، اما بعد حمد الله بجميع محامده ، أما حرف اخبار يدخل على الجمل المستأنفة ، ويتضمن معنى حرف الشرط والفعل المشروط به ولذلك احتاج الى الجواب بالفاء كما يجاب الشرط . . " (٣) . ومثال ذلك أيضا : " . . . معلف بفتح الميم وكسر اللام لانه مكان للاعتلاف وكل فعل على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل فان اسم المكان والزمان منه مفعل بكسر العين كالمضرب والمغرس " (٤) .

ونستطيع ان نجد ، ها هنا أيضا ، مجالا للروايات والاخبار والطرائف . ومع ذلك فان المجال لم يكن واسعا في القسمين الاولين وانما معرض ذلك الصالح له هو القسم الثالث حيث شج الشواهد ، والحديث عن مناسباتها وناظيها ، وما الى ذلك .

(١) الاقتضاب : ١٤٥ ، وغير ذلك من المواضع .

(٢) المصدر نفسه : ١١٠ ، وغير ذلك من المواضع .

(٣) المصدر نفسه : ٢ .

(٤) المصدر نفسه : ١١٦ . وانظر كذلك : ١١٨ ، ١٢٨ ، ومواضع اخرى كثيرة .

(٢) الاتجاه الى التأليف المعجميابن سيده ومعجماء : المخصص والمحكم

أ- سيرة ابن سيده (١)

بما كان ابن سيده من اكثر علماء اللغة الاندلسيين الذين لا تقا شهرة واسعة ، وانتشرت مؤلفاتهم في الاندلس وخارجها . وسوف يظهر لنا مدى استحقاقه لمثل هذه الشهرة اثناء البحث في حياة هذا العالم الجليل وفي مؤلفاته . يكفي ان نلم هنا بقول صاحب المغرب : " لا يعلم بالاندلس اشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا اعظم تواليف ، تفخر مرسية به اعظم فخر ، طرّزت به برود الدهر ، وهو عندى فوق ان يوصف بحافظ أو عالم " (٢) .

اوردت المصادر اسم ابيه وجده فحسب فهو علي بن اسماعيل بن سيده ، حتى بالنسبة لاسم جده فليس من الواضح تماما هل هو جده المباشر ام هو احد الاجداد البعيدين ؟

على اية حال فان اسم جده او لقبه يمكن ان يشير الى اصل هذا العالم .

وابن سيده لم يكن - في الغالب - من اصل عربي ، بدلاتين : الاولى ، انقطاع سلسلة ترجمته في : الصلة ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ ، طبقات الامم : ٧٧ ، جذوة المقتبس ، ٢٩٣ - ٢٩٤ ، المغرب ٢ : ٢٥٩ ، الديباج المذهب : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٧ ، مطمح الانفس : ٧٠ ، نكت الهميان : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، بهجة الوعاة : ٣٢٧ ، نفع الطيب ٤ : ٣٥١ ، مرآة الجنان ٣ : ٨٣ (حوادث سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦) ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ - ٣٠٦ ، لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، تاريخ ابي الفدا ٢ : ١٨٦ (اخبار سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦) . وانظر : بروكلمان (ليدين ، ١٩٣٧) : الملحق ١ : ٥٤٢ .

(٢) المغرب ٢ : ٢٥٩ .

النسب عندايبه او جده على الاكثر ، والثانية ، هذه الصيغة " سيده " فانها اقرب الى ان تكون اعجمية . " وسيده بكسر السين المهملة ، وسكون اليا ، المشاء من تحتها وفتح الدال المهملة وبعدهما ها ساكنة " (١) .

ومع ان اكثر المراجع رأيت انه علي بن اسماعيل ، فان مراجع اخرى رأيت بانه علي بن احمد (٢) ، والرأى الاول أشهر . وهناك من ذكر الاسمين (٣) . وذكر آخرون ان اسم ابيه محمد (٤) .

ولم يذكر المؤرخون صراحة البلد الذي ولد فيه ابن سيده ، ولكن اتفق أصحاب التراجم على انه من اهل مرسية . ومن العسير ان نجزم بانه ولد هناك ، غير انه ليس عندنا من الدلائل ما يشير الى ولادته في غير هذا المكان . واكثر من ذلك فان الاخبار عن والد ابن سيده تذكر بانه " من اهل مرسية " (٥) . ثم هناك تلك الحادثة المشهورة بين ابن سيده وابي عمر الطلمنكي التي وقعت في مرسية .

ويمكننا ، بصورة تقريبية ، ان نحدد سنة ميلاد ابن سيده . فلتقد توفي ، حسب الرأى الغالب ، عام ٤٥٨ / ١٠٦٦ (٦) ، واتفق أصحاب التراجم الذين ذكروا سني حياته انه عاش ستين سنة او نحوها (٧) . وبذلك نستطيع ان نقول ان مولده كان في حدود عام ٣٩٨ / ١٠٠٨ .

-
- (١) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ .
 (٢) مطمح الانفس : ٦٠ ، نفع الطيب ٤ : ٣٥١ ، جذوة المقتبس : ٢٩٣ .
 (٣) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .
 (٤) بغية الوعاة : ٣٢٧ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .
 (٥) ابن بشكوال ١ : ١٠٥ .
 (٦) انباء الرواة ٢ : ٢٢٧ ، نكت الهميان ، الصفدى : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ٣٢٧ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .
 (٧) انباء الرواة ٢ : ٢٢٧ ، بغية الوعاة : ٣٢٧ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

وأما الإخبار عن ابن سيده فانها قليلة للغاية . وهي لا تتناسب قط مع الشهرة الواسعة التي نالتها مؤلفاته العظيمة . والواقع ان ابن سيده سليل اسرة مثقفة . فابوه من قبل كان عالما ، وقد تتلمذ الفتى ، اول ما تتلمذ ، على يديه . وهناك خبر او خبران يعطياننا صورة عن ابن سيده بعد ان يكون قد اكتمل علمه وزاد امره . فاول صورة نعرفها عنه ، صورة العالم الحافظ المشهور الذي يحتر به اهل مدينته ويفخرون به الزائرين من العلماء . والرواية التي رويت على لسان ابي عمر الطلمنكي تبرز هذا الجانب من شخصية ابن سيده : " وقال ابو عمر الطلمنكي : دخلت مرسية فتشبت بي اهلها يسمعون علي الخريب المصنف ، فقلت : انظروا من يقرأ لكم ، وأمسكت انا بكتابي ، فأتوني برجل اعنى يعرف بابن سيده ، فقرأ علي من أوله الى آخره ، فعجبت من حفظه " (١) . وقد اوردت المراجع هذه الرواية ^{لتحضر} بأشكال مختلفة .

وابرز ناحية تميزت بها شخصيته - وكان لها أثر كبير في حياته - ولادته كيف البصر لأب كيف ، فقد كان اعنى بن اعنى (٢) . وربما كان لهذه الناحية أثر في تكوين ابن سيده العقلي ، وقوة ذاكرته . وتشهد له كتبه بالذكاء والفتنة ، كما ان المؤرخين امتدحوه واطنبوا في امتداحه ، فلقد " كان نادرة وقته " (٣) وهو " احفظهم - احفظ علماء الاندلس - حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات . . كخريب المصنف واصلاح المنطق " (٤) .

(١) نفع الطيب ٤ ، ٣٥١ .

(٢) المصدر نفسه ، وذكر ذلك أصحاب التراجم الآخرون الذين ترجموا لابن سيده او ترجموا لآبيه .

(٣) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .

(٤) طبقات الامم : ٧٧ .

وهناك ناحية من شخصيته تعرض لها واحد فقط من المترجمين هو ابن حجر
المسقلاني صاحب لسان الميزان ، فإنه ينقل عن اليسع بن حزم قوله : " انه كان يرى
رأى الشعوبية فيفضل العجم على العرب " (١). ولا نعرف بالضبط ما لهذا الكلام من
قيمة ، لأن الرواية بهذه الصورة غير وافية بالغرض . وهي رواية لم تكرر عند
غيره من العلماء ، - فيما أعلم - ولكن على كل حال ربما كان مثل هذا التفضيل ،
لو وجد ، سببا آخر يدعونا الى الاعتقاد بأن ابن سيدة غير عربي الأصل . ولكن نحن
لا نعرف الظروف التي برز فيها مثل هذا التفضيل ، فربما كان الامر لا يتعدى رد
فعل لحادثة معينة او لاكثر من حادثة . وهو لا يعني ، بطبيعة الحال ، لصوق تهمة
الشعوبية به .

وانا لنلمح في حديث ابن سيدة اعجابا شديدا بنفسه ، كما نلمح فيه
قليل المحم، سريع الغضب، شتام، هجاء لاذع النقد اذا تحدث عن نشأته ما
حدة في الحكم على الناس . وذلك واضح في أرجوزته ، فهو امرؤا قال انه نشأ
" بين أناس لولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحسن ما حكمت عليهم بالحيوانية " (٢).

وأوضح مرحلة من مراحل حياته هي تلك التي اتصل فيها بمجاهد العامري
منتقلا عن وطنه الأصلي الى دانية . وقد كان المتوقع أن يكون لجوءه الى كنف
أمير مثل مجاهد مخفقا لما في نفسه من نقمة على الناس ، ولكنه كان يحسن بالقلق
الشديد وتفاوت الحظوظ فهو يصف موطنه الجديد بأنه " سبخا دفعة وشطان بحار
دفعة ، أوحش بلاد الله غربة وأخبشها غصيرين : هوا وترية " (٣). ثم نجد
ينحي على الناس فيها بأنهم شديداو الخصومة " لا تسمع منها الا تسعير كذا

(١) لسان الميزان ٤ : ٢٠٦ .

(٢) المحكم ١ : ١٦ .

(٣) المصدر نفسه

بكذا . . . يتطارحون على الدرهم والدينار ولا يتوقنون قبح الاحدوث ولا انتشار العار" (١)، ويغيبه أن يجدهم منعمين بالقيان والجنان والقصور : كل هذا مع اعترافه بانعام الموفق - مجاهد - الذي أثار بذلك الانعام حسد الحساد وغيبهم . " ولما مات الموفق رآش جناحه ومثبت غرره واوغاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروه بعض من كان حوله للطلب كحيات مساوره ففر الى بعض الاعمال المجاورة " (٢)، وارسل من منفاه قصيدة يستعطفه فيها أولها ، (٣)

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى سبيل فان الامن في ذاك واليمننا
فعفا عنه ، و " وقع له الرضى عنه عند وصولها اليه ، فرجع " . ويبدو ان انقطاعه الى الموفق انشأه من الناحية العلمية كثيرا ، اذ اتاح له من التفرغ وكفاية العيش ما جعله يهتم بأمور التأليف . فانه في دانيه " ادرك امانيه فأثر تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الارادة ولا سيما كتابه المسمى بالحكم فانه ابدع كتب في اللغة وأحكم " (٤) .
وقد كان لابن سيده حظ في الشعر ، ولكن لم يبق من شعره الا قصيدته التي استعطف فيها اقبال الدولة ، والا أرجوزته .

وقد أدركت ابن سيده منيته بدانية (٤٥٨ / ١٠٦٦) ويبدو أنه مات مغلوبا : " كان يوم الجمعة صحيحا سوا في صلاة المغرب فدخل المتوضأ وأخرج منه وقد سقط لسانه وانقطع كلامه وبقي على تلك الحالة الى عصر يوم الاحد ، ثم قضى نحبه " (٥).
اول ما تتلمذ ابن سيده على ابيه . فلقد كان أبوه " من النحاة ومن

(١) المحكم : ١٢ .

(٢) مطمح الانفس : ٦٠ ، وانظر نكت الهميان : ٢٠٤ .

(٣) جذوة المقتبس : ٢٩٣ ، مطمح الانفس : ٦٠ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

(٤) مطمح الانفس : ٦٠ .

(٥) نكت الهميان : ٢٠٥ ، وبعض المصادر تذكر انه توفي سنة ٤٦٠ .

اهل المعرفة والذكاء" (١). وكان لذلك الأب اتصالات علمية او " لقي ابا بكر الزهيدى وأخذ عنه مختصر العين" (٢). وقد اتفق العلماء على ان ابن سيده روى عن ابيه ، وبعض المترجمين يجعلون زمن هذه الرواية أيام نشأة الفتى ، فقد كان ابوه أيضا قهما يعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في أول أمره " (٣). ونحن نعلم ان ابن سيده ولد في نهاية القرن الرابع للهجرة ومات ابوه بمرسية بعد الاربعاء بمدة (٤) . فالمدة التي درس فيها على والده ليست طويلة - فيما أرجح - فيمكن القول بأن ابن سيده اخذ عن والده وهو صغير ، ثم تركه ابوه يتلقى الزهيد من العلم على أخوين .

ويتكرر في المؤلفات ذكر اثنين من العلماء أخذ ابن سيده عنهما ، وهما : ابو عمر الطلمنكي وصاعد بن الحسن البغدادى . وقد يتوقع المرء ان يكون هناك آخرون أخذ عنهم ، غير ان المؤلفات تصمت ازاء ذلك وتكتفي بأن تقول : وقد روى " عن ابي عمر الطلمنكي وصاعد اللخوى وغيرهما " (٥).

وقد تحدثت عن صاعد في ما مضى ، اما ابو عمر الطلمنكي (٣٤٠-٤٢٩ / ٩٥١-١٠٣٨) فهو محدث مفسر وقارى . ارتحل الى الشرق ثم عاد الى قرطبة يدرس فيها ، ثم انتقل الى المرية فمرسية فسرقسطة . ويبدو ان ابا عمر هذا لم يكن يمتاز بعلم الحديث والتفسير فحسب وانما كان كذلك عالما لغويا مقتدرا ، يدلنا على ذلك طلب الناس لمصنفات اللغة عليه واشتهاره بذلك . وربما ساعد على امتياز

(١) الصلاة : ١٠٥ ، وقد ذكرته في علماء العصر السابق انظر ص : ١٨٧

(٢) الصلاة : ١٠٥ .

(٣) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .

(٤) الصلاة : ١٠٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٩٦ ، وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ ،

نكت الهميان : ٢٠٤ .

في العلوم الدينية ورعه وشدة على البدع . وقد توفي ابو عمر الطلمنكي في طلمنكة (١). وكان اول اتصال بين ابن سيده والطلمنكي يوم ان دخل ابو عمر مرسية وكانت له تلك المقابلة مع الحافظ الاعشى .

واكثر ما اشتهر به ابن سيده اللغة والنحو ، حتى عد اماما حافظا حجة فيهما . وقد ظهرت هذه المقدرة في معجميه المشهورين : المحكم ، والمخصص . غير انه كان لابن سيده ضروب اخرى من الاهتمام ، من ذلك الاشعار وأيام العرب (٢). واهتمامه بالاشعار هو جزء من اهتمام العصر ، وقد برز ذلك في كتابه " السواني في علم القوافي " (٣) وفي شرحه للحماسة . واما أيام العرب فلا تعني انه اهتم بالتاريخ بالمعنى الدقيق ، وانما كانت له معرفة بشي من اخبار العرب واحداث حياتهم .

وقد وجه ابن سيده شيئا من عنايته الى المنطق ، " كان مع توفره على علوم العربية ، متوافرا على علوم الحكمة واللف فيها تواليف كثيرة " (٤) وذلك شي قد ذكرته في غير هذا الموضع . ويصعب في الواقع البحث في هذا الأمر لأن هذه التواليف الكثيرة لم تصلنا ، وانما

(١) انظر : الديباج المذهب : ٣٩ ، معجم البلدان ٣ : ٥٤٣ - ٥٤٤ .

(٢) بنجمة الوعاة : ٣٢٧ .

(٣) نكت الهميان : ٢٠٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٠٤ .

(١) من النصوص المهمة التي عثرت عليها هذه القطعة من الارجوزة التي تحدثت عنها في شت المؤلفين ومؤلفاتهم لهذا القرن ، وهي تبين لنا ، بلسان ابن سيده ، ثقافة هذا العالم والاساتذة الذين درس عليهم والمصنفات والعلوم التي قرأها : (انظر مجلة المشرق العدد ٣٦ : ١٩٠ - ١٩١) .

قرأت بالوحي وسني اربع	وقبل ست تم عندي اجمع
حتى اذا حلقت بالتنزيل	نظرت في حقائق التأويل
ولم ادع لعالم تحبيرا	الا وقد ظلمت بها خبيرا
فلا ابن عباس اضعت وضعه	ولا ابن سالم تركت جمعه
ولا كتاب ابن حميد عهد	الا انخرت كل ذاك عندي
حتى اذا استنزلت بالحجاج	قرأت كتب كل جبر نجاج
كتب ابي اسحق ذي المعاني	أوضح به لمشكل القرآن
وكل ما احمله من سند	عن الفقيه الطلمنكي أحمد
ثم قرأت كتب الموطأ	عليه دون كسل مستبطأ
ثم اشبع من البخاري	رواية ، فتم لي فخاري
ولم اضع كتب ابي عبيد	جميعها في ريتي وقيدى
ثم قرأت علم سيبويه	لب القواد فهما عليه
على ابي عثمان شيخي نافع	وكان فيه جد جبر بارع
ثم فاوت ابا العلا	في كتب الصفات والاسماء
روائي الغريب والاصلاح	حتى انار فجرها ولا حيا
ثم رقاني الى الالفاظ	رواية ، فعدت في الحفاظ
وقد قرأت كتب المجاز	عليه ، من قروطة الشيرازي
بعد سماعه في الفقيه	أحمد ذي التفهيم والتفقيه
ثم قرأت كتب الرمانى	والفارسي وابنه عثمان
كل كتاب لغة وعييت	وكل شعر لهم رويت
ثم تأملت حدود المنطق	ومن يرم حقيقة فلينطق

ومن هذه الابيات يظهر لنا اهتمام ابن سيده بمختلف العلوم ، فلقد درس الفقه والحديث واللغة والمنطق ، حتى برع بهذه الامور جميعا ، وعدد لنا شيوخه المباشرين وغير المباشرين من العلماء الاول . وذكر لنا كيف انه بدأ العلم طفلا في الرابعة فلما اتم السادسة كان قد اتم حفظ القرآن ، ثم تحول الى العلوم الاخرى . وتجدر الاشارة هنا الى ان كتاب سيبويه كان لا يزال ، في هذا القرن ، المعتمد الاول للدارس اللغوى .

وقد خلط المشاركة بين مؤلفاته ومؤلفات ابن سيد الذي عاش في القرن الرابع فعدت في مؤلفاته ما نسبته من قبل الى هذا الثاني ، من ذلك ، شرح كتهاب الاخفش ، والعالم والمتعلم على المسألة والجواب ، والعالم في اللغة على الاجناس ، وغير ذلك . ولذا كان الاعتماد في سرد اسماء كتبه على المشاركة كالصفي وابن حجر والسيوطي أمرا مورطا في الخطأ .

ب - المخصص (١)

١- الداعي الى التأليف :

اعجب ابن سيده بالمؤلفات اللغوية التي كتبت من قبله غير انه لم يجدها كاملة فقال : " تأملت ما ألفه القداماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة وصفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة فوجدتهم قد اورثونا بذلك فيها علوما نفيسة جمّة ، واقتروا لنا منها قلبا خفيفة غير ذمّة الا اني وجدت ذلك نشرا غير ملتئم ونشرا ليس بمننظم ، اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه . ثم اني لم ار لهم فيها كتابا مشتتلا على جلّها فضلا عن كلها ، مع اني رأيت جميع من مدّ الى تأليفها يدا وأصل في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وخلدا قد حرموا الارتياض بصناعة الاعراب ولم يرفع الزمن عنهم ما أسدل عليهم من كثيف ذلك الحجاب " (٢) . وبدوا لنا ابن سيده من هذا النص معجبا بنفسه ، يتتبع سقطات غيره من اللغويين : " فانا نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الالف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ولا يحدّدون الموضع الذي انقلب الالف فيه عن

(١) طبع الكتاب بمصر - المطبعة الكبرى الاميرية في ١٧ جزأ : ١٣١٦ / ١٨٩٩ - ١٩٠٤ / ١٣٢١ .

(٢) المخصص ١ : ٧ .

الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك ، ولا يميزون ما يخرج على هيئـة
المقلوب ما هو منه مقلوب وما هو من ذلك لغتان ، وذلك كجذب وجذب وشس
وأيس ورأى ورا ، ونحوه مما ستراه في موضعه مفصلاً مَحَلّاً محتجياً عليه . وكذلك
لا ينبهون على ما يسمعون غير مهوز مما أصله الهمز على ما ينبغي ان يعتقد منه
تخفيفاً قياسياً وما يعتقد منه بدلاً سماعياً ولا يفرقون بين القلب والابدال ولا بين
ما هو جمع يكسّر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وربما استشهدوا على كلمة من
اللغة ببيت ليس فيه شيء من تلك الكلمة ... (١).

ولما كان أمر الكتب اللغوية والمجامع السابقة على مثل هذه الحال فقد
أمل ابن سيده في ان يقدم لنا شيئاً يسد النقص : " فاشأيت نفسي عند ذلك الى
ان اجمع كتاباً مشتملاً على جميع ما سقط الي من اللغة الا ما لا بال به ، وان أشع
على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها وأحكم في ذلك تفرعها وتأصيلها . وان لم تكن
الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه وتركها على ما ودعوه تحبيراً أقيمـه
وأرفهه وتعبيراً اتقـه وأزخره " (٢).

ولتأليف الكتاب داع آخر ، يقول ابن سيده : " ومبين قبل ذلك لم
وضعتـه على غير التجنيس بأني لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجسماً لأدل الباحث
على فطنة الكلمة المطلوبة أردت ان أعدل به كتاباً أضعه مبوباً حين رأيت ذلك
أجدي على الفصح المسدرة والبليغ المفوّ والخطيب المصقع والشاعر المجيد المدقـع ،
فانه اذا كان للمسمى اسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة تتقـى الخطيب والشاعر
منها ما شاء واتسعا فيما يحتاجون اليه من سجع او تافهة على مثال ما

(١) المخصص ١ : ٧

(٢) المصدر نفسه ١ : ٨

نجده نحن في الجواهر المحسوسة" (١).

وهذا بطبيعة الحال هو الوازع الاول لتأليف الكتاب . غير ان ابن سيدة يتبع كلامه هذا بحديث يبرز فيه ما يزعم انه فضل مجاهد العامري في التأليف . ويطلب ابن سيدة اطنابا شديدا في وصف ما لمجاهد من شجاعة وتقوى ومروءة ، وعلم أيضا : " لم تزل العناية بالعلم تصده ومجالسة المهرة من حملته وكده حتى نفاق كل بارع فلقه وناطق قوّله ، فأخرج العلم من الفساد الى الكون ومن العدم الى الوجود كما فعل ذلك في غيره من أجزاء الفضائل التي اعلقت به القلوب واصبت اليه النفوس كالكرم والعدل والعفو .. " (٢) . ولا يقف الامر عند حد التشجيع ، كما يزعم ابن سيدة ، وانما يتجاوز ذلك الى التعليم والارشاد " .. هداي سواء السبيل الى علم كيفية التأليف ولأراني كيف توضع قوانين التصريف وعرفني كيف التخلص الى اليقين .. " (٣) . والواقع ان مثل هذا الكلام ، وهو قليل من كثير ، لا يمكننا ان نأخذه مأخذ الجد . فأولا ، ابن سيدة اخبرنا عن السبب الحقيقي للتأليف ، ذلك ان حاجة في نفسه تحركت بعد ما رآه من نقص في الكتب السابقة ، فحاول استكمال هذا النقص . والكتاب نفسه ينسجه على منوال " الخريب المصنف " ليدلنا على انه من عمل ابن سيدة وحده بخير ارشاد ولا نصائح .

(١) المخصص ١ : ١٠ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٩ .

(٣) المصدر نفسه

٢- منهج الكتاب :

ينقسم المصنف الى كتب يبحث كل منها في موضوع محدد ، او ، على

الأقل ، كان يفترض ان يبحث في موضوع محدد : " كتاب خلق الانسان " (١) ، " كتاب
الفرائض " (٢) ، " كتاب النساء " (٣) ، " كتاب الخيل " (٤) ، " كتاب الابل " (٥) ،
السخ ..

وتقسم هذه الكتب ، من حيث المبدأ ، الى ابواب . غير ان هذه
الابواب قد تتباين طولاً ، فبينما نراها احيانا تقصر الى نصف سطر (٦) ، نراها
في احيان اخرى تشغل صفحات كثيرة (٧) . على ان هذا التقسيم ليس دقيقا دائما .
فقد يأتي الباب مستقلا عن الكتاب تندرج تحته موضوعات مستقلة (٨) . غير ان مصطلح
باب لم يرد في كل حالة ، بل كثيرا ما كانت ترد عناوين كثيرة دون ان تميز ، ثم
يميز عنوان لاحق بالمصطلح " باب " او " ابواب " دون ان يكون لهذا العنوان
أهمية خاصة تفردة دون ما سبته من عناوين . فـ " كتاب اللباس " مثلا ترد بعده
العناوين التالية : " عامة الثياب " ، " الرقيق من الثياب " ، " الكفيف من الثياب " ،
" المزابر من الثياب " ، ثم يأتي بعد ذلك " باب المخطط من الثياب " (٩) ، فطبعي

(١)	المخصص	١ : ١٥ .
(٢)	المصدر نفسه	٢ : ١٤٨ .
(٣)	المصدر نفسه	٣ : ١٥٤ .
(٤)	المصدر نفسه	٦ : ١٣٥ .
(٥)	المصدر نفسه	٢ : ٢ .
(٦)	المصدر نفسه	٤ : ٦٦ ، ٦ : ١٢٣ ، ١٤ : ٨٤ .
(٧)	المصدر نفسه	٦ : ١٣٥ ، ٢ : ٩٥ .
(٨)	باب الفصاحة	٢ : ١١٢ ، ابواب النسب ١٣ : ٢٣٦ .
(٩)	المخصص	٤ : ٦٣ - ٦٦ .

ان المصطلح " باب " هنا لا يميز بشيء هذا العنوان عما سبقه . ومن هنا فان هذا المصطلح يحتويه الكثير من التشويش والقوض ، ويزيده تشويشا ان ابن سيده ربما ترك بابا من غير ان يميزه في حين انه يختلف عما سبقه من أبواب .

وقد جعل ابن سيده المفردات تدور حول فكرة ما او موضوع ما او أسماء متعددة لمسمى واحد . ويورد في هذا المجال المفردات جميعها التي يرى انها تدخل في موضوعه . وبناءً الكتاب على حسب الموضوعات ليس من ابتكار ابن سيده . ولقد لجأ العرب الى هذه الطريقة منذ اول تبهمهم الى ضرورة جمع اللغة . فكان اللغوي منهم يذهب الى البادية ليقابل الاعراب ، او يأتي الاعراب اليه ليتقابلوه متاجرين بلغتهم ، وكان حينئذ يلجأ الى جمع الالفاظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد . من هؤلاء اللغويين الأصمعي في " كتاب الخيل " مثلاً .

وربما كان كتاب النضر بن شميل (- ٢٠٣ / ٨١٩) من اوائل الكتب العامة، التي لا تختص بموضوع خاص، فقد قيل عنه : " هو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب : الجزء الأول يحتوي على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء . والجزء الثاني يحتوي على الأخيصة والبيوت وصفة الجبال والشعاب والأمتعة . والجزء الثالث للابل فقط . والجزء الرابع يحتوي على الخنم ، والطير ، والشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، والالبان ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ، والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر . والجزء الخامس يحتوي على الزرع ، والكرم ، والعنب ، واسماء البقول ، والاشجار، والرياح ، والسحاب ، والامطار " (١) .

ولعل كتاب " الغريب المصنف " اكثر الكتب تأثيرا بابن سيده في تأليفه

(١) فهرست ابن النديم : ٥٢ ، وفیات الاعيان ٢ : ٢١٤ .

للمخصص . وقد رأينا كيف انه كان قادرا على روايته منذ أول عهده بالعلم .
وتبناه القديما الى ذلك فقال ابن خيرون : " والكتاب المخصص في اللغة . . مرتب
كالغريب المصنف " (١) . وقال القاضي صاعد : " كتاب المخصص مرتب على الابواب
كغريب (٢) المصنف " (٣) .

وقد اعتمد ابن سيده في كل باب من الابواب على ما ألف في ذلك الباب
لمؤلف او اكثر . وكان من نتيجة ذلك ان أكثر ورود اسما بعضها في ابواب ، وتلقت
في ابواب اخرى . فثبت مثلا وهو صاحب " كتاب في خلق الانسان " (٤) ، يتردد
ذكره كثيرا في الجزء الأول الذي يدور حول هذا الموضوع ، ولكننا سنجد صعوبة
بالغة في العثور على اسمه في الاجزاء الاخرى من المخصص .

وينبئ المؤلف في مقدمة كتابه الى طريقتيه في التأليف فيلخصها بقوله :
" تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص ، والاتيان بالكليات قبل الجزئيات ،
والابتداء بالجواهر والثبوت بالاعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمناكم
على كيف ، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل . مثال ذلك ما وصفته في
صدر هذا الكتاب حين شرعت في القول على خلق الانسان فبدأت بتقله وتكونه شيئا
فشيئا ثم اردت بكليته جوهره ثم بطوائفه وهي الجواهر التي تألف منها بكليته ثم
ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات كالألوان الى ما يتبعها من الاعراض
والخصال الحميدة والقيسة " (٥) .

(١) فهرسة ابن خيرون ، ٣٥٦ .

(٢) الاصح على الأغلب : كالغريب .

(٣) طبقات الاسم ، القاضي صاعد الاندلسي : ٧٧ .

(٤) طبع في الكويت ١٩٦٥ بتحقيق عبد الستار احمد فراج .

(٥) مخصص ١٠١١

٣- خصائص كتاب المخصص (١)

أ - الاستطراد وتوارد الخواطر :

لم يبدأ ابن سيده في معجمه هذا من آفة ذلك الزمان في الاستطراد وعدم التقيد بصلب الموضوع . وكان هذا الاستطراد يجره ما يرد على فكر ابن سيده من أمور مجانسة أو أمور مناقضة . وقد يبدأ الحديث عن الطعام (١) وينتهي في آخر الباب بحديث عن المساكن (٢).

غير أن هذا الاستطراد ليس في الموضوعات فحسب وإنما هو في الألفاظ وفي التفاصيل بعامة . فان كلمة ما قد تجذب إلى كلمة مشابهة أو مناقضة ، وإن صفة ما قد تذكره بصفة أخرى لمؤخوف آخر .

ب - ظاهرة الجمع :

من الظواهر البارزة للغاية في تأليف الكتاب جمع التفسير المتعلقة باللفظة الواحدة ورصفها بصورة من الصور . وقد تأتي المادة بهذه الصورة مناقضة بعضها للبعض الآخر وقد تأتي متممة أو مؤيدة ، " والقُطُوطُ الذي يقارب المشي من كل شيء يقطو في مشيه نشاطاً ومرحاً وبغياً ، ويقطو يقارب الخطو ، والانشى قطوطة فأما وزنه فذهب أبو عبيد إلى أنه فعولٌ وأما سيبويه فذهب إلى أنه فعَلْعَلٌ وذهب غيره إلى أنه فعَوَعَلٌ " (٣) ، لقد اختلفت الآراء هنا وتناحرت النتائج ، ولكن قد تأتي الآراء متممة فيكون كل واحد منها جزءاً من الحقيقة : " ابن

(١) المخصص

(٢) المصدر نفسه ٤ : ١١٨ .

(٣) المصدر نفسه ٥ : ٢ .

(٤) المصدر نفسه ١٥ : ٢٠٨ .

دريد : يقال للاحمق مَنْطَبَةٌ وقد نطبت أذن الرجل انطباها نطبا - ضربتها .
ابن السكيت ، رجل ارعن بين الرعونة - احمق . وقد رَعْنُ رَعُونَةً ورَعَانَةً
ورَعْنَا .. " (١) . ومما يؤيد بعضه بعضا ، " ابن السكيت : عنت الرجل عينها ،
اصبته بحين فهو معين ومعين ، وأنشد :

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال أنك سيد معين
وهذا مطرد وانما ذكرته لتفرقة ، وذكرها الزجاجي وذلك أنه قال : المعين:
المصاب بالعين . والمعيون : الذي به عين " (٢) .

ج - التحقيقات اللغوية والصرفية :

يميل ابن سيده الى ابراز الناحية اللغوية في معجمه ، ويجمع
لنا الآراء التي ذكرت في مادة من المواد ، ذاكرا بناء اللفظة وأصلها ومشتقاتها:
" سادهم يسودهم سيادة . ابن جني : واستادهم . ابو عبيد : وقد سؤدته
... والمؤرد : فعلل منه ، وقال : سؤدني فسؤدته ، من السيادة ... وليس
هذا بمطرد عند سيويه . وقالوا سيّد وسائد . صاحب العين : رئيس القوم ،
كبيرهم ، والجمع رؤساء ورؤساء . قال علي : ليس لرؤساء عندى وجه ألبتة ،
الا ان تكون الهمزة في رؤساء أهدلت واوا اهدالا صحيحا ليس على حد جُون ، ثم
قلبت الواو لغير علّة الا طلب الخفة ، ثم قلبت الهمزة كسرة لمكان الياء " (٣)

(١) المخصص ٣ ، ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٥٨ - ١٦٠ .

د - صعوبة العثور على اللفظة المطلوبة :

ليس من السهل البحث عن كلمة من الكلمات في هذا المعجم الكبير . والواقع قد يكون ذلك مستحيلا في كثير من الاحيان . اذ ربما عثرت على لفظة في مكان لا تمت الى موضوعه بصلة . وقد زاد المشكلة صعوبة متاعب الاستطراء وعدم وجود منهج دقيق .

غير انه يمكن الاعتذار عن ابن سيده ، بأن الكتاب لم يؤلف لبحث فيه عن الألفاظ المفردة ، وانما كما ذكره في مقدمة كتابه انه اراد اشراء المادة المتيسرة ^{للأديب} ~~المطالع والخطيب~~ وتسهيل الامر عليه بجمع هذه المادة له مبوبة حسب الموضوع الذي ينظم شعره فيه او يديج خطبته .

هـ - شخصية ابن سيده غير واضحة :

كان من نتيجة تراكم المواد وأسلوب الجمع الذي اتبعه ابن سيده ان كان المعجم ناطقا باسماء اللغويين الذين اخذ المؤلف عنهم ، وليس باسم المؤلف نفسه . وربما كان السبب في ذلك ان اللغة ، عند ابن سيده ، تؤخذ عن الاعراب ، وقد كانت الاندلس غير قادرة ، لذلك ، على الادلاء بدلوها في هذا المجال ، ولم يكن لعلمائها سوى النقل .

ومع ذلك فقد نستطيع ان نعثر على آراء لابن سيده وخصوصا في المشكلات النحوية والصرفية : " ابو حاتم ، الظمي : قلة دم اللثة ولحمها . رجل أظمي وامرأة ظميا " . علي (علي بن اسماعيل بن سيده) : ليس الظمي من لفظ الظم ، ذلك مهموز وهذا محتل ، الا ان يكون تخفيفا بدليا وليس هذا بالواسع والا فهما مختلفا اللفظين كاحْبَنَطَات واحْبَنَطِيَّت (١) . والواقع ان

(١) المخصص ١ : ١٤٥ .

ملاحظات ابن سيده ليست نادرة (١) ، وإنما هي خائفة في خضم الآراء ، وليس لها
كيان واضح مجسم .

ومع الضرر الشديد الذي لاحظناه في حديثنا عن مقدمة الكتاب ،
ومع زعمه انه سيصلح أخطاء من سبقه من العلماء ويقدم عملاً نظيفاً ، إلا انه لم
يوفق حتى في إزالة التناقض في كثير من مواضع نقله . ولم يكن ابن سيده يلجأ الى
التمييز أو التفصيل بل يوصف الآراء بغير ان يقدم واحداً على واحد . وهذا مما يزيد
في طمس شخصيته .

ولعل من الأسباب التي زادت في تفكك شخصيته انه كثيراً ما كان يلجأ
الى عبارات غامضة غير محددة المعالم مثل : غيره ، وغير واحد ، قيل ، وقال
اناس من العرب . ويصعب حصر مثل هذه العبارات لأنها منتشرة في كل صفحة ، او
في كل صفحة تقريباً . ومن العدل ان نقر بان هذه التعبيرات ليست من خصائص
ابن سيده وحده ، ولكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً ، وتبقى شخصيته غير واضحة .

ج - المحكم (٢)

١- الداعي الى تأليف الكتاب :

يقول ابن سيده في مقدمة كتابه " فلما وضع له - للموفق -
مكان الحاجة الى هذه اللسان الفصيحة ، الزائدة الحسن ، على ما اوتيته سائر
الاسم من اللسان ، أراد جمع الفاظها ، فتأمل لذلك كتب روايتها وحفاظها ، فلم يجد
منها كتاباً مستقلاً بنفسه ، مستغنياً عن مثله ، مما ألف في جنسه بل وجد كسل

(١) المخصص ١ : ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ،
١٥٣ ، ١٦٥ .

(٢) صدر منه ثلاثة اجزاء حتى اليوم .

كتاب منها يشتمل على ما لا يشتمل عليه صاحبه ، وشَلَّ لا تحاندُ عليه ورَّاد ، وكلاء لا تحاقد فبي مثله رواده ، لا تشبع فيه ناب ولا فطيمة ، ولا تغنى منه خضرا ولا هشيمة " (١) . من هنا نستطيع ان نتصور ان الهدف الاول الذى قصده ابن سيده من تأليف معجمه كان جمع المواد اللغوية المشتتة في الدراسات والرسائل المختلفة . وطبيعي ان دور المؤلف هنا لا يعدو التشجيع وتهيئة جو التأليف .

غير ان هذا التوزع في المادة اللغوية لم يكن الداعي الوحيد للتأليف فلقد " لحظ مناظر تعييرهم ، ومساخر تحييرهم ، فما اُطْبى شي من ذلك لسه ناظرا ، ولا سلك منه جنانا ولا خاطرا ، وذلك لما اوتيه وما حرموه ، وأوجده وأعدموه ، من ثقابة النظر ، واصابة الفكر ، وكان اكثر ما نغمه - سدره الله - عليهم ، عدولهم عن الصواب ، في جميع ما يحتاج اليه من الاعراب ، وما احوجهم من ذلك الى ما منعه " (٢) . فابن سيده لا يأخذ على السابقين التجزئة وعدم الشمول فحسب ، وانما هو ينحى عليهم " عدولهم عن الصواب " . فهو هنا ، اذن ، يعدنا بتخييرهم جذوين ، تخيير في المنهج وتحسين في الدقة .

٢- منهج الكتاب :

ينقسم معجم ابن سيده الى حروف مرتبة وفق المخارج على النحو التالي : العين ، الحاء ، الهاء ، الخاء ، الغين ، القاف ، الكاف ، الجيم ، الشين ، الصاد ، السين ، الزاى ، الطاء ، التاء ، الدال ، الظاء ، الذال ، الثاء ، الراء ، اللام ، النون ، الفاء ، الباء ، الميم ، الههزة ، اليا ، الواو ، والالف .

(١) المحكم ١ : ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٣ - ٤ .

وكل حرف من هذه الاحرف ينقسم الى الابواب التالية : الثنائي المضاعف الصحيح ،
 الثنائي الصحيح ، الثنائي المضاعف المعتل ، الثلاثي المعتل ، الثلاثي اللفيف ،
 الرباعي ، الخماسي ، السداسي ، وقد امتلأت هذه الابواب بالتقاليب ، وهو النظام
 الذي اتبعته مدرسة الحين ، ورأيناه في كتاب البارع .

ويبدو ان ابن سيده كان واعيا لأمر ، وكان ينبغي توخيها والسير عليها .
 ويضع في مقدمة كتابه خطة محكمة يرسم بها سبيله في التأليف : " ومن غريب
 ما تضمنه هذا الكتاب ، تمييز اسماء الجموع من الجموع ، والتبويب على الجمع
 المركب ، وهو الذي يسميه النحويون جمع الجمع ، فان اللغويين جمّا لا يميزون
 الجمع من اسم الجمع ، ولا ينبهون على جمع الجمع . ومن الأبنية ما يجوز
 ان يكون جمعا ، وان يكون جمع جمع ، وذلك ادق ما في هذا الجنس المقتضي
 للجمع . فاذا مررنا في كتابنا بمثل هذا النوع من الجمع أعلننا أيهما أولى به
 الجمع أم جمع الجمع " (١) .

وسوف يطول بنا الامر لو نحن حاولنا اقتباس ما قاله ابن سيده في
 مقدمة كتابه عن خطته في التأليف ، ولقد أطل اطلالة عظيمة واتى بالامثلة
 الموضحة . ويمكن تلخيص عمله بما يلي :

أ - حذف ما اعتقد انه يزيد في حجم الكتاب بلا مبرر . من ذلك المشتقات
 القياسية ، وجمع اسم الفاعل من الاجوف على فُعْلَةٍ ، او الناقص على فُعْلَةٍ ، او المؤنث
 على فواعل ، والمصدر الميمي واسمي المكان والزمان ، وافعال التعجب . ولا يذكر
 من كل ذلك الا الشاذ .

(١) المحكم ١ : ٨ - ٩ .

ب- وقد نبه على أمور شاذة قد يؤدي اغفال ذكرها الى الالتباس ، ومن ذلك : اسم المفعول الذي لا فعل له أو المبني من الفعل اللازم ، والافعال التي لا مصادر أو لا ماضي لها ، أو لها مصادر من غير لفظها ، والنسب الشاذ ، والمؤنث بغير علامة ، والالفاظ التي يشعر ظاهرها انها للمفرد والجمع ، وما لا يصح .

ج- ويميز بين اسماء الجمع من الجمع وجمع الجمع ، واسم الفاعل الجارى على فعله بعطفه عليه بالفاء من اسم الفاعل غير الجارى عليه بعطفه بالواو ، والمهموز اصلا من المهموز شذوذا ، والمعتل الواوى من اليائي .

د- راعى في ترتيب الالفاظ في داخل المواد تقديم المفرد على الجمع ، وجمع القلعة على الكثرة ، والمجرد على المزيد . (١)

ويمكن الاستشهاد على هذا كله بكلام المؤلف من مقدمة كتابه . غير انه ، كما سنلاحظ ، لم يستطع ان يتقيد تماما بهذه الخطة ، وغلبته المادة الهائلة التي أتى بها في احيان كثيرة فتزعزع ترتيبه .

٣- مصادر الكتاب :

يضع ابن سيده في مقدمة كتابه ثبنا بالمؤلفات التي اخذ عنها ، وهو يتقسم هذه المؤلفات الى قسمين : لغوية ونحوية ، " وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة ، فنصنف أبي عبيد ، والاصلاح ، والالفاظ ، والجمهرة ، وتفسير القرآن ، وشرح الحديث ، والكتاب الموسوم بالعين ، ما صح لدينا منه ، وأخذناه بالوثيقة عنه ، وكتب الأصمعي ، والفراء ، وأبي زيد ، وابن

(١) راجع فيما يتعلق بهذه الخطة كتاب المعجم العربي : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

الاعرابي ، وابي عبيدة ، والشيباني ، واللحياني ، ما سقط اليينا من جميع ذلك ، وكتب ابي العباس احمد بن يحيى : المجالس ، والفصح ، والنوادر ، وكتابا ابي حنيفة ، وكتب كُراع ، الى غير ذلك من المختصرات ، كالزهرج ، والفككي ، والمبني ، والمثنى ، والاضداد ، والمبدل ، والمقلوب ، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة المعللة العجيبة ، الملخصة الغريبة ، المؤثرة لفضلها ، والمستتراد لمثلها ، وهو حلي كتابي هذا وزنه ، وجماله وعينه ، مع ما أضفته اليه من الابنية (١) التي فاتت كتاب سيبويه معللة ، عربية كانت او دخيلة . واما ما نشرت عليه من كتب النحويين المتأخرين ، المتضمنة لتعليل اللغة ، فكتب ابي علي الفارسي : الحلييات ، والبغداديات ، والاهوازيات ، والتذكرة ، والحجة ، والاقبال ، والايضاح ، وكتاب الشعر . وكتب ابي الحسن بن الرماني ، كالجامع ، والاغراض ، وكتب ابي الفتح عثمان بن جني ، كالمغرب ، والتمام ، وشرحه لشعر المتبي ، والخصائص ، وسر الصناعة ، والتعاقب ، والمحتسب (٢) . وكانت هناك مصادر أخرى لم يستطع ابن سيده حصرها اختارها وجمع موادها من هنا ومن هناك ، وهو يسجل ذلك فيقول : " الى أشياء اقتضيتها من الاشعار الفصيحة ، والخطب الغريبة الصحيحة (٣) .

وبلاحظ انه نسب مادة كتابه كلها الى الاصول الشرقية ، بنير الالتفات الى المؤلفات اللغوية الاندلسية . وقد كان لفئة من سبق ابن سيده اصحاب تشهد لهم بالتقدم والمقدرة ، كما رأينا عند القالي والزبيدي وابن القوطية . وأغلب الظن ان ابن سيده استفاد منهم واطلع على مؤلفاتهم ، وان كان يصعب اثبات

(١) لعلمه استفاد في ذلك من كتاب " الاستدراك على سيبويه " لابي بكر الزبيدي " الذي تجده موكوفا في ص : ١٦ - ١٠٤ من هذه الرسالة .

(٢) المحكم ١ : ١٥ .

(٣) المصدر نفسه

ذلك ، لأن مصادر القالي والزبيدي وابن القوطية وابن سيده هي في الاساس واحدة ، جاءتهم من المشرق ، وجميعهم طوروا اساليب وطرائق اخذوها عن المشاركة ، لذلك ليس سهلا التأكد هل استفاد ابن سيده من الفرع ام رجس الى الأصل . ولا بد أن ابن سيده عرف أيضا مصادر شفوية عديدة غير انه لا يفرق في معجمه بين مثل هذه المصادر وبين المصادر المكتوبة .

٤ - خصائص كتاب المحكم :

ان اختيار مادة من المواد ودراستها وتحليلها يجعلنا اقرب الى خصائص ابن سيده في هذا المعجم ، واقدر على ابراز الخصائص الهامة . ولتكن مادة " العين والظاف والتاء " (١) .

" العتق : خلاف الرق .

عَتَقَ يَعْتِقُ عِتْقًا ، وَعِتْقًا ، وَعِتَاقًا ، وَعِتَاقَةً ، فهو عَتِيقٌ وجمعهم

عِتْقَاءُ " . فقد اعطانا أولا الاسم ومعناه ، ثم الفعل الثلاثي والمجرد ومصادره المختلفة ثم الصفة منه في حالتي الافراد والجمع .

" وأعتقته فهو مُعتَقٌ وعَتِيقٌ . والجمع كالجمع " فانتقل اذن من المجرد الى

المزيد . غير انه يذكر اسم المفعول القياسي " معتق " وهو هنا لا يعني بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء المفاعيل القياسية .

وبعد ان بدأ بالاسم ثم شئ الى الافعال فأعطانا المجرد منها والمزيد ،

انتقل الى الاسماء والصفات المشتقة من الافعال " عتيق : اسم الصديق .. قيل

(١) المحكم ١ : ١٠٠ - ١٠٢ .

سمي بذلك ، لأن الله تعالى اعتقه من النار " ، " وفرس عاتق : سابق " ،
 " ورجل معناق الوسيقة : اذا طرد طريدة سبق بها . وقيل : اذا سبق بها
 وأنجاهها " ، " والعاتق : الناهض من فراج القطا ، قال ابو عبيد : ونرى انه
 من سبق . وقيل : العاتق من الطير : فوق الناهض ، وهو في أول ما ينحسر
 ريشه الاول ، وينبت له ريش جُلْدِيّ : اى شديد . وقيل : العاتق من الحمام :
 ما لم يُسَنّ ويستحکم ، والجمع : عَتَقٌ " . ونسجل ها هنا ان ابن سيده وقع
 فيما وقع فيه القالي من قبل فاورد المعلومات دون ان يوازن بينها ، مما ادى الى
 وصف معان متناقضة احيانا دون ترجيح .

ثم يعود الاسم مرة أخرى فيذكر ان " العتق الشجر التي تتخذ منها
 القسي العربية ... والعتيق : فحل من النخل معروف ، لا تنفض نخلة ...
 وعتيق الطير البازي ، قال ليلى :

فانتضلنا وابن سلمى قاعد كعتيق الطير يغضي ويجل

ابن سلمى النعمان ، وانما ذكر مقامته مع الريح ، بين يدى النعمان " . فهو يلجأ
 الى تفسير ما هو غامض مما لا علاقة له بالمادة الأصلية .

" والعتيق : القديم من كل شي " ، وقد عَتَقَ عِتْقًا وعِتَاقَةً . والبيت
 العتيق : مكة ، لقدمه ، لانه اول بيت وضع للناس . وقيل لانه اعتق من
 الشرق ايام الطوفان . وقيل سمي عتيقا ، لانه لم يملكه أحد " . فابن سيده
 يذكر المعاني المختلفة دون ان يرد الآراء الى اصحابها ، ويكثر من استعمال كلمة
 " قيل " ، او " قال بعض حذاق اللغويين " .

واما ابيات الشعر فانه لا يتبع قاعدة معينة في ذكر اسم الشاعر

او عدم ذكره . ففي هذه المادة " عتق " التي ندرسها سبعة شواهد شعرية ذكر اسما أصحابها ، وهناك شاعدان لم يذكر اسمي تأثيلهما ، ربما لانه لم يعرفهما . واذا صح ذلك فاننا نستطيع القول بانه يذكر صاحب الشاهد اذا عرفه .

" فأما قول الأعشى :

وكان الخمر الحقيق من الاسفط ~~م~~مزوجة بما زلال

فانه قد يوجه على تذكير الخمر ، فاما ان يكون تذكير الخمر مصروفا ، واما ان يكون وجهها على ارادة الشراب ، ومثله كثير ، أعني الحمل على المعنى . قال ابو حنيفة : وان شئت جعلت فعلا هنا في معنى مفعول كما تقول : عين كحيل ، فتكون الخمر مؤنثة ، على اللغة المشهورة " . وهذا يدلنا على اهتمام ابن سيده بالمسائل الصرفية وادراجه لها في معجمه . وقد رأينا ان من جملة مصادره مجموعة من كتب النحو والابنية . وهو يدرك ما في كتابه هذا من صعوبة فيقول : " وليست الاحاطة بعلم كتابنا هذا ، الا لمن مهر بصناعة الاعراب " (١) ،

وبعد ان يتحدث عن الاسماء يعود الى الفعل العزيد منه والمجرد بخير ضابط : " عتق بفيه ، عض . وعتق المال عتقا : صلح . واعتقه أصلحه . وعتق بعد استعلاج فهو عتيق : رقق " . ثم يعود مرة اخرى الى الاسماء : " الحقيق اسم للتمر ، علكم ، وأنشد قول عنترة :

كذب العتيق وما شن بارد ان كنت سائلة غهوقا فانهبي

والعائق : ما بين المنكب والعنق " .

وبعد ان يستوفي الكلمة بكل ما فيها من فروع ومعان ينتقل الى
 " مقلوبه (ق ت ع) : ق ت ع ي ت ع ق ت ع : انقمع وذل " .

ويمكننا ، اعتمادا على المادة السابقة وغيرها من المواد ، ايجاز
 الملاحظات التالية :

- أ - لا يعني بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء المفاعيل القياسية .
- ب - ولا يعني أيضا بما وعدنا به من انه سيراى في ترتيب الالفاظ داخل
 المواد تقديم المفرد على الجمع ، وتقديم المعجود على المزيد ، وترتيب الاعلام
 بلا تشويش ، مما جعل العثور على اللفظة المطلوبة امرا عسيرا ، وبخاصة اذا
 كان اللفظ مزيدا او مشتقا .
- ج - يلجأ الى طريقة التفسيرات المتراكمة بغير تصنيف بحيث يأتي بعضها ،
 احيانا ، مناقضا لبعض .
- د - قلل كثيرا من الاعتماد على الاشعار بحيث لم تعد مقصودة لذاتها وانما
 لتقوم بعملها في توضيح الدلائل اللغوية . وهو يرد الشاهد الى صاحبه اذا عرفه .
- هـ - فسر الالفاظ الصعبة التي ترد في النصوص حتى ولو لم تكن من العانة
 الاصلية التي يتعرض لها .
- و - لا يهتم بذكر المصادر ولا يرد الآراء الى اصحابها الا نادرا ، ويكتفي بلفظة
 قيل او ما شابهها .
- ز - ولكنه كان يسجل اسم صاحب الراى اذا كان رأيه قاعدة وليس مجرد تفسير (١) .

(١) انظر المحكم ١ : ٢٦١ ، ٢ : ١٦٥ ، ٣٨٠ .

ح - يهتم بالنواحي الصرفية ويمالجهها باغاضة .

ط - قلل من الاستطراد الى الروايات والاخبار التي تجرّها لفظة ما ، ولكنه لم يستطع ان يتخلص من ذلك نهائيا . (١)

وبرغم المآخذ التي سجلناها عليه ، فإنه استطاع ، الى حد ما ، ان يقدم لنا هذه المادة الهائلة بما قدر عليه من تنظيم ، وبشيء من الاختصار أيضا ، وملاً معجمه بتخرجات نحوية وصرفية .

وقد أثار هذا الكتاب نشاطا كبيرا ، واعتمد أصحاب المعجمات المتأخرون كابن منظور والفيروز ابادي ، " وطنم فيه السهيلي في الروض عند الكلام على نقض الصحيفة فقال : وما زال ابن سيده يعثر في هذا الكتاب ، يعني المحكم " (٢) ، " ورد عليه ابن برجان عهد السلام بن عهد الرحمن ناقدا محلا " (٣) . واثني عليه أصحاب التراجم فوصفوه بالشهرة (٤) ، وقيل فيه " لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره الا من وقف عليه . . . لو حلف الحالف انه لم يصف مثله لم يحنث " (٥) .

(١) المحكم ١ : ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢ : ١٧١ .

(٢) لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ .

(٣) التكملة : ٥٨٥ ، ٦٤٦ (الطبعة الاوروبية) ، وانظر ترجمته أيضا في بغية الوعاة : ٣٠٦ .

(٤) تاريخ ابي الفدا ٢ : ١٨٦ .

(٥) انباء السراة ٢ : ٢٢٥ .

خاتمة

خاتمة

الآن وقد بلغت كلمة الختام أرى أن أجمل الصورة العامة لهذه الرسالة ، فلقد درست الحياة اللغوية الاندلسية ، في حقبة تزيد على اربعمائة عام . وكانت تلك الفترة ناشطة منذ بدايتها . وان كان القرن الرابع للهجرة هو ما يمكن ان نسميه بالعصر الذهبي لها ، فان هذا العصر هو نتيجة لما تقدمه من نشاط ، وقمة للتطور الطبيعي في حياة اللغة .

وقد قدمت للبحث بمقدمة عالجت فيها امور اللغة والمجتمع قبل الفتح العربي وتوزع الاجناس العربية بعده ، ووضحت مكانة اللغة عند الاندلسيين والعوامل الفعالة التي كان لها التأثير العظيم المستمر في تطوير اللغة .

وقد تدرجت مع الزمن معالجاً منذ الفصل الأول حتى الفصل الخامس والأخير تطور الحياة اللغوية ونموها ، ودعت ما وضحته من تيارات مختلفة بأمثلة مفصلة من سير المؤلفين الكبار وأهم مؤلفاتهم . وقد قصدت من هذه السير والمؤلفات الى ابراز الصورة وتوضيح ما يمكن ان يكون قد ظل غامضاً حين الحديث عن التيارات والاتجاهات والعوامل المؤثرة وألوان النشاط المختلفة .

واعتقد انني حققت أمراً رئيسين مهمين :

١- كانت هذه الرسالة بناءً جديداً ، لم يتوكلأ على بناء سابق ، فجا حركة رائدة ، له ما للريادة من فضل التقدم والاستكشاف . وان تكن

هذه الريادة قد اعطت البحث قيمة ، فانها قد زادت علي صعوبة . فالى جانب عظم الفترة التي تغطيها دراستي فان جودة البحث قد كانت عاملا شاقا يتطلب التقيب الطويل في المصادر ويجعل تصور الموضوع غاية في الصعوبة . والواقع لم استلح ان احيط بالمصادر وان اتصور البحث على صورته الحالية الا بعد اطلاع واسع وبحث دائب وعمل جاد أمين ، لفترة طويلة من الزمن .

٢- والأمر الثاني الذي اعتقد ان له هو الآخر أهمية بالغة ، انني بهذا البحث قد أسهمت في تصور جزء من تراثنا اللغوي ، وقدمت بحثا عن تأريخ اللغة في الاندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون . ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان اللغة في الاندلس جديرة اعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء . وهناك نواح - منها اللغة العامية الاندلسية - لا تزال بحاجة الى دراسات مفصلة موضحة ، واذا كنت أقدم مثل هذا المجهود فانما ارد شيئا من الحق الى أصحابه . فأهل الاندلس - بمجهوداتهم اللغوية المختلفة - قد أضافوا الى تراثنا ، فحق لهم الاعتراف بالفضل .

ولأول مرة - فيما أعتقد - يتكامل بحث واحد ليبين دور المؤرخين في حياة اللغة بالاندلس ، ويأخذ بعين الجد والاستقصاء جهود المهاجرين من المشاركة والكتب المهاجرة من المشرق والرحلة في طلب اللغة ويتلمس نواحي "النظرية" اللغوية بالاندلس ، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة وأصحابها ويعطي للاندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير .

ولست أقول : ان هذا هو جهد العقل ، فكل عمل علمي انما هو جهد العقل ، أعني أنه لبننة تتساند مع غيرها في نطاق البناء الكلي .

مراجع الدراسة

١ - المراجع العربية

- ١ - ١ - ابو العلاء وما اليه :
عبد المنيز الميعني
اعظم كره ١٣٤٤ هـ
- ٢ - احكام صنعة الكساح :
ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي
مصورة بدار الكتب المصرية مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الاستاذ
حسن حسني عبد الوهاب .
- ٣ - الاحكام في اصول الأحكام :
ابو محمد علي بن حزم الاندلسي
تحقيق : احمد محمد شاكر
ط القاهرة ، ١٣٤٥ - ١٣٤٨
٨ ج
- ٤ - أرجوزة ابن سيدة :
مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون
- ٥ - أزهار الرياض في أخبار عياض :
شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني
تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الاييارى ، عبد الحفيظ شلبي

القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢

٦ - الاستدراك على سيبويه :

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : اغناطيوس غويدي

روما ، ١٨٩٠

٧ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى :

أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

الدار البيضاء ، ١٩٥٤ - ١٩٥٦

ج ٩

٨ - أعمال الاعمال في من بوسع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام :

لسان الدين ابن الخطيب التلمساني

تحقيق : ليفي برونفسال

الطبعة الثانية - بيروت ، ١٩٥٦

٩ - الافعال الثلاثة والرعاية :

أبو بكر محمد بن عمر ابن القوطية

تحقيق : اغناطيوس غويدي

ليدن ، برسل ، ١٨٩٤

١٠ - الاقتضاب في شج أدب الكتاب :

أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

تلفاظ وميداني - بيروت ، ١٩٠١

١١ - الامالي :

ابو علي القالي

الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١١٥٣ - ١١٥٤

٢ ج

١٢ - انباء الرواة على انباء النحاة :

جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الققطي

تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

القاهرة ، ١١٥٠ - ١١٥٥

٣ ج

١٣ - الانتصار من عدل عن الاستبصار :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي

تحقيق : حامد عبد المجيد

القاهرة ، ١١٥٥

١٤ - الانصاف في التبيين على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في

آرائهم :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي

مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣١٩ هـ

١٥ - البارع في اللغة :

ابو علي القالي

تحقيق : أ. س. فليتن

لندن ، ١٩٣٣

١٦ - بغية الملتص في تاريخ رجال أهل الاندلس :

أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الغبي

ط مجريط ١٨٨٤

١٧ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣٢٦

١٨ - البيان المغرب في أخبار المغرب :

ابن عذارى المراكشي

تحقيق : ليفي برونفسمال

ط باريس ، ١٩٣٠

١٩ - تاريخ الادب الاندلسي :

عصر سيادة قرطبة

الدكتور احسان عباس

نشر دار الثقافة - الطبعة الاولى - بيروت ، ١٩٦٠

٢٠ - تاريخ الادب الاندلسي :

عصر الطوائف والمرابطين

الدكتور احسان عباس

نشر دار الثقافة - الطبعة الاولى - بيروت ، ١٩٦٢

٢١ - تاريخ الأدب العربي (١) ،

كارل بروكلمان

ترجمة : عبد الحليم النجار

القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٢

ج ٣

٢٢ - تاريخ افتتاح الاندلس :

محمد بن عمر ابن القوطية

تحقيق : عبد الله انيس الطباع

دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧

٢٣ - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس :

عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفري

القاهرة ، ١٩٥٤

ج ٢

٢٤ - تاريخ قضاة الاندلس :

ابو الحسن بن عبد الله النهاي

تحقيق : ليفي برونفيسال

دار الكاتب المصري - ١٩٤٨

(١) حين كنت استعين بالأصل الألماني كنت أضيف ، " طبعة ليدن " ، أو اكتفي بلفظة : " الملحق " .

٢٥ - تذكرة الحفاظ :

ابو عبد الله شمس الدين الذهبي

الطبعة الثالثة - مطبعة حيدر آباد ، ١٩٥٥ - ١٩٥٨

ج ٤

٢٦ - تعريف العلماء بأبي العلاء :

اشراف : الدكتور طه حسين

القاهرة ، ١٩٤٤

٢٧ - التقريب لحد المنطق والمدخل اليه :

ابو محمد علي بن حزم الاندلسي

تحقيق : الدكتور احسان عباس

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٥٩

٢٨ - التكملة لكتاب الصلة :

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار

القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦

ج ٢

٢٩ - التكملة لكتاب الصلة :

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار

الطبعة الاوروبية

٣٠ - التبيين على اوهام ابي علي في اماليه :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١٩٥٤

٣١ - الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره :

محمد سليم الجندى

دمشق ، ١٩٦٢

٢ ج

٣٢ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس :

محمد بن فتح بن عبد الله الحميدى

تحقيق : محمد تايوت الطنجي

الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٢

- ٣٣ - الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس :

الدكتور حسين مؤنس

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، المجلد ٧ ، ٨

- ٣٤ - جمهرة أشعار العرب :

محمد بن أبي الخطاب القرشي

دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٣

- ٣٥ - جمهرة انساب العرب :

أبو محمد علي بن حزم الاندلسي

تحقيق : ليفي بروفنسال (١٩٤٨)

وتحقيق : عبد السلام هارون (١٩٦٢)

دار المعارف بمصر

٣٦ - الحقائق في المطالب العالية الفلسفية :

أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ

٣٧ - حضارة العرب في الاندلس :

ليفني برونسسال

ترجمة : ذوقان قرقوط

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت

٣٨ - الحلة السيرة :

أبو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار

تحقيق : الدكتور حسين مؤنس

القاهرة ، ١٩٦٣

٢ ج

٣٩ - خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب :

عبد القادر بن عمر البغدادي

الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ

٤ ج

٤٠ - خلق الانسان :

ثابت بن ابي ثابت

تحقيق : عبد الستار أحمد فراج

الكويت ، ١٩٦٥

٤١ - دار الطراز في غسل الموشحات ،

ابن سناء الملك

تحقيق : جودة الركابي

دمشق ، ١٩٤٩

٤٢ - دول الطوائف :

محمد عبد الله عثمان

الطبعة الاولى - مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠

٤٣ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب :

برهان الدين ابراهيم بن علي ابن فرحون المالكي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣٥١ هـ

٤٤ - ديوان ابن قزمان :

محمد بن عيسى بن عبد الملك ابن قزمان

نشر دافيد جنزبرغ

١٨٩٦

٤٥ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

ابو الحسن علي ابن بسّام الششتري

القسم الأول من الجزء الأول

القسم الثاني من الجزء الأول

القسم الأول من الجزء الرابع

القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ، ١٩٥١

٤٦ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

أبو الحسن علي ابن بسّام الشنتيني

القسم الثاني والتقسّم الثالث ، مخطوطة بغداد

٤٧ - ذكر بلاد الاندلس :

مؤلف مجهول

مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج

٤٨ - الذيل والتكملة لكتابي الموضول والصلمة :

محمد بن عبد الملك المراكشي

تحقيق : الدكتور احسان عباس

نشر دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥

ج ٤ ، ج ٥

٤٩ - الرد على النحاة :

أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي

تحقيق : شوقي ضيف

الطبعة الأولى - دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧

٥٠ - رسائل ابن حزم الاندلسي :

تحقيق : الدكتور احسان عباس

مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٥٤

٥١ - رسائل في اللغة :

(من بينها جزء من المسائل والاجوبة لأبي محمد عبد الله ابن السيد الهليلوسي)

تحقيق : ابراهيم السامرائي

بغداد ، ١٩٦٤

٥٢ - الروض المعطار في خبر الاقطار :

ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري

تحقيق : ليفي بروفنسال

القاهرة ، ١٩٣٧

٥٣ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات :

محمد باقر موسى

الطبعة الثانية ، طهران ، ١٣٤٧

٥٤ - الزجل في الاندلس :

عبد العزيز الأهواني

القاهرة ، ١٩٥٧

٥٥ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب :

عبد الحي ابن العماد الحنبلي

القاهرة ، ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ

ج ٨

٥٦ - شرح سقط الزند :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (وآخران)

القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٤٨

ج ٥

٥٧ - الصلوة :

ابو التاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال

القاهرة ، ١٩٥٥

٢ ج

٥٨ - صورة الارض :

ابو التاسم بن حوئل النصيبي

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

٥٩ - طبقات الاطباء والحكماء :

ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي ابن جلجل

تحقيق : فؤاد سيد

القاهرة ، ١٩٥٥

٦٠ - طبقات الامم :

ابو التاسم صاعد بن احمد الاندلسي

تحقيق : الأب لويس شيخو

المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ١٩١٢

٦١ - طبقات النحويين واللغويين :

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٥٤

- ٦٢ - الماثل الحالي والمرخص النهائي :

صفي الدين الحلي

تحقيق : ولملم هونريخ

فيسبادن ، ١٩٥٥

- ٦٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ،

عبد الرحمن ابن خلدون

طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ

٧ ج

- ٦٤ - عيون الانباء في طبقات الاطباء :

موفق الدين احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعة

دار الفكر - بيروت ، ١٩٥٦

- ٦٥ - غاية النهاية في طبقات القراء :

شمس الدين ابو الخير محمد ابن الجزري

تحقيق : ج . برجستراسر

القاهرة ، ١٩٣٢

٣ ج

- ٦٦ - فجر الاندلس :

حسين مؤنس

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٥٩

٦٧ - الفصل في الملل والاهواء والفحل :

ابو محمد علي ابن حزم الاندلسي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣١٧

ج ٥

٦٨ - فصل المقال في شرح كتاب الامثال :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

تحقيق : الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين

الخرطوم ، ١٩٥٨

٦٩ - الفهرست :

ابن النديم

تحقيق : فلوجل

بيروت ، ١٩٦٤

٧٠ - فهرست ابن خير :

ابو بكر محمد ابن خير

تحقيق : كوديرا وريبيرا

بيروت ، ١٩٦٣

٧١ - فوات الوفيات :

محمد بن شاکر الكتبي

تحقيق : محيي الدين عبد الحميد

القاهرة ، ١٩٥١

ج ٢

- ٧٢ - قصائد قرطبة :

محمد بن حارث الخشني

نشره عزت العطار الحسيني - القاهرة ، ١٣٧٢ هـ

- ٧٣ - قلائد العتيان :

الفتح بن خاقان

ط بولاق ، ١٢٨٣

- ٧٤ - كتاب سيويه :

أبو بشر عمرو بن قنبر سيويه

الطبعة الاولى - ١٣١٦ - ١٣١٧

٢ ج

- ٧٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :

حاجي خليفة

استانبول ، ١٩٤١ - ١٩٤٣

٢ ج

- ٧٦ - السالك في شج الأمالي :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

تحقيق : عبد العزيز الميمني

القاهرة ، ١٩٣٦

٢ ج

٧٧ - لحسن العوام :

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : الدكتور رمضان عبد التواب

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٦٤

٧٨ - لسان الميزان ،

شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر العسقلاني

الطبعة الاولى - حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٩ - ١٣٣١ هـ

ج ٦

٧٩ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :

علي بن اسماعيل ابن سيده

نشر مصطفى البابي الحلبي

القاهرة ، ١٩٥٨ -

ج ٣

٨٠ - المختار كن شعر بشار :

اختيار الخالدين

تحقيق : محمد بدر الدين العلوي

مطبعة الاعتماد - القاهرة ، ١٩٣٤

٨١ - المخصص :

علي بن اسماعيل ابن سيده

طبع بمصر ، المطبعة الاميرية الكبرى ، ١٨٩٩ - ١٩٠٤

١٧ ج

٨٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان :

ابو محمد عبد الله بن اسعد اليافعي

حيدر آباد ، دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ

٤ ج

٨٣ - المزهر في علوم اللغة وانواعها :

جلال الدين السيوطي

القاهرة ، ١٢٨٢ / ١٨٦٥

- ٨٤ - المسالك والمعالك :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

مخطوطة الرباط ٤٨٨ ق

- ٨٥ - المطرب من اشعار المغرب :

ابو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية

تحقيق : ابراهيم الايباري ، حامد عبد المجيد ، أحمد أحمد بدوي

القاهرة ، ١٩٥٤

- ٨٦ - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس :

ابو نصر الفتح بن محمد ابن خاتان

الطبعة الاولى ، مطبعة الجوائب - القسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ

- ٨٧ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب :
 محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي
 مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ
- ٨٨ - معجم الأدباء :
 شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي
 مكتبة عمى البابي الحلبي ، ١٩٣٨
 ٢٠ ج
- ٨٩ - معجم البلدان :
 شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي
 دار صادر - بيروت ، ١٩٥٥
 ٧ مجلدات
- ٩٠ - المعجم العربي :
 الدكتور حسين نصّار
 دار الكاتب العربي بمصر - القاهرة ، ١٩٥٦
 ٢ ج
- ٩١ - المغرب في حلّ المغرب :
 علي بن موسى بن سعيد
 تحقيق : شوقي ضيف
 دار المعارف - القاهرة ، ١٩٥٣
 ٢ ج

- ٩٢ - المقتبس في تاريخ رجال الاندلس :
 ابو مزلن حيان بن خلف ابن حيان
 تحقيق : الأب انطونية ملشور
 باريس ، ١٩٣٢
- ٩٣ - المقتبس في تاريخ رجال الاندلس :
 مخطوطة مدريد
- ٩٤ - مقدمة ابن خلدون :
 عبد الرحمن ابن خلدون
 تحقيق : الدكتور علي عبد الواحد وافي
 القاهرة ، ١٩٥٢ - ١٩٦٠
- ٩٥ - المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية :
 خوليان ريبيرا
 مجلة معهد المخطوطات
 المجلد الرابع ، الجزء الأول : ٧٧
 المجلد الخامس ، الجزء الأول : ٦٩
- ٩٦ - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب :
 أحمد بن محمد المقرئ التلمساني
 تحقيق : محي الدين عبد الحميد
 المكتبة التجارية ، ١٩٤٩

٩٧ - نكت الهيان :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى
ط مصر

٩٨ - نهاية الأرب في فنون الأدب :

أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النيمى
دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٢٣ - ١٩٥٥

١٨ ج

٩٩ - الوافي بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى
بمناية هلموت ووتر وآخرون

ج ١ - ٤

١٠٠ - الوافي بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى
مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث رقم ٦٦٠

١٠١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :

شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان
تحقيق : محيي الدين عبد الحميد

الطبعة الأولى ، ١٩٤٨

ج ٦

١٠٢ - يتيمة الدهر :

ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

تحقيق : محيي الدين عبد الحميد

القاهرة ، ١٩٥٦

٤ ج

ب - المراجع الاجنبية

Geschichte der arabischen litteratur: — ١٠٣

C. Brockelmann

Leiden, 1937 - 1949

5 vols.

Hispano-Arabic Poetry: — ١٠٤

Nykl, A.R.

Baltimore, 1948

Histoire de l'Espagne Musulmane: — ١٠٥

Levi Provencal, vol. I-III

Paris, 1950 - 1953

Islam d'Espagne: — ١٠٦

Henri Terrasse

Paris, 1958

- Nouvelle Histoire d'Espagne:** — 1.7
 Maurice Legendre
 Paris, 1938
- Origines del Espagnol:** — 1.8
 Ramon Menendez Pidal
 3^d ed., Madrid, 1950
- Spanish Islam:** — 1.9
 R. Dozy
 London, 1913.

فهرست المحتويات

تمهيد

١

الكتاب الأول :

الحركة اللغوية بالاندلس حتى اواخر القرن الثالث الهجرى

مقدمة

٢

٣

٥

١٢

٢٢

٢٥

٢٧

٢٧

٣٢

٣٥

٣٨

٤٠

٤٣

٤٧

١- حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي

٢- الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي

٣- حال اللغة بين هذه الاجناس المختلفة

٤- مقام اللغة بين الاندلسيين

٥- عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس

الفصل الأول : بواكير الحركة اللغوية في الاندلس

١- نشوء طبقة المؤيدين اللغويين

٢- الرحلة ولقاء العلماء المشارقة

٣- رحلة لغويين مشارقة الى الاندلس

٤- هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس

٥- النشاط الشفوي في ميدان اللغة

٦- حركة التأليف اللغوي حتى اواخر القرن الثالث

٧- اشهر المدرسين وتلامذتهم

٨- هل كان هذا النشاط اللغوي وقتا على العناصر

٥١

الحرية في الاندلس

الكتاب الثاني :

الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الرابع الهجري

٥٤

الفصل الثاني : عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

٥٤

١- العوامل الجديدة

٥٤

أ- تهديد

٥٦

ب- جهود الحكم في النهضة اللغوية

٦٢

ج- المنصور بن ابي عامر واثره في النهضة اللغوية

٧٠

٢- العوامل التقليدية

٧١

أ- الرحلة الى المشرق

٧٣

ب- التأديب والتدريس

٧٤

٣- المظاهر الكبرى

٧٤

أ- ظهور الدارس اللغوي المتخصص

٧٧

ب- المناظرات اللغوية

٧٨

ج- تنوع حركة التأليف واتساعها

٨٤

٤- انصاف الاندلس في الميدان اللغوي

٨٧

الفصل الثالث : أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

٨٧

أولا- ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ومؤلفاته

٩٦

الاستدراك على سيبويه

١٠٤	لحن العامة
١٢١	ثانيا - ابن القوطية ومؤلفاته
١٢٥	الافعال
١٣٩	ثالثا - ابو علي القالي ومؤلفاته
١٥٨	البارع
١٦٨	كتاب الأمالي
١٧٧	تذييل على الفصل السابق

الكتاب الثالث :

الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الخامس الهجرى الفصل الرابع : العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية

١٨٩	في القرن الخامس
١٨٩	١- صورة موجزة للاحوال السياسية في هذا العصر
١٩٤	٢- العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية :
	أ - الخصب اللغوى الذى اوجده القالي
١٩٤	وتأثيراته
١٩٥	ب - تعدد المراكز الثقافية
١٩٩	ج - الاهتمام بانشاء المكتبات
٢٠٢	د - التسامح النسبى
٢٠٥	٣- الظاهرة النظرية في حياة اللغة :
٢٠٦	أ - البحث في أصل اللغة

- ٢٠٧ ب - مشكلة الاشتقاق
- ٢٠٧ ج - بطلان العلل النحوية
- ٢٠٨ د - الصلة بين اللغة والشرعة
- ٢١٢ ٤ - صلة اللغة بالواقع العملي
- ٢١٢ أ - وضع معلم اللغة
- ٢١٣ ب - وضع اللغة بين العلوم الأخرى
- ٢١٥ ج - صلة اللغة بالحياة العملية
- ٢٢٣ ٥ - العوامل التقليدية وأثرها في الحركة اللغوية
- ٢٢٣ أ - الهجرة إلى الأندلس
- ٢٢٨ ب - الهجرة من الأندلس
- ٢٢٨ ج - التدريس وأشهر المدرسين
- ٢٣٧ الفصل الخامس : حركة التأليف اللغوي وجهاته في هذا العصر
- ٢٣٧ أولا - صورة عامة للمؤلفات
- ٢٤٥ ثانيا - اتجاهان في التأليف كيران
- ٢٤٦ (١) الاتجاه إلى الشح
- ٢٤٦ أ - أبو عبيد البكري وكتابه : فضل القتال
- ٢٤٦ والسلافي
- ٢٤٦ أ - شي من سيرة البكري
- ٢٤٩ ب - فضل القتال
- ٢٥٢ ج - السلافي في شح الإمالي

٢- ابن السيد البطليوسي وكتابه :

٢٥٥ شرح السقط والاقتضاب

٢٥٥ أ - سيرة ابن السيد

٢٥٨ ب - شرح سقط الزند

٢٦٠ ج - الاقتضاب في شرح ادب الكتاب

٢٦٢ (٢) الاتجاه الى التأليف المعجمي

٢٦٢ ابن سيده ومعجمه : المخصص والمحكم

٢٦٢ أ - سيرة ابن سيده

٢٧٥ ب - المخصص

٢٧٥ ١- الداعي الى التأليف

٢٧٨ ٢- منهج الكتاب

٢٨١ ٣- خصائص الكتاب المخصص

٢٨٤ ج - المحكم

٢٨٤ ١- الداعي الى التأليف

٢٨٥ ٢- منهج الكتاب

٢٨٧ ٣- مصادر الكتاب

٢٨٩ ٤- خصائص كتاب المحكم

٢٩٤ خاتمة

٢٩٨ مراجع الدراسة

٣٢٠ فهرست المحتويات

تصويبات

<u>الصفحة</u>	<u>المسطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٥	٣	افذاذ	افذاذا
ح	١	الدراسة	الدراسة،
٤	٥	عبيد	عبيدا
٢٥	١٣	ثلاثة	ثلاث
٣٩	١٠	الحكم	للحكم
٤١	١٢	معركة	معركة
٤٥	٣	عروضا	عروضها
٦٩	٨	مجلس	مجلس
٦٩	١١	خزابة	خزابة
٧٢	٦	الآمد	الآمدى
٧٧	١٧	بكر الزيدى	ابو بكر الزيدى
٨٨	٩	لتاجها	نتاجها
٨٩	٨	فيها	فيه
٨٩	١١		(اضافة هذه الاشارة ؟) بعد فيوم)
٩٥	١٥	وعن	والى
٩٧	١٦	مستعربة	مستغربة

<u>الصفحة</u>	<u>المسطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
١٠٤	٩	لكان	لكن
١٢٤	١٨	تأليف	تألفنا
١٤٢	١٤	خمسة	ثلاثمائة
١٥١	٩	يقدر	يقدر
١٥٤	٥	ناستفاد	" ناستفاد
١٥٦	٧	ولم يصلنا هذا الكتاب،	
		وانما	وتد
١٥٧	٩	وهنا ايضا	(تشطب)
١٥٩	٣	يرى	يسرى
١٦٢	١٠	احمد	احمر
١٦٢	١١	خبي	حبي
١٦٧	١	(شطب الكلام المنسوخ بالخط اليدوى)	
١٧٨	٧	والعدة	وتذكرنا المدة
١٧٨	١٣	غير ان	اما
١٩٠	٣	امراء	فتيان
١٩٠	١٠	اصال الاعلام	اعمال الاعلام ، ١١٢-٢٤١
١٩٧	١٩	العويصة	المسوية
١٩٩	١٥	منتقبا	منتقبا
٢٠١	٤	كثيرا	كثير

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٠٢	٧	الاستقرار	الاستقراء
٢٠٢	٢٠	المقدمة	المقدمة : ٢٣-٢٤
٢٠٥	١	والفلسفية	الفلسفية
٢٠٥	١٩	مجاهد	مجاهدا
٢١٥	١٠	نفرض	نفرض
٢٢٠	١	اخبارهم	مؤلفاتهم
٢٤٤			(يضاف كتاب آخر للجرجاني هو شرح الجميل للزجاجي)
٢٤٦	١٣	حالا	جالا
٢٤٧	٦	ولكن	ولكني
٢٥٢	٨	منورها	منورها
٢٥٦	١٢	روي	روي
٢٦٨	٤	رأت	روت
٢٦٩	٢	سليلا اسرة	ابن بيئة
٢٧٤	٢	التي عثرت عليها	(تشطب)
٢٧٧	٢	الوازع	الدافع
٢٧٧	١٤	ليدنا	يدلنا
٢٧٩	٩	متاجرين بلغتهم	(تشطب)

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٧٩	١٩	بابن	في ابن
٢٨٢	٩	اللغوية	الصرفية
٢٨٤	١٠	في كل صفحة ، او	(تشطب)
٢٨٦	٢	الثلاثي	الثلاثي



المغرب الأقصى والأندلس



المغرب الأقصى والأندلس